السيد حافظ

شط اسكندرية
يا شط الهوى

رواية

الكتاب : **شط اسكندرية يا شط الهوى**
(مدونة سلمى وسارة وسيرين رقم ٦) "رواية"

الكاتب : **السيد حافظ**



الناشر: **مركز الوطن العربى "رؤيا"**

البريد الالكترونى : justhappy_man2000@yahoo.com
Hafez66@live.com

تليفون: ٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨



الناشر : " **العنــوان** " **للنشر والتوزيع** – الشارقة مويلح

ص.ب: ٨١٨١١

alenwan10@gmail.com

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٨

رقم الإيداع : ٣٦٥٦ / ٢٠١٧

دار الكتب والوثائق القومية

إدارة الإيداع القانونى

الترقيم الدولى : I.S.B.N 877 – 01 – 4563 - 5

الغلاف: اهداء من الفنان العالمى : ماهر جرجس

تصميم وجرافيك: خالد شعبان

الاشراف على التنفيذ :

الأستاذ / احمد حافظ ، الاستاذ / احمد محمد الشريف

الجمع والصف الالكترونى: وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيـذ: خـالد شـعبان



توزيــع: مركز الحضارة العربية – أ. على عبد الحميد

مكتبة عمر بوك ستور – القاهرة ١٥ شارع طلعت حرب أعلى مطعم فلفلة

تليفون: ٠٢٢٣٩٦٠٠٤٧ – ٠١٠٠٣٣٦١٢١٧

الاسكندرية: مكتبة دار حورس للنشر والتوزيع

مكتبة أكمل: الاسكندرية ١٨١/١٨٣ شارع أحمد شوقى – رشدى

تليفون: ٠٣٤٥٥٧٣٥٢

روايـــة

مدونة رقم ٦

من رواية ما أنا بكاتب

حكاية الروح السادسة

سلمى وسارة وسيرين

إهـــــــداء أول

إلى أخى رمضان وأخى عادل وأمى لماذا تأخرتم؟

جهزت لكم القهوة التى تحبونها بالهيل فقررتم الرحيل فجأة ..

وبقيت القهوة على مكتبى تنتظركم...

افتقدت صوتكما وضحكتكم الطفولية...

إهداء ثانى

إلى نقاد وأدباء الجزائر العظماء
الذين تبنوا مشروعى الروائى بفاعلية عظيمة

الفصل الأول
عن الخطيئة والعشق



المكان المشفى الولادة / دبي

الزمان صباحا/ دبي متشحة بسحب مطر قادمة.

تجلس شهرزاد بجوار سهر تمسح شعرها وتضفره لها ضفيرتين والطفل الصغير عدنان يرضع من ثدي سهر ترى ماذا سيكون حال هذا الرضيع الأشقر ماذا سيرضع لبنًا بالسكر؟؟ أم حنانًا؟ أم عطرًا؟ أم وسامة؟ ليجذب جميلات الأرض إليه؟؟.. حين تناولت سهر كوب الحليب مالت برأسها على كتف شهرزاد وقالت:

- **احكى لي قصة روحي السادسة سلمى..**

ضحكت شهرزاد وقالت:

- **يا ويلى من سلمى وما أدراك ما سلمى ورمشها الجارح؟؟**
- **ما بها؟**
- **وصديقتها سيرين.**
- **سيرين.!!**
- **وسارة؟**
- **الله!**
- **ثلاثة أقمار هن! سلمى وسارة وسيرين.**
- **وسلمى؟**

ضحكت شهرزاد:

- **ما أدراك ماحدث لسلمى وماجرى لها ولصاحبتيها.**
- **شوقتني يا خالتي شهرزاد.**
- **قبل أن أنسى أخبرك بأن تهاني زوجة فتحى رضوان خليل قد ولدت أمس مثلك ولد.**
- **معقولة؟**
- **نعم .**
- **صبي أسمر يشبه أبيه..**
- **أها .. بخير؟**

- نعم.
- ومن قال لك وكيف عرفت الأخبار؟
- اتصل بنا فتحي عصر أمس وذهبنا إلى المشفى ..
- ولدت ولادة طبيعية . وأنجبت صبياً ..

شرد ذهن سهر.. ترى ماذا أنت فاعل يافتحى الآن بدونى ..كيف تجعلها تنجب من تهانى ؟؟ كيف تنام معها يا أحمق ..أنت كاذب لا تحبنى ..لو أحببتنى حقاً ما لمستها وأنجبت منها ...

- الحمد لله احك لي إذا عن سلمى.
- سأحكي لك قصص العاشقين سلمى وسارة وسيرين .

مصر وما أدراك ما مصر أرض النخبة النادرة من العلماء والعلماء والغالبية من الأغبياء ومصر مهد وقبلة الأنبياء..ومن صنعت الكذب والأدعياء ..مصر أسطورة المكان وغريبة الزمان ..

- ما حكاية سلمى ..؟
- سلمى بنت مصرية ومسلمة ١٨ سنة..حين التفت جدتها إلى جسدها أثناء ولادتها شمت رائحة عطر فاح في الحجرة صاحت الجدة:
- الله أكبر هذه البنت هدية من السماء .

قالت سهر:

- مثلي و مثل نور وشمس ووجد ولامار.
- إنها روح واحدة .تنتقل يابنت.
- فهمت أكملي ياخالتي الحكاية .أنا آخر روح الروح السابعة .

أخرجت شهرزاد سيجارة فاخرة وأشعلتها شدت نفسين ثم ألقت بها في مطفأة السجائر وقالت لسهر سأحكى لك قصة سلمى وسارة وسيرين :

- سلمى فتاة أرق من الماء تطاردها العصافير في السماء وتنبح الكلاب وتصهل الخيول وتموء القطط عليها من بعيد إنها ليست أصوات بل تحياتهم لها ولا يقتربون منها ولا يؤذونها .. والبلابل تغرد لها من فوق الشجرة التي أمام

بيتها .. سلمى تغني بصوت خافت للقمر كل ليلة ١٤ وتقف البلابل في أعشاشها تنصت للغناء وفى الصباح عصافير من كل نوع تطاردها اينما تكون كما أنها كانت تغني في أفراح زفاف صديقاتها البنات .. بينما صديقتيها سيرين المسيحية متخصصة في الزغاريد الزغرودة الواحدة فى مدة ثلاث دقائق في الزغرودة فيصفقن النسوة لها ويضحكن أما سارة اليهودية صديقتها الثالثة عندما ترقص رقصات تخلب عقل البنات وكان الثلاثة يبعثن فى أي عرس فرح ومرح كأنهن فرقة متخصصة .. سلمى في يديها أسورتان ذهبيتان جميلتان اشتراها ابن عمها عمران الذي يعمل جواهرجي في سوق الذهب وكان طويلًا أسمر كالنيل .. عمران ابن عمها عبد المنعم فهو أخو أبيها نافع وعبد المنعم تاجر من تجار الفضة المستعملة وهى مهنة أبيهم هكذا لكن أخاهم الثالث مبروك الذى سرق الميراث والفضة والذهب وهرب من الإسكندرية ولا يعرف أحد أين أرضه لكن الأغلبية أكدت أنه فى مدينة رشيد وأصبح من تجار السمك والفسيخ. وله شهرته هناك و أصبح معروفا باسم الزفر..

سلمى ابنة نافع وصفية
مصرية مسلمة

وما أدراك ما سلمى؟؟

سلمى .. هى أنثى لا .. بل قل هى همسة.. أو نسمة أو غزالة سمراء مثل النيل خطفت كل جمال النساء من النوبة لأن أمها صفية وهى نوبية الأصل وأبوها من أصل يمنى .. سلمى مسك وعنبر وحين تنظر لعينيها الخضراوتين وسمارها الفاتن تترجل من فوق صهوة حصانك أو تسكر .. أبوها نافع صانع نقوش الذهب عمل عند أيتين اليهودى أبو سارة صديقتها انفصل وفتح ورشة مستقلا وينتمى نافع إلى قبيلة يمنية من قبيلة (يافع).. ويافع قبيلة تركت اليمن بعد انهيار سد «مأرب»، والاسم يرجع لأحد أفرادها، ويُدعى «مبرح بن شهاب اليافعي» كان ضمن الوفد الذي قابل الرسول محمد عليه السلام، وكانت هذه الزيارة سببًا في اعتناق القبيلة للإسلام في وقت مبكر حسبما ذكر.. وعرف عن

سلمى أنها عندما تسير فى الشارع يقول الناس:
- ما شاء الله غزال يمشى على الأرض ..
كان عمران ابن عمها يحاول الإقتران بها فرفضته أكثر من مرة وقالت لأمها وأبيها:
- هو مثل أخى ..لايمكن أن أتزوجه .
كما أن الشيخ عبد الفتاح إمام المسجد القريب من منزلهم حاول أن يتقدم إليها على الرغم من أنها صديقة ابنته التي في نفس عمرها .. ..لكن عينيه زاغت عليها وكان يريد أن يتزوجها ليجدد شبابه
كان أبوها حين يجلس يشرب القهوة:
- يجب أن تفتخرى أنك مصرية من قبيلة يافع اليمينية الأصل..
- ومن هم قبيلة يافع وكيف أتت إلى هنا فى مصر يا أبى .
يتنفس الأب بصعوبة وهو يلعب فى شاربه:
- تذكرى أن قبيلة «يافع» شاركت بقوة في فتح مصر عام ٢٠ هجريًا، وكان قائد الجيش حينها «مبرح بن شهاب اليافعي»، وسكن يافع بعد الفتح مع بقية قبائل اليمن في منطقة الجيزة، بعد أن كانت لها مشاركة فعالة في اجتياز نهر النيل وأجازوا الماء إلى بيوتهم من نهر النيل فسميت الجيزة، ورفعت أعلام المسلمين في الضفة الأخرى من الجيزة.. وانقسمت القبيلة إلى قسمين الأول استقر فى الجيزة والآخر أتى إلى الإسكندرية بعد أن ضاقت منافذ الرزق عليه فى العاصمة الفسطاط والجيزة .وأصبحنا سكندريين
- ههههههههههههه نحن نحب البحر يا أبى ..
- نعم ابنتى .
إذا ضحكت سلمى زلزلت الأرض زلزلاها وأخرجت من الرجال شهواتها..
فى هذا الصباح الغريب خرجت سلمى إلى السوق شاهدتها أم قيسون المرأة العجوز وهى جالسة على عتبة دارها ..
و داعبتها ضاحكة:
- ما شاء الله .. ماشاء الله ..ماهذا الجمال يا سلمى.. ما هذا الجمال يا بنت؟.

قدماك فيهما كعب وكاحل لغزال ما شاء الله.. خراط البنات خرطك بمزاج أمام رب العالمين.

تضحك سلمى وتلقي عليها غمزة وفجأة وقعت على الأرض .

– أه يا قدمى .آه يا قدمى ..الحقونى ..

من المعروف أن عين أم قيسون حاسدة وقعت سلمى فى الحارة فالتف عليها الجيران وحملوها إلى بيتها وهى تصيح:

– قدمى قدمى..منك لله يا أم قيسون

بينما أم قيسون تضرب كفا على كف:

– لم أفعل لها شيئا ..هذا دلع البنات .. لم أمسها بشيء .. آه منك يا سلمى ..يا ابنة صفية

سلمى وما أدراك ما سلمى شربت من نيل مصر وما أدراك ماهى مصر وما أدراك ما غمزة سلمى .. ويل للرجال وويل للنساء إذا ذهبت إلى عطار أو خباز .. كان البعض يقولون هذه السمراء ذات العيون الخضراء جنيه .. من رأها سكن فى هواها ولم يعد كما كان مثلما لم تعد قبيلة يافع إلى شبه الجزيرة العربية وإلى مكة أو اليمن وعاشت في مصر واندمجت مع المصرين وصار أول وجود حقيقى للعرب فى مصر من أصل اليمن .. وحملوا الجنسية المصرية تلك الهوية الفريدة الفقيرة ماليا والغنية بتاريخها .. مصر وما أدراك ما مصر أرض سحر وسحرة وأرض خير ليس له مثال عبقرية الأحتواء لكل الجنسيات ولكن العدل فيها غائب والظلم فيها حاضر وأرض أمان واستقرار وأرض جنون وأعراب وسرقة واحتيال ....

....

المكان / بيت سلمى / غرفة نومها

الزمان / نهارا

جلست الأم فى غرفة النوم وسلمى ممدة على السرير تتأوه والأم تدلك قدمها بزيت الزيتون وقالت:

– خذى حذرك من عين أم قيسون قلت لك ألف مرة كلما شاهدتيها اقرئى

المعوذتين قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس..

- حاضر يا أمى ..

قالت لها أمها .. وهى تلف قدميها ..

- أمك من أميرات النوبة يا بنت؟
- كيف يا أمى أنت أميرة؟
- سأحكى لك .
- احكى لى يا أمى .
- ذات يوم قام فرعون رمسيس الثانى فتح بلاد النوبة فى لحظة ضعف لمملكة النوبة والتى كانت تحكم مصر سبعين عاما فكانت مصر مرة محكومة بملوك النوبة ومرة النوبة محكومة بالمصريين وفي عهد رمسيس الثاني قبض على كل رجال النوبة وضمهم إلى الجيش لدفع العربات العسكرية وإعداد الطعام للجنود والخيول وغسل الملابس والسلاح وأن النوبيين كانوا يهربون من الظلم والضرب والأهانة أثناء المعارك وكان رمسيس يهزم دائما ويزور التاريخ ويكتب على الجدران انتصر رمسيس،وكان جدك الأول إدريس أميرا أذله رمسيس وجعله عبدا يدفع العربة للعسكر وفى أثناء المعركة هرب جدك مع غالبية النوبيين هربوا من الظلم والعبودية وتركوا جيش رمسيس وجاء إلى جزيرة فاروس أصل الإسكندرية وسكن بعيدا عن عيون الفرعون الظالم وعمك ذهب إلى منطقة تل العمارنة ..
- ياه يا أمى ..نحن أصولنا أمراء ..معقولة ..
- نعم يا سلمى أنت من أب يمني جده شيخ قبيلة وأمك هى صفية النوبية جدها أمير نوبى عشنا على أرض مصر وأصبحنا مصريين ..
- وضعت سلمى رأسها على كتف أمها ونعست
- مصر وما أدراك مصر بوتقة كل جنسيات الأرض عبقرية الانصهار والالتحام. وتنوع فريد .وجمالها عجيب .وقبحها غريب .. هي الشيء ونقيضه

المكان: بيت سلمى

الزمان: فصل الشتاء شهر طوبة ..صباحا العاشرة تقريبا

المطر ينهمر بشدة .. نوه في الإسكندرية

دق الباب على بيت سلمى ..

فتحت سلمى الباب مسرعة .. وجدت سيرين صديقتها المسيحية ابنة عم حبيب..

كان المطر ينهمر بشدة من سماء الإسكندرية والفستان والشال الذي على رأس سيرين قد ابتلا تماما وهي ترتجف ضحكت سلمى:

- **يخرب بيتك الدنيا بتمطر وأنت تأتين؟ أدخلى ..**
- **قالوا لى أن قدمك كسرت من نظرة أم قيسون..**

ضحكت سلمى .. وسيرين.

حال بيت سلمى المكان (عند مدخل الباب كنبة كبيرة على اليمين وكنبة صغرى على اليسار وحصيرة مفروشة على الأرض وفي الركن زير ماء وطبلية للطعام في الركن الآخر مائدة متر في متر عليها حليب .. يوجد شباك يطل على الحارة به قضبان حديدية .. تقف النسوة خلفه عادًة حتى تتسلى في وقت العصر وقطعة سجاد صغيرة متران فى متر جميلة الصنع وعليها صورة الكعبة معلقة على الحائط..والأحذية وضعت على عتبة البيت)

ضحكت سيرين وهى تنزع الشال المبتل من فوق كتفيها.

- **تعودنا على المطر وأنا بالذات أحب المطر .**
- **يا ويلي منك يا سيرين يا بنت عم حبيب .. كيف أقنعت أباك بأن يدعك للخروج فى هذا الجو.**
- **أنا قلت له ذاهبة إلى سلمى فاطمئن قلبه وقال اذهبي ولا تتأخري.**
- **يا سيرين ادخلي غرفتي وبدلي ثيابك وانشري شالك وفستانك أمام موقد النار.**
- **سأرتدي فستانك الأحمر الجديد. الذى اشتراه أبوك من تاجر هندى.**
- **يابنت أنا لم ألبسه بعد هذا غالى؟**
- **هل يغلى علي؟**

- لا والله ليس غاليا عليك.
- لا خلاص ادخلي والبسيه.. ياخرابى نسيت أجمع الغسيل من على الحبل من فوق السطح لأن المطر غزير سأجمعه وأدخلى وخذي من الدولاب ما تشائين لتبدلي ملابسك.

مصر وما أدراك ما مصر عبقرية الفرد وغباء الجموع...

عندما دخلت سيرين لتخلع ملابسها في غرفة سلمى وجدت أن فستانها قد ابتل تماما فخلعته ثم وجدت القميص الذي أسفل الفستان قد ابتل فنزعته ثم الستيان كذلك ترددت ثم خلعته ووقفت عارية تماما للحظات وبينما هى ترتجف أمام المرآه تندهش وتطيل النظر إلى جمال جسدها وقوامها الرشيق وخصرها النحيل .. وراحت تلمس بيدها حلمة ثدييها الناهضين وتحدث نفسها ما أجملك يا سيرين.. لا يوجد على جسدها سوى السروال الذى يغطى عورتها .. وفجأة فتح الباب عمر أخو سلمى فشهقت وفزعت:

- يا خرابي وحاولت أن تخبىء بيديها ثدييها ..

ارتجف عمر وارتعش وفزع وجمد مكانه مرتبكًا ..

- آسف .. آسف.

احمر وجه عمر ووجه سيرين ونظر إلى الأرض

- والله ما قصدت كنت أظن أن سلمى هنا؟

قالت وهي تنظر بنصف عين خجلى و بدلال:

اقفل الباب واخرج حتى لو أختك سلمى عيب يا سي عمر تدخل غرفتها هكذا أغلق الباب بسرعة.

- حاضر ..
- أغلق الباب ..
- حاضر

أغلق الباب والدم يغلى في وجه عمر.. وخرج يتصبب عرقا رغم البرد من الحجرة ساخنا مشتعلاً وهو يرتجف ودخل غرفته وجد أمه (صفية) ترتب سريره

وتعدله ..

- ما بك؟ وجهك أحمر.

مدت يدها على جبينه وجدته ساخنًا ويتفصد عرقًا.

- بردان.

- نام ياحبيبي .. أنت مريض؟؟

ونظرت له مرة أخرى وجدت وجهه أحمر ويرتعش .. أعادت عليه السؤال .

- ما بك يا حبيبى .؟. أنت محسود... اكيد محسود أنت شفت أم قيسون؟ الناس هنا يحسدوننا لأجل أختك الجميلة وأنت وسيم .

- اه يا أمي . أنا تعبان ..

كانت هذه أول مرة يرى جسد امرأة .. وليست أي امرأة أنها سيرين .. من أجمل البنات في حي بحري والإسكندرية..

.دخلت سلمى إلى الغرفة وجدت سيرين وجهها أصفر اللون..فقالت لها:

- الله الفستان حياكل من جسمك حته ..

- يابنت؟

- اسألى المراية؟

لم تكن سيرين على طبيعتها بعد هذا الموقف مع عمر ..طوال الجلسة مع سلمى كانت شاردة ..جلست مايقرب الساعة ثم همت واقفة استعدادا للخروج..

- أتركك وأمشى ياسلمى .

- انتظرى حتى اجعل عمر يوصلك لبيتكم .

- لا ..عمر.. لا..

- عمر لا ..ليه؟

- أخى صموائيل إذا رآه معى فى الطريق سيعمل مشكلة .

- طيب.. براحتك..

- سأعيد الفستان لك .... غدا.

- ولا يهمك . براحتك .

……………….

……………….

لم ينم عمر ليلتها ولم يعرف ما به وظل يومين .. لا يعرف كيف ينزع صورتها من رأسه .. توضأ وصلي عدة مرات .. لكن رعشة بجسده .. ما هذا معقول هل هو الشيطان.؟

كانت أم سلمى مرتبكة مع عمر الذى كان يرتجف تحت اللحاف معظم الوقت .. وهي تحضر له ليمون يشربه وتبخره .. كانت تحب عمر أكثر من سلمى هكذا الأمهات يحببن الأولاد الذكور أكثر من البنات .. تركت صفية سلمى فى غرفتها وذهبت للمسجد القريب وأتت بالشيخ عبد الفتاح من المسجد القريب يقرأ لابنها عمر القرآن .. هو شيخ طيب أطلق البخور وقرأ القرآن وهمس له:

- **ما بك يا شيخ عمر؟**
- **رعشة وسخونة شوي وبرودة شوي .**
- **هل يأتيك حلم أو رؤية..؟**

هز رأسه عمر.

- **رجل أم امرأة؟**
- **امرأة.**
- **آه عرفتها.. هذه (حبيبة) جنيه عفريته ملعونة تخطف عقل الشباب.**
- **نعم**
- **جميلة هي؟**
- **نعم جدًا.**
- **عارية أم ترتدي ثيابها؟**
- **عارية ..**

هب الشيخ عبد الفتاح واقفًا:

- **يالطيف..يا لطيف..**

قرأ القرآن عبد الفتاح وخرج من حجرته وجد سلمى .. فنظر إليها مبتسماً قائلا :

- كيف حالك ياست سلمى .؟
- الحمد لله.
- كبرتى ياسلمى ..
- والله ياعمي كبرت وبنتك لطيفة كمان كبرت مثلى .

ارتبك الشيخ عبد الفتاح .. الرجل الطيب البالغ من العمر ٧٠ سنة .فرد بسرعة :

- الرسول تزوج السيدة عائشة وكان عمرها كام؟؟

قاطعته سلمى:

- هذا سيدنا محمد..نبي و رسول .. و أنت لست مثله أنت مثل أبي .

خرج الشيخ عبد الفتاح وهو يتصبب عرقًا..طلبها مرات من أبيها وأبوها رفض .. عمر خاف أن يقول له إن صورة سيرين عارية تمر أمام عينيه ليلا ونهارا . وليست الجنيه حبيبة .هل حوريات الجنة هكذا جميلات أم أحلى ياترى ؟

عمر هو توأم سلمى أنجبتهما أمهما بعد عامين .. ربما كان السبب أن جدته ستوتة كانت تقف على باب حجرتهما في الليل وإذا سمعت صوت ضحكة صفية مع نافع ألقت بنفسها على الأرض مدعية أنها سقطت مغشيا عليها وصاحت:

- الحقني يانافع الحقيني ياصفية..

فيهب نافع وصفية من السرير أشباه عرايا إلى الصالة ..

- خير يا أمي .؟؟

ويمسكها من ذراع وصفية من ذراع ويحاولان أن يساعداها للوصول إلى الحمام وبينما تسندها صفية وترى ثدي صفية يتدلى من قميص النوم .. تهمس لها ستوتة:

- الدنيا برد يا بنتي غطي بزازك لاتأخدي برد..وأنت كبرتى ..
- حاضر يا أمي.

ثم تنظر إلى نافع وهو يرتدي سرواله..

- وأنت يا ابني غطي ركبتيك .. الدنيافى السن برد صحتك يا ابني .. خللى بالك على صحتك ركبك ..تتعب ..أنت رجل شقيان تشقى طوال اليوم..

- حاضر يا أمي.
أثناء العودة لسريرها تطلب منهما أن تنام في سريرهما حتى تموت بينهما .. فتنام في منتصف السرير وعلى يمينها نافع وعلى يسارها صفية..هكذا الحال .. مرت الشهور والجدة تنصت لهز السرير أو الضحكة وشاغلها الشاغل منع اللقاء الجنسى بين الزوجين حتى ماتت الجدة..
إن سرقة لحظات اختلاء بين صفية ونافع أنجبت سلمى وعمر توأم أى أنهما أبناء اللحظات المسروقة أما الجدة ستوتة فقد ماتت فى سن ٩٠ عاما .. فحصيلة ومجموع اللقاءات الجنسية طوال ثلاثين سنة لم تصل إلى عشرين مرة وظلت الجدة ستوتة طوال هذه السنين تنام فى وسط السرير بينهما وتصرخ طوال الوقت:
- آه الحقني يانافع .. الحقيني ياصفية .. ح أموت .
نعم قد ماتت الجدة ستوتة وقد بلغ نافع سن الستين ونسى أنه ذكر ونست صفية أنها أنثى .. ظلت صفية تخرج طاقتها كل يوم فى العمل بالبيت تحمل مراتب البيت كلها وتصعد بها على السطح حتى ترى الشمس لأن الأوسدة والفراش يجب أن يرى الشمس.. كل يوم تغسل البيت كله غرفة غرفة وتعمل من الصباح حتى المساء حتى تنهك من الإجهاد و التعب لتنام .. كل يوم طبيخ ..غسيل .. وتخبز فى فرن بالبيت ..وملابسها تتسخ ..ونست علبة البودرة والزينة والكحل فى الدولاب وحتى نست قميص النوم .أما نافع ظل يعمل في الصياغة مع الفضة من أول الصباح حتى منتصف الليل ويأتي لينام بجوارها مهدودا .. لا ترى صفية نافع إلا في شهر رمضان على مائدة الفطار وفي الأعياد وكبر التوأم سلمى وعمر....ظل نافع حبيس الدكان وصناعة الفضة وكم امرأة جميلة جاءت إليه لشراء فضة وغمزت وضحكت وتدللت ولكن هو لايشعر بأي شيء أو أي رغبة ذكورية لأنثى حتى أنه سأل العطار مرة حين عرض عليه تحويجة تساعد الرجل .. فقال له العطار لو الرجل نسى عضو ذكورته في الحياة هو الآخر ينساه وهناك مثل شعبي يقول اللي ينساك انساه..أما صفية حاولت جاهدة أن تجعل سلمى نسخة كربونية منها فرفضت سلمى و اهتمت بأن تضع الكحل وتدهن شعرها

بزيت الياسمين و لاترتدي الحجاب إلا أحيانا أثناء الخروج وتصيح في وجه أمها:

- شعري لازم يشوف الشمس .. فشعرك وقع يا أمي لأنه لايري الشمس... يا أمى صرتى صلعاء

- يخرب بيتك من أين أتيت بهذا الكلام يابنت..؟

صفية تحاول أن تقنعها بعدم الخروج كل يوم مع صاحبتيها سارة وسيرين وسلمى ولكنها ترفض.. وتستيقظ مع أبيها في صلاة الفجر تصلي وتجهز له الفطور.. وتقوم في المطبخ بغسل الأواني .. حتى تشرق الشمس و في السابعة تصعد على السطح وتقوم بتغيير الطعام في عشة الدجاج وتجمع البيض وتضع لهم الطعام وتغسل عشة الفراخ حتى لاتصل الرائحة إلى غرف النوم..ثم تقوم بتجميع غسيل الأمس الجاف من فوق الحبال ثم تنشر غسيل اليوم الجديد الذي قامت أمها بغسيله.. لقد نسيت صفية كل مظاهر الأنوثة حتى عمل (الحلاوة) لتنظيف العانة من الشعر وكانت تتشاجر مع سلمى لاهتمامها كل أربعين يوما بتنظيف نفسها من الشعر .. وتقول لها:

- عيب أن تفعلي هذا .. انتظري حتى الزواج .. البنت لاتعمل حلاوة إلا بعد الزواج..

كانت سلمى تصيح فيها:

- يعني أظل معفنة حتى يتأكد العريس أني بنت عذراء ولم ألمس هذا الجزء.

قالت الأم:

- سيدنا علي كرم الله وجهه (عليه السلام) قال لنا:

قاطعتها:

- كذب يا أمي لا أصدق هذا..
- البنات صحباتك الكفار قلبوا رأسك.
- من صحباتى البنات الكفار.؟
- أنت تعرفينهن جيدا سارة اليهودية وسرين القبطية .. أليس هما كافرتين.
- عيب يا أمي تقولي كفار عيب .. والله سيرين بتصلي وسارة بتصلي.

- ليسوا مثلنا.
- ربنا هو الذي أتى بسيدنا موسى وعيسى يا أمي..ليس ذنبهما..
- طيب يا أم عشرة السن..

هكذا كانت الأحوال .. قالت سلمى:

- أنا أحب سارة وسيرين .. مهما قلت .. مهما حاولت ..

حكاية سيرين
المصرية المسيحية
ابنة عم حبيب ومارى

لم يكن عم حبيب يظن أنه فى يوم من الأيام سوف يهديه الرب ابنة رائعة مثل سيرين..

منذ عادت سيرين من بيت سلمى بفستانها الأحمر ظلت تلاحقها صورة نظرات عيون عمر أخيها.. آه تلك النظرة الخجلى ووجهه الأحمر وهو زائغ البصر مرتبكا أمامها ..

أنت يا عمر أول رجل يراني عارية .. قالوا لي إن زوجك سيكون أول من يراك عارية لكن أنت عمر أخو سلمى أنت من رآني عارية بالصدفة وأنا لست زوجتك؟؟ هل سأكون زوجتك وأنا مسيحية وأنت مسلم ؟؟ ياويلي .. ياويلى الدنيا تنقلب .. لقد رأيته يتجمد وينظر إلى الارض .. فاغر فمه وينظر لي وأنا حاولت أن أخبىء نهدي من عينيه .. لم يهجم علي ولم يعتد على و لم يتقدم نحوي خطوة .. كانت سلمى فوق السطح تجمع الغسيل وأمها في المطبخ تطبخ وأنا فى حجرتها .. هذا الشاب الأسمر الذى أرى في عينيه دائما نظرات إعجاب كامنة هذا الشاب الأسمر ذو العين الخضراء الوسيم..ياويلي .. هل سيخبر أصحابه .؟.هل سيفضحني؟ وأخته لم تحضر منذ يومين وأنا لم أذهب لها بل خرجت من البيت مباشرة بعد تغيير ثوبى ولم أذهب إلى حفل الزفاف ولم أنتظر سارة ..لقد أحرجت وارتبكت وجريت إلى بيتنا..

الزمان/ صباحا

المكان / بيت سيرين

حال البيت (البيت نظيف جداً .. ثلاث كنبات مفروشة بالقماش الأبيض لكن الغريب في البيت صورة تجمع العذراء وكنيسة القيامة والمسيح)..هناك في الركن عصا غليظة يتخذها التجار في بيوتهم لضرب اللصوص إذا فكر أحدهم في اقتحام بيوتهم .. هناك قطعة خبز ملقاة على الأرض وضعتها سيرين للقطة مع بعض الحليب في طبق صغير .. وموقد سبرتو لصنع القهوة .. وثلاث قلل لحفظ المياه)

دق على الباب

جرت سيرين

و فتحت الباب وجدت أمامها سارة بنت عم ايتين اليهودية المصرية ذات الجمال الأخاذ وصوتها الجميل وجسدها النحيف الذى يشبه عود الخيرزان ..أجمل بنات اليهود فى الإسكندرية ..وعطر البحر من يراقص الموج إذا رأى جسدها الممشوق قالت للبحر مرة وهى تستحم مع البنات فى الفجر بصوت عال :

- ما بك يابحر هائج على ..ما كنت هادئا من شوى أول ما أنزل تهيج بالموج ..قليل الأدب والله

تضحك البنات ..حولها والموج يداعبها فتضحك معه وتتشاقى ..

فتحت الباب سيرين:

- سارة ؟؟!!
- نعم سارة.. ياوحشة ..
- أدخلى يابنت.
- ماذا بك يا سيرين؟
- قولي صباح الخير يا بنت؟
- صباح الخير ..صباح النور
- ما بك.. يا سيرين .. يومان لاحس و لاخبر أنت وسلمى.

- النوه بتاعة الجو المرة دى شديدة و المطر أغرق إسكندرية تقريبا .
- ما هي طوال عمرها إسكندرية غرقانه..

قالت سيرين:

- أنا كنت عند سلمى من يومين .

ردت سارة:

- أنا ذهبت لسلمى قالت لي تصدقي أنت بنت جبانة لم تأت لزيارتى؟
- نعم أنت غطسانة.
- أقول لك المطر شديد.
- وكيف وجدت سلمى؟
- وجدتها تعبانة الدورة الشهرية جاءت لها أرهقتها وأنت عارفة سلمى زي البسكوت .
- هههههههههههه وأنت كمان بسكوت ياسارة..
- أنا مهلبية يابنت أنا كعك ناعم.
- أعملك قهوة.؟
- جهزي الفطار قبل القهوة أنا جوعانة جدًا..
- أنت كنت عند سلمى لماذا لم تأكلي هناك أمها بتعمل شوية فول مدمس يجنن.؟؟
- أمها مشغولة أصل أخوها عمر تعبان؟
- تعبان ازاي؟

ارتبكت سيرين ردت سارة:

- من يومين وهو جسده سخن وبيعرق .
- لا حول ولا قوة إلا بالله يارب.
- جاءوا له بالشيخ عبد الفتاح يقرأ له القرآن.
- للدرجة دي؟
- الشيخ يقول إن عمر شاف جنية اسمها حبيبة..

- حبيبة.؟؟
- شافها عارية أمامه فاشتعل جسدة .. هههههه
- هو الذى قال ذلك .. أم الشيخ؟
- لا هو قال للشيخ ..
- الظاهر حبيبة دي حلوة قوي..الناس بيقولوا جنية ليس لها مثيل في جمالها
- عارفاها ..هههههههه
- عارفها ازاى؟ كيف يا بنت.؟
- الناس بتقول يعنى.؟
- أصل الولد دا خام جدًا ياسيرين .. ينكسف من البنات .. ويعرق..
- آه..
- قومي جهزي لي الفطار أريد أن آكل .

يدخل فجأة صموئيل أخو سيرين:

- صباح الخير.

ردت أخته سيرين:

- صباح النور اغسل وجهك واذهب إلى أبيك في الدكان

لم يرد عليها ونقل الفوطة من على كتفه الأيمن إلى كتفه الأيسر وجلس أمام سارة

- أنت فين ياسارة؟
- نعم! فين يعنى إيه؟ أنا أمامك اهه.
- لا تتأخرين في الغيبة تعالي كل يوم..
- عندما أبيع حليب أو خبز سأحضر لكم كل يوم.. هههههههه
- عسل .. أنت عسل.

نظرت له أخته سيرين بدهشة وغضب:

- يا صموئيل يا عسل أنت قم ..سمعتني اغسل وجهك واذهب لأبيك فى الدكان..

قام بخطوات كسوله نظرت سارة في خاتم فضة في أصبعها .نادت عليه:

- **قل لي يا صموئيل؟**

عاد مسرعًا وجلس أمامها .

- **نعم يا سارة يا ست البنات..**
- **هذا الخاتم الذي في أصبعي .؟**

مد يده وأمسك يدها بفرح :

- **مابه الخاتم ؟**
- **أريد تلميعه أو خاتم أفضل منه في ثمنه.**

أخذ يتحسس يدها .. فضربته على يده ناهرة إياه..ودفعت يده:

- **ولد أيدك..**
- **خلاص اخلعيه وهاتيه ..**

قالت سيرين:

- **انتظري أبي أحسن هو المعلم؟**
- **أنا وأبي واحد.**

ونظر لأخته شذراً..

سيرين الجميلة وردة البحر تحمل سمار المصريات الفاتنات عمرها ١٧ سنة ضفائرها تشاكس الهواء هى ابنة عم حبيب التاجر الصائغ المعروف.. هى صاحبة أجمل صوت فى مصر فى أفراح الإسكندرية خاصة حى بحرى والمنشية.. رفضت الزواج ألف مرة حيث كان الأقباط في هذا الزمان يسارعون بتزويج أبنائهم وبناتهم ما إن يروا أنهم قد بلغوا سن البلوغ فيزوجون الفتيات في سن الثانية عشر بينما يزوجون الأولاد في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ولا نندهش من هذه الزيجات حيث أن الطقس يساعد على سرعة نمو الجسم وإثارة الشهوات ولايتم ختن البنات في القاهرة والإسكندرية أما في الصعيد فيتم ختان أولاد الأقباط بعد أربعين يوما من ولادتهم أما الإناث بعد ثمانين يوما (كتاب وصف مصر الجزء الأول علماء الحملة الفرنسية صفحة٣٠ الهيئة العامة للكتاب)

سيرين كانت هدية السماء لأمها ميري التى كانت تريد أن تسميها إيلين على اسم أمها .. كان عم حبيب يكره حماته إيلين لأنها رفضته وعذبته وساومته حتى تزوج من ميري ..

قالت مارى:

- سمها إيلين ما رأيك؟

قال حبيب:

- لا سأسميها سيرين..

وقد سميت باسم سيرين على اسم السيدة الأجنبية الجميلة التي تقطن في بيت بجوار دكان عم حبيب وتعيش مع زوجها الإيطالي ..

بعد ٦ شهور من ولادة سيرين ..

ذهب الأب حبيب إلى كنيسة المرقصية القريبة من منطقة بحري في الإسكندرية مع الأم ليعمد البنت الجميلة سيرين...ذهب العراب جارهم عم جرجس والعرابة زوجته أم نادر .. دخلوا الكنيسة .. المعمودية واجب ديني عند المسيحيين قال المسيح عليه السلام دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر...

كان أيتين اليهودي وزوجته راشيل معهم فهم يسكنون نفس الحي وكان يحب حبيب وهو جاره والمعلم نافع صانع نقوش الذهب الذى كان صبيه ذات يوم .. عم حبيب زوج مارى من الأرثوزكس وهم الغالبية العظمى من مسيحيين مصر وهنا فى مصر أيضا الكاثوليك وهناك البروتستنات..

حمل عم جرجس العراب وزوجته العرابة في لباس أبيض كي يعمدها القسيس خلع ملابسها وغطسها في الماء الذى يُستخدم. في التعميد يُستخدم الذي يحتوي على أنواع عطور مختلفة إشارة إلى مواهب الروح القدس المتنوعة، وقد استخدمه الرسل كمسحة مقدسة. وعصير العنب. ..وفي سر التوبة يكون وضع على الرأس هو المادة المنظورة لغفران الخطايا. ..وفي سر مسحة المرضى يستخدم (زيت وفتيل)

وفي سر الزيجة يكون الإكليل المقدس على رأس العريس والعروس إشارة إلى إكليل العفة والتقديس

وقد اختلفت وجهات نظر المسيحيين حول المعمودية وكان الجدال حول قضيتين: نوع المعمودية ومعمودية الأطفال أو الكبار . فقد قال بعض المسيحيين إن المعمودية لا تصح إلا بتغطيس الإنسان كاملا تحت الماء لأنها تشير إلى أن المعتمد دفن مع المسيح وقام معه بناء على الآية القائلة (أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد إلا هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة) (رومية ٦:٣-٤) أو بتغطيسه ثلاث مرات على اسم الثالوث الأقدس وليس مرة واحدة، كما قال البعض . إلا أن أغلبية المسيحيين تكتفي برش الماء على الوجه، لأن المقصود من وضع الماء هو الإشارة إلى غسل الروح القدس . لذلك فان كمية الماء غير مهمة في الموضوع .

تقاطعهم ميري وتقول:

- كلا أبي كان شماساً فلم يقل لنا هذا؟ أنت من أين علمت هذا؟
- أنظري يا ميري ماذا سيفعل القسيس؟؟

قام القسيس برش بعض الماء على سيرين وحملها ولم يغطسها في الماء بل اكتفى برش بعض الماء

وقال القس مرتلا:

- فقال لهم بطرس، توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس . لأن الموعد هو لكم ولأولادكم)

كان الأب حبيب يريد من القس أن يغطس المولودة سيرين ثلاث مرات لكن القس اكتفى بعدة رشات من الماء المقدس لكل قسيس طريقته لكن كل الطرق تؤدي إلى المعمودية والطهارة .. اكتشف الأب بطرس أن جسد سيرين يفوح منه عطرٌ من أول الأمر .. قال للعرابة مترددًا

- أي نوع عطر وضعتم للفتاة؟

قالت في دهشة أم نادر:

- والله يابونا والمسيح الحي ماوضعنا عطرًا أنا حميتها بيدي وجئت بها إلى هنا هي رائحتها هكذا البنت دي مبروكة ..

ابتسم الأب بطرس ومسح بيده المباركة على شعرها..

قال المعلم نافع سائلًا:

- هي المعمودية ليه ياسيد حبيب؟

قال حبيب:

- أنها تنجي من الموت والشر والخلاص وتغفر الذنوب.

قال نافع:

- إن شاء الله مفيش ذنوب وتكون بنت زي الفل. وتفرح بها وبأولادها.

ابتسم أيتين اليهودي قائلًا:

- بنتك سيرين ماشاء الله ستكون قمرًا وتخطف العقول و قل لنفسك أيتين قال لى ذلك فى يوم المعمودية .. .
- ههههههههههههههههه

....

....

اكتشف بعض سكان حي بحري سر سيرين ابنة حبيب لها سحر يميزها عن كل البشر ولم لا كان شباب اليهود والمسيحين والمسلمين يتمنون نظرة من عينيها .

ترى ماسرها هل هو أنها لاتعرق ولا ينبت لها شعر فى يديها او قدمها او وجهه أم جمال وجهها أم النغزتين في خديها..

أصبحت سيرين بنت ١٧ سنة يتقدم لها صفا طويلًا من الرجال لكن أباها قد تعود عليها وأصبحت تعويذة نجاحه في الحياة.. لا يفرط فيها.. ويظن إن تركت البيت تركه الحظ والرزق ...

في أحد الأيام و بينما هي تسير إلى السوق

ظهر كلب صغير أخذ يتبعها كان جميلًا وضعيفًا وينبح بصوت خافت .. تحرش بها الكلب الصغير .. والباعة كانوا يتحرشون بالكلام كذلك .. .الكلب يتبعها

ويجلس أمام بيتها وينتظرها كل صباح كظلها يسير ولا أحد يعرف سر الكلب وحتى إذا مرضت ولم تخرج فلا يتحرك من مكانه أبداً...

فبدأ بعض الناس يعطفون علي الكلب ويقدمون له بعض الطعام مثل قطعة عظم أو قليلاً من الماء في علبة صفيح قذرة .. وكان قليل النباح وإذا تحرش به كلب أخر لا يستجيب له أو يتجاوب معه .. وعندما يرى سيرين ينبح فرحًا ويسير خلفها بخيلاء وفرح .. ترى ماسر الكلب؟؟....أما الرجال فكانوا يغازلونها:

- **اتفضل ياجميل**
- **تعال ياقمر عندي .**
- **يا طماطم ياللي زي التفاح .. السوق مزدحم .**

مصر وما أدراك ما مصر النور وبنات مصر النار

سيرين ابنة عم حبيب وأمها ماري

سيرين زهرة الإسكندرية

سيرين زهرة الأقباط

وردة من وردات النيل

بل قل خلقها الله لحظة تجلي فكانت تفتن كل من رآها من الرجال قالوا لو رآها المسيح عليه السلام لتزوجها فتاة لا تليق إلا بالأنبياء والملوك والأمراء وبهرت بجمالها كل تجار الإسكندرية المسلمين قبل اليهود واليهود قبل المسيحيين .. هى تحلم بأن تلبس خلخالا من الفضة تلك التي يصنعها أبوها للنساء وكلما قالت له:

- **يا أبى نفسي في خلخال فضة؟**
- **اتنظري حتى أشتري لك واحدًا من ذهب**

أبوها عم حبيب أرثوذكسى المذهب من تجار الفضة في مصر يصنعها ويشتري ويبيع ويصنع ويحفظ العهد القديم والجديد و يرتدي نظارة وبالطو إنجليزي قديم هدية من جندي إنجليزي..سيرين لها صديقتان سارة اليهودية وسلمى المسلمة والاثنتان فاتنتان ساحرتان وجميلتان كقمرين هربا من السماء .. وهما جيران و الحارات متجاورة ومصر كأنها سيمفونية المعزوفة و كل حركة فيها نغم مختلط

من اجناس اسمه مصر .. مصر التناقض مصر وما أدراك ما مصر.. مصر العظيمة والحقيرة معًا مصر المركز والهامش معا مصر التى تلون الأديان بلونها فيصبح مصريًا سواء كان يهودياً أو مسيحياً أو إسلامياً ..

....

....

سيرين

قبطية مصرية ١٧ عاما وردة بيضاء شقراء متفتحة الخدين في الخد وردتين وغمازتين وضفائرها تشغل الليل والشباب هي ابنة الأقباط .. الأقباط الذين يعتقدون أنهم ورثة الفراعنة ويلغون من التاريخ موسى واليهود مع أن اليهود كانوا الأسبق فلنفترض أن جنس الأقباط وعرقهم ظل نقياً من عهد الفراعنة بعيدا عن الاختلاط بالإغريق فعندما استولى الإسكندر الأكبر على مصر واستقر فيها الإغريق بشكل دائم سمي المسيحيين باسم الأقباط من وقتها ..وعاشوا تحت حكم البطالمة فلابد أن كان ثمة جنسان متميزان ومن ذلك الوقت أصبح الذين عرفوا باسم الأقباط يشكلون طائفة منعزلة على الرغم من أن الغزوات المتتابعة من الرومان والعرب والعثمانيين فلا تزال هذه الطائفة منعزلة تماماً..حين رفض المصريون الفراعنة الديانة اليهودية وحاربوا موسى ورفض اليهود المسيحيية وقالوا لا نبى بعد موسى ورفض المسيحيين الإسلام وقالوا لا نبى بعد عيسى وقال المسلمون لا نبى بعد محمد وهو الأفضل على كل الأنبياء عليهم جميعا السلام .. **المصريون يحولون الأديان إلى صبغة مصرية فلا تعرف هذا الدين من ذاك..**

المسيحيون يقولون غزو العرب المسلمين لمصر .. والمسلمون يقولون الفتح العربي الإسلامي .. وأنهم ضيوف واليهود يقولون المسيحيون جاءوا بعدنا وهم منا ونحن ليسوا شركاء نحن من آل فرعون على الأرض .. وليس المسيحيون ولا المسلمون بالمصريين .. بل هم دخلاء على مصر ..لكن أحتوتهم مصر ..

....

....

المكان / بيت سيرين

الزمان / صباحا

الحالة (فى الصالة أمام باب البيت جلست البنتان سارة وسيرين تشربان عصير الرمان .. وكل واحدة تهمس للأخرى وتضحك..همس البنات وضحكاتهن ورد خفي .. تعطر الأماكن .. دخل من الباب صموئيل وجد سارة جالسة مع سيرين).. فاتجه إليهما مخاطبا سيرين:

قال صموئيل:

- تعال غداً تعال ياسارة إلى الدكان لتأخذي خاتمك.

نظرت له أخته سيرين ثم نظرت لها..وقالت :

- لا تذهبى يا سارة سأحضره لك أنا بنفسي.

ضحكت سارة .. ولضحكتها تهتز الحارة .. مصر التى بهرت نساؤها الأنبياء فإبراهيم عليه السلام تزوج هاجر ومحمد عليه السلام تزوج ماريا عليهما السلام. وأحب إبراهيم هاجر وأنجب إسماعيل وكانت أحب اليه من سارة وكانت ماريا أحب النساء إلى محمد عليه السلام وأنجب منها إبراهيم . ولنساء مصر سحر ربما فى كحل عيونهن وما أدراك مامصر وكحل عيون النساء

مارى أم سيرين

لم تعرف مارى بنت نادر أنها ستتزوج من حبيب الجواهرجي..فقد كان يواظب على الصلاة فى الكنيسة كل يوم صباحا وخاصة يوم الأحد..ويجرجر ابنه صموئيل وسيرين وبالطبع مارى معه ..وفشل أن يجعلهم يذهبون معه كل يوم فى الصباح .. ويفرض عليهم الصوم قبل عيد الفصح بأربعين يوماً، ولكن هذا التحديد الزمني لا يرتبط بتعليم الكتاب المقدس بل هو يندرج في سياق ترتيبٍ أو تقليدٍ كنيسيٍّ، الغاية منه الصّوم كعملٍ إيمانيٍّ يسبق موعدَ ذكرى موت المسيح وقيامته

والصوم ١٢ ساعة يومياً.. مارى ذات الجمال عيونها خضراء شقراء .كانت تتذمر بينها وبين نفسها . أصلها من صعيد مصر .. كانت تحلم بالقاهرة والإسكندرية .. مدن يتوفر فيها الطعام والشراب بسهولة .. أنجبت ثلاثة أولاد

وبنت هي سيرين .. كانت تظن أنها ستأخذ قسطا من حرية العاصمة القديمة لمصر وهى الإسكندرية أو جزءا من حرية العاصمة الجديدة القاهرة .. لكنها وجدت نفسها مقترنة برجل متدين كأنه رجل دين قسيس أو شماس .. يقرأ كل يوم في الإنجيل ويصوم ولا يشرب الخمر وطلب منها أن تتحجب فقالت مارى له:

- إن الحجاب للمسلمين .
- فنظر لها غاضبًا.
- الحجاب أصلاً عند الفراعنة حين ظهرت المعابد ثم عند اليهود ثم عندنا نحن المسيحين هل شاهدت صورة واحدة للعذراء مكشوفة الرأس .؟
- يا حبيبى أنت متشدد للحجاب..
- اسمعى أنت ياماري كفى عن كلامك الكافر .المرأة التي تكشف رأسها امرأة كافرة ..

كانت الكنيسة جزءاً من حياته اليومية .. عم حبيب ابنه البكر (دانيال) طرده لأنه كان يسكر دائما .. فسافر دانيال ذات مساء في مركب إلى الغرب .. ولا يعرف أحد له أى مكان سوى من قالوا أنهم شاهدوه يركب فى مركب من ميناء الإسكندرية .. أما الابن الثانى هارون كان يعمل جواهرجي مع أبيه ثم سافر إلى الصعيد وتزوج هناك من مسيحية أصلها بدوية وعاش بعيدا عن أسرته .. وتقلصت الأسرة وأصبحت تتكون من حبيب ومارى وصموئيل وسيرين ويعيشون فى الإسكندرية.. مارى فى كل يوم تطبخ طعامًا طازجًا تحب العدس ولحم الماعز وتحب الفول المدمس والفجل وتحب تعمل الشاي على الفحم وفي العيد تشوي اللحم بالفحم .. وتضع منديلا فوق رأسها وتخرج خصلة شقراء تشاكسها ابنتها سيرين..

- يا قمر أنت ومنور..
- عيب يابنت.
- والله لو مشيتي في الشارع هكذا بدون غطاء رأسك الدنيا حتتهد الأرض؟
- عيب يا بنت..يا طويلة اللسان.

وعادة ما يسافر حبيب كل عام إلى الصعيد يزور أخوته هناك .. أو في حالة الوفاة .. أو الأفراح.. وعادة مايعود محملًا بالخيرات قشطة وعسل وفريك وعدس وفول وبطاطس ولايزور ابنه هارون الذى لم يسكن معه ويعيش فى الإسكندرية ..حبيب لايبخل على الكنيسة ويعلم أسماء الأباء القساوسة كلهم المتواجدين فى مدينة الإسكندرية ويحفظ كل أسماءالكنائس فيها .. ..

والأباء دائما يطلبون منه مساعدة الفقراء فيفعل .. مارى لا تؤمن بالشفاعة من رجال الدين ولاتحب التردد اليومى عليها .

ذات يوم صرخ حبيب فى وجهها:

- علمى بنتك سيرين كل شيء عن دينها لاتتركينها تضيع منا علميها طبيخ كل عيد وعليها أن تحفظها كلها حتى تطبخ وتجهز طعامًا مميزاً لكل عيد حسب اسمه..
- بنتك تعرف كل الأعياد وشاطرة وماهرة ..
- ياسلام..
- ألا تصدقني ...
- لا طبعا..

نادت عليها مارى:

- ياسيرين ياسيرين تعال هنا..
- حاضر يا أمى ..
- خبرى أباك بأسماء الأعياد المسيحية .

ضحكت سيرين وقالت لأبيها وهى تلعب فى ضفائرها:

- خذ عندك ياسيدى عيد البشارة وعيد أحد الشعانين وعيد خميس الأربعين وعيد العنصرة وعيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد الختان وهو أصلا فرعونى كما قال القس وعيد خميس العهد وعيد التحلي وعيد الصلب وعيد دخول المسيح إلى مصر مع أمه وعيد دخول المسيح إلى الهيكل وعيد النيروز وعيد الشهيد..

ضحك حبيب ضحكة عالية سعيدة ..وخرج من جيبه بعض النقود وأعطاها لها:

- الله يبارك فيك .. يا سيرين..

أخذ يلعب فى شاربة فخرا ويمشى بثقة .

حبيب يفتخر بزوجته التي تصلي معه في الكنيسة المرقسية التي بناها الحواري (مرقس). وهو أحد الحواريين السبعين. وأصبحت أكبر الكنائس فى الإسكندرية.

أما ابنته سيرين تحفظ الأعياد ولا تتحجب معظم الوقت.. هى ابنة الحياة تحب أن تزغرد زغرودة طويلة فى أى حفل زفاف لتبهر كل النساء وترقص سارة الساحرة ومع البنات وتسمع صوت سلمى وهي تغني وكم مرة سألها القس في الكنيسة:

- لو احتجتي شيئاً تعالي يا سيرين

تجيب وهي تختبىء خلف أبيها بدهاء:

- ربنا يطول في عمر أبي فلا أحتاج إلى أحد..

ثم يلقي عليها دعوة أخرى ..

- لو عاوزه تعترفى تعالي ..

- لما أعمل خطيئة يا أبونا .. حاروح لكنيسة الكاثوليك .. ولن أعترف أبدًا لك..

فيضحكون وتمشي..مع أبيها وعادة لاتعود إلى البيت بل تخبر أباها:

- أنا ذاهبة إلى بيت سارة يا أبي .قليلا؟

- لا تتأخري ..ساعة كفاية ..ياضيف خليك خفيف.

- حاضر

سيرين مصرية العينين .. ساحرة الحاجبين.. تلك العيون التى سحرت الفرنسين أثناء الحملة الفرنسية مصر وما أدراك ماسر نساء مصر.... نابليون عشق زينب بنت البكرى ومينو أحب فتاه من رشيد وأسلم وعاش هناك . وزوجة موسى ابنة فرعون الأولى و.. سيرين ناى يسير على الأرض يعزف بقوامه الممشوق ترانيم هي .. تحب الكنيسة والغناء وتحب صديقتها سلمى المصرية المسلمة وتحب سارة اليهودية المصرية كلهن في بوتقة واحدة فى الإسكندرية أقصد مصر

.. والثلاث بنات يحضرن أفراح المسلمين والمسيحين واليهود ..
مصر وما أدراك مصر .. هي النور والظلام .هي من علمت العالم ولم تحافظ على علومها فسارت في هامش الدول. مصر وما أدراك ما مصر .صانعة الحب والكراهية ..

فى كل أحد بعد خروج سيرين مع أبيها وأمها من الكنيسة لابد وأن تزور إما سلمى أو سارة فهى تنتقل من الجو المسيحى إلى الجو الإسلامى أو القبطى ..المصريون وما أدراك من هم .. هم قبول التنوع والمزج فيه .. هم عبقرية القبول بلا قوانين ..

سارة ابنة العم أيتين
مصرية يهودية

الزمان / صباحاً

المكان/ بيت سارة

حال البيت..(أكبر بيت في حارة اليهود . الاسم المجازى حارة اليهود ولكن هو حى كامل يسكن معظمه اليهود ولكن مدخل الحى حارة لصناع الذهب . البيت نظيف .مرتب .الأثاث .. كله من الخشب الزان اشترى معظمه من حى النجارين بالقاهرة .. من أمهر الصناع .. وبعض الاثاث .. العتيق ذي النقوش المحفورة والمطعمة بالعاج والألوان الجميلة .. وهذا الأثاث ورثه عن أبيه .. وضعه في ركن بجانب الشباك البحري و كذلك ماكينة خياطة في غرفة نومه كانت لأمه العجوز (رومى) .. وسيف قديم من الفضة معلق على الحائط قيل إنه للجد الأكبر الذي جاء إلى مصر من شبه الجزيرة العربية وكان تاجرا للفضة جاء بعد الدخول الإسلامى لمصر .. وصورة لأبيه وجده وعمه وأهله .على الحائط.)

سارة .. هى قنديل الحي والحارة ..

ابنته سارة عمرها ١٦ تحب حي بحري فى كل صباح تقترب من البحر لتعطيه ضحكتها يغازلها الهواء وترسل للأمواج ابتسامة .وترسل للهواء شعرها ليلعب

به دون استحياء .. هى ابنة البحر والماء والهواء قال لها أبوها أيتين... إننا من يهود شبه الجزيرة العربية من مدينة يثرب وكان هناك في يثرب قبائل بني قَيْنُقَاع: و قُرَيْظَة و بنى النظير وأسرتنا من بني النضير وأمها راشيل من يهود الإسكندرية لا تعرف من أين أتت عائلتها فى الأصل لكنها تعتقد أنها من أسرة يهودية مصرية من أيام يوسف عليه السلام..

وقال لها أيضا إن جدها الأكبر ايتان علم العائلة صناعة الفضة وشراء المستعمل فهو يشتري القديم ويصهره ويصنع الجديد .. سارة تذهب إلى المعبد مرة كل يوم سبت وتغيب مرة .. مثل سيرين تذهب إلى الكنيسة مرة كل أحد مرة وتغيب مرة أخرى وتلتقي البنات الثلاث فى كل يوم يتسامرن يتضاحكن وعلى الشاطىء يجلسن ..يضحكن يرسلن للهواء ضحكات العذارى المصريات..

ذات يوم كن هناك على الشاطىء يلعبن بالرمل وكل واحدة تبنى قصرا من الرمال على حافة الشاطىء وإذ فجأة تظهر العرافة الغجرية من بعيد تمشي متمايلة وتنادي:

- أبين زين أبين..وأوشوش الودع..وأقرأ البخت .

ضحكت البنات .. تناثر الفرح في حبات الرمل .. للبنات سر في الضحك.. وقفت الغجرية فجأة أمامهن وقالت:

- أبين زين أبين وأوشوش الودع ..

جلست الغجرية دون استئذان ودون أن يوافقن وبدون إذن ونشرت منديلًا وألقت بالمحارات..وأمسكتها وهمست لها ثم ألقت بها على المنديل .. ثم نظرت إلى سلمى وقالت:

- أنت حبيبة القمر ..

قالت سارة لها:

- وأنا؟

- أنت حبيبة البحر.

قالت سيرين:

- وأنا؟

- حبيبة الورد.

ضحكت البنات وظننّ أنها مجنونة .. قالت الغجرية:

- أنتن يا بنات .. ستكون لكل واحدة منكن حكاية .. غريبة غربة الأيام والأحداث..فلترمي كل واحدة منكن بياضها ..
- ترمي البنات النقود على المنديل .وهن يضحكن.

....

....

الزمان/ ليلًا

المكان / منزل أيتين اليهودى

حالة المكان في الصالة يجلس أيتين يشرب القهوة وهو يرتدي ملابس فاخرة قالت له زوجته راشيل:

- شكلك ذاهب إلى مقابلة مهمة؟
- نعم سأذهب إلى مقابلة حفيد ماجد هارون.
- من ماجد هارون؟
- ماجد هارون من الشخصيات الهامة للطائفة اليهودية في مصر و أسرته من العائلات اليهودية التي لها شأن في اقتصاد مصر عائلة غنية جدا.. . مثل (يعقوب بك قطاوي) .. وهو رئيس للطائفة الإسرائيلية في مصر .يعمل مدير(الضربخانة) التي تتولى أعمال المخابز والجمارك وحلقات الأسماك و يوفر للحكومة مايلزمها من صرف رواتب للعاملين وله أربعة أبناء تدرجوا في المناصب .. بالحكومة المصرية .حتى أنهم افتتحوا بنكاً وساهم معهم أيضا اثنان آخران من أكبر العائلات اليهودية في مصر التي ينتمي إليها (ماجد هارون).

هل تعلمين يا راشيل أنهم يساعدون اليهود هنا وفي الخارج .عامل اجتماع مع كبار اليهود في مصر ودعاني معهم .

- أأأأأأأأأأأأأأأ...من أجل هذا اشتريت منذ يومين ملابس جديدة وغالية !!!!!!

- نعم .. ..لأني سألتقي بكبار الأثرياء و اليهود .. .
- مثل من؟؟
- نسيم بك موصيرى ..
- من هذا؟
- (نسيم بك موصيرى من (عائلة موصيرى) جاءوا إلى مصر مهاجرين عام (١٧٤٩) ميلادية فاستوطن بها وقام بمصاهرة عائلة قطاوى .. وكان أكثرهم ثراء فأنشأ بنكا ودورا للسينما وأسس فندقي (مينا هاوس وسان ستيفانو) بالإسكندرية كما أسس جريدة اسمها (إسرائيل) وكانت تصدر من القاهرة بالعبرية والعربية والفرنسية .. .!!!!!!!!!
- وهل هناك آخرين فى الاجتماع؟
- عائلة سوارس..
- أسمع عنهم..
- هؤلاء يا راشيل الذين يتحكمون في أكثر من مليون فدان من الأراضى الزراعية وأسسوا مؤسسة سوارس فساهمت بشكل كبير في بناء خزان أسوان وشركة كوم أمبو الزراعية وأنشأوا خطوط سكك حديدية وشركة لنقل الركاب بضاعة عربات فأطلق عليها المصريون عربات سوارس.. وسيكون فى الاجتماع بعض من عائلة عدس وعائلة سموحة..
- طيب روح يا اخويا؟؟
- شالوم.
- شالوم.

نظر إلى داخل الدار وصاح بصوت عال:

- يا سارة نامى مبكرا .
- حاضر يا أبى .

أغلقت راشيل الباب من خلفه .. وقالت سارة لأمها أنا أستاهل أحب نابليون ويحبنى ..

نهرتها أمها ..فبعض البنات فى مصر عشقن نابليون أولهن زينب بنت البكرى .. سارة عندما تحدثت مع أبيها عن جمال نابليون اغتاظ أبوها وشتمه وتمتم بكلمات قذرة عنه.. كانت كراهية أيتين وكل يهود الإسكندرية بسبب أن نابليون قد هدم المعبد الذي أقيم عام ١٣٥٤ هنا لليهود في الإسكندرية وفى عام ١٨٥٠ تم إعادة البناء.. وأصبح يعج باليهود المصريين الذين يأتون للصلاة كل سبت، وكان لا يتسع لهم، .. منهم أيتين وسارة وراشيل...

التى تحب الذهاب للمعبد لمشاهدة الحفلات خاصة حفلات الزواج بحضور الفتيات والسيدات وهنّ في قمة أناقتهّن. وسارة تصطحب معها صديقاتها (سلمى وسيرين) والغريب أن احتفالاتهم تشبه إلى حد كبير احتفالات الزواج عند المسيحيين والمسلمين. في مصر .

إذ كانت العروس اليهودية تذهب في الليلة السابقة للاحتفال بالزواج إلى الحمام «الميكفا» أي الحمام الديني في صحبة أمها وحماتها وجدتها وعماتها، تحمل سلة بها صابون من كل الأصناف ... صابون معطر فاخر ومناشف وزجاجة ماء كولونيا أو ماء ورد وليفة جديدة وقبقاب حمام مبرقش مطعم بالصدف أو بكرات زجاجية ملونة وطشت صغير من النحاس أو الفضة، ثم تنزل إلى مسبح شعائري «Apisein Rituelle».وبعد طقوس التبريك يقدم شراب منعش وقهوة أو شاي مع الجاتوه والحلوي والملبس والبونبون، ثم تتوجه النسوة بالعروس عائدات إلى منزلها حيث يستقبلهن الجيران بالزغاريد والتهاني. وجرت العادة أن يعقد الحفل الديني في شقة أحد العروسين، أما حفل الاستقبال، فيقام في خيمة داخل فناء المعبد أو شرفته وتقدم الموسيقي العبرية وغالبا ما يعزف لحن البولكا داخل Polka أو موسيقي المازوركا Mazurka مع الاستعانة بمغنية شرقية وأفراد تختها لإحياء الليلة، وينفض الحفل حوالي الساعة الثانية صباحا.

وتحكي راشيل لابنتها سارة عن تقاليد الزواج في زمنهم:

– اليهود يؤدون الصلاة مرتين في الصباح وفي المغرب ويمكن تأديتها في المنزل، ولكن الصلاة الجماعية تتم فقط يوم السبت ويلزمها عشرة رجال على الأقل لتصبح مقبولة شرعا.. وأيتين يصلى مع سارة فى المعابد الهامة مثل معبد

«زاراديل» الذي أنشأته عائلة زاراديل ومقره في شارع عمرام بحارة اليهود في سوق السمك القديم... ومعبد «منشا» أسسه البارون يعقوب دي منشا بميدان المنشية،. سارة أجمل بنات حارة اليهود الشهيرة بالإسكندرية

حارة اليهود مثالا حيا على أوضاع اليهود في الإسكندرية واندماجهم مع أهلها، وهي تبدأ من حي الجمرك ببحري حتى حي المنشية، وهي ليست حارة بالمعنى المعروف بل حي كامل فيه شوارع وحارات كثيرة متصلة ببعضها بعضا، سكنها اليهود والمسيحيون والمسلمون، ولا تزال هذه الحارة محتفظة بطابعها المعماري وسكانها من الطبقة الوسطى المتوسطة والفقيرة .فكانت تقطنها الطبقة الدنيا من الجالية اليهودية وكانوا غالبا من اليهود المصريين بالمولد والجنسية، وكانت العربية لغتهم وأقاموا علاقات صداقة مع جيرانهم المسلمين والمسيحيين. ويحتفلون معا بالأعياد، كانوا يحتفلون بعيد الفطر، ويتبادلون الكعك، و يقدمون كعك عيد الغفران، كذلك المسيحيون، لذا كانت الحارة كلها أعياد.

عندما عاد أيتين من الاجتماع بأكورية اليهود جلس ووضع ساقا على ساق وقال لابنته سارة:

- أنصحك يا ابنتى سارة بعدم اللعب والاختلاط بالفقراء
- لماذا يا أبى .؟
- لأن الفقير فقير في عقله .
- من تقصد بالفقراء ؟
- سكان حارة اليهود ..
- ما بها حارة اليهود هذا حينا..أصحابنا؟
- سأحكي لك فيما بعد عن حارة اليهود وعما حدث؟
- لا احك لي الآن عن الفقراء وحارة اليهود وعن يهود الإسكندرية

قاطعتها أمها راشيل:

- قومي اغسلي الصحون بدل الحكايات؟
- حاضر نصف ساعة فقط يا أمي أبي يحكي لي الحكاية .

- أنت عندك عمل اذهب إليه ولا تضيع وقتك معها لتقص لها حكايات يا أيتين .
- نعم سأجلس مع ابنتي وأوضح لها .
- توضح لها ماذا؟
- سأوضح لها ولك ماحدث في حارة اليهود .
- نعم .
- احك يا أيتين احك ياشهريار ..

ضحك أيتين:

- سأحكي .
- احك يا أبي؟
- أهالى حارة اليهود أصلهم هم مجموعة من الصيادين اليهود الفقراء جاءوا من رشيد وإدكو، إلى الإسكندرية لينضموا إلى بضع مئات من اليهود متعسري الحال، وأقام هؤلاء الوافدون خياماً لهم في حي الأنفوشي بمحاذاة الشاطئ وبشارع الصيادين بالقرب من سوق السمك، فيما بعد أصبحت هذه الخيام أكواخاً، تحولت بدورها إلى منازل، لتصبح حيا لليهود بالإسكندرية، الذي يمتد من حوش النجار وحوش الجعان وحوش الحنفي إلى ميدان وشارع فرنسا.. (للقارىء نعتمد هنا هذه المعلومات بالدرجة الأولى على كتاب "الإسكندرية في القدم المتأخر" للكاتب للمؤرخ كريستوفر هاس وبعض المراجع الأخرى مثل دائرة المعارف ويكيبيديا ودائرة المعارف الكاثوليكية ودائرة المعارف البريطانية)

قالت سارة إلى أبيها:

- خبرني يا أبي هل نحن سكندريون أقصد مصريون؟

ضحك أيتين:

- نعم نحن مصريون وسكندريون نحن جئنا بعد الغزو الإسلامى من شبه الجزيرة أما غيرنا فهم أقدم منا فقد جاءوا إلى مصر في عهد الملك بطليموس؟

- **كيف يا أبى؟**
- **ما حدث فى نهاية سنة ٤١٤ م وبداية سنة ٤١٥ م كانت بداية تواجد اليهود في أيام الملك بطليموس الأول (٢٨٣-٣٠٤ ق م) عندما هاجر بعض يهود، خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، بل ويقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس (٣٦-١٠٠م) إنه عندما استولى بطليموس على اليهودية أخذ ١٢٠٠٠٠ أسيرًا يهوديا من روما، إلى مصر بل وذهب معهم عدد كبير من بسبب خصوبة الأرض المصرية والحرية التي أعطاها لهم بطليموس وقد تم اكتشاف نقش يسجل تكريس مجمع يهودي لبطليموس وِ في أواخر القرن التاسع.**

وكان في الإسكندرية وحدها أكثر من ٢٠٠،٠٠٠ (مائتي ألف) يهودي.

- **٢٠٠ ألف يهودي في الإسكندرية؟ وأين سكنوا وعاشوا يا أبى؟**
- **هههههههههههه اليهود كعادتهم في كل المدن الكبرى التي سكنوا فيها كانوا يتجمعون معا في مكان واحد يسمى بالجيتو، يقول (فيلو)، الفيلسوف اليهودي السكندري (٢٠ ق.م. -٤٠ م.)، فقد كانوا يتجمعون في عدة أماكن أو جيتوهات في المدينة، وكانوا يعيشون بالقرب من السواحل والموانئ في أعلى مستوى اقتصادي. وكان في تاريخ علاقتهم مع بقية الجماعات السكندرية غير مستقرين ..**
- **كيف يا أبى .؟**
- **حدثت ثورة كبيرة فى الإسكندرية مابين ١١٥ - ١١٧ م. التي قام فيها شخص يهودي يدعى لوكواس Lucuas ادعى أنه المسيح وأشعل ثورة اشتعلت من القيروان وفيما بعد في قبرص وما بين النهرين وكان ذلك في سنة ١٠٦م . وقد بدأ العصيان أو الثورة بثورة صغيرة كالتي كانت تحدث عادة في بلاد اليونان ثم تحولت إلى حرب كبيرة عندما ثار يهود القيروان وراء لوكواس الذي ادعى أنه المسيح، وسار يهود القيروان الثائرين تجاه مصر.**

- وما الهدف من هذه الثورة؟
- كان الهدف النهائي لهذه الثورة هو أو الأرض الموعودة بالنسبة لهم، وحولوا الحرب بينهم وبين القوات الرومانية إلى حرب أخروية تقول بتجميع كل شتات المشتتين في جميع أنحاء العالم، إلى الأرض الموعودة وعندما أدرك خطورة الموقف وعد بإرسال قوات رومانية لردع هذه الثورة.
- وكيف سيواجهون هذه القوات وماموقف اليهود المصريين؟

قبل أن تصل هذه القوات كان لليهود المصريين اليد الطولى على كل شبر في مصر وهذه الثورة راح ضحيتها آلاف المصريين لدرجة أن أحد المؤرخين الذين كانوا معاصرين للحدث ويدعى أبيان (Appian) يشرح لنا كيف هرب بحياته من الثوار بالقرب من بلسيوم بالقرب من الدلتا! وقام بعض سكان القرى المصرية بالقرب من هيرموبوليس بتجنيد أنفسهم لمحاربة الرومان ولكن هذه الجماعة هُزمت وقتل منها عدد كبير، وبعد أن عاثوا في البلاد خرابا وقتلوا آلاف المصريين كانت القوات الرومانية التي واجهت هذه الثورة اليهودية سنة ١١٧ م. في أماكن كثيرة قد انتصرت عليهم وقتلت الآلاف منهم.

صرخت راشيل أم سارة:

- قم ياشهريار وكف عن الحكايات .. قم يا أيتين يا رجل اذهب للورشة والدكان واترك الحكايات والكلام الفارغ هذا..

ضحك أيتين ونظر إلى سارة:

- قومي يابنتي سأحكي لك في المساء عن الثورة الثانية لليهود في الإسكندرية..
- حاضر يا أمي أنا قمت أهو .. أهو.. نعم .

نظرت لها راشيل:

- اغسلي الأطباق وقمعي البامية واعصري الطماطم للصلصلة ..
- دق الباب مرة مرتين ثلاث. قالت سارة:
- طيب طيب أنا قادمة ..

- فتحت الباب وجدت أمامها سلمى مبتسمة .
- جاء صوت الأم من الداخل:
- من يا بنت؟
- دي سلمى يا أمي.
- قالت مارى:
- تعالي يا سلمى مع سارة في المطبخ عندى هنا اغسلا الأطباق وجهزا لى الصلصة وقشرا الثوم
- حاضر ياخالتي؟

همست سلمى في أذن سارة:

- أمك مابها؟اغسلا؟ جهزا؟ قشرا؟ أمك تغير منى عندما اجلس معك؟
- أمى تغير حتى عندما يجلس معي أبي و يحدثني ويحكى لى حكايات أو يأخذ ويعطي معي فى الكلام.امى غياره هههههههههههههههه.

ضحكت سلمى وقالتظك

- طيب يلا..نساعدها

دخلت البنتان إلى المطبخ لغسيل الأطباق وتجهيز الطعام ..

سر البنات حكايات ..

وضحكات ..

وإشارات وغمز ولمز

....

....

الزمان/ ليلا

المكان / بيت سارة

فى المساء جلس الأب يأكل القلقاس الأكلة المصرية الشهيرة ويشرب القهوة ويتكئ على مقعد سارة تزحف بهدوء لتجلس بجوار أبيها ..هامسة:

- احك لى و أكمل القصة يا أبي .

- أي قصة ياسارة؟
- قصة الثورة الثانية لليهود .. فى الإسكندرية...

ضحك الأب ومدد ساقيه وأمسك فنجان القهوة ونظر بعيدا قائلا::

- الثورة الثانية فى السنة الثامنة من حكم الرومان فى الإسكندرية بثورة أخرى هلك منهم في أثناءها عدد كبير.، وأيضا في القيروان اندفعوا بروح المشاغبة وثاروا على مواطنيهم اليونانيين. اشتدت الفتنة جداً حتى انقلبت إلى حرب خطيرة في السنة التالية إذ كان لوبوس واليا على مصر وحدث في الهجوم الأول أنهم انتصروا على اليونانيين الذين كانوا قد هربوا. ولكن يهود القيروان – بالرغم من حرمانهم من مساعدتهم – استمروا في نهب الأرض والتخريب تحت قيادة لوكواس. أما الإمبراطور فأرسل إليهم ماركيوس توربو (والذي كان من أبرز القواد في عصر وهادريان) بقوات برية وبحرية وخيالة. فأشهر عليهم الحرب مدة طويلة، وحارب في عدة مواقع، وقتل آلافا كثيرة ليس من يهود القيروان فقط بل أيضا ممن استوطنوا وأتوا لمساعدة ملكهم لوكواس"...

واليهود في الإسكندرية لم يكن الحال أفضل منه في بقية البلاد الرومانية، خاصة وأنهم كانوا أصحاب مال ونفوذ وقتها ولم تكن العلاقة طيبة بينهم وبين أورستُس الحاكم حيث كان له كاريزما شعبية وكان المسيحيون الذين يمثلون الأكثرية يلجئون إلى البطريرك أكثر من لجوئهم للوالي، وكان البطريرك محبوبا جدا من الملك ثيودوسيوس. ومن هنا وجد الوالي مكانته مع الذين كان يحتاج بشدة لأموالهم وبقايا الوثنيين وعلى رأسهم الفيلسوفة هيباتيا. وقد استغل ذلك ضد اليهود والمسيحيين، كما كان ذلك سبب تحامل المسيحيين على هيباتيا مما أدى إلى موتها على أيدي عامتهم!

في ذلك الوقت كان المسيحيون قد حققوا عدة انتصارات روحية على الوثنيين خاصة بعد قرار الإمبراطور ثيودوسيوس بتحويل المعابد إلى كنائس. وكانت الجماعة اليهودية في ذلك الوقت هي الجماعة الرئيسية التي أعاقت السيطرة الكاملة للكنيسة. إلى جانب أن شرح العهد القديم وخاصة النبوءات التي تنبأت

عن شخص المسيح وإساءاتهم الكثيرة لشخصه واتهام أمه بالزنا! وتوبيخ البطريرك لهم في الكثير من عظاته بسبب رفضهم للمسيح برغم أن جميع نبوءات أنبياء العهد القديم عن المسيح المنتظر والنسل الآتي والملك الموعود قد تحققت فيه، مما دفع الكثيرين لتدبير مؤامرة للانتقام من البطريرك في شخص المسيحيين حيث أشاعوا أن عدة كنائس اشتعلت فيها النيران فهب المسيحيون مندفعين بأعداد كبيرة للدفاع عن كنائسهم وإطفاء الحرائق المزعومة وكان اليهود يترصدون لهم في الشوارع والطرقات فقتلوا منهم وجرحوا وأصابوا أعدادا كبيرة جدًا! (المرجع للكاتب والمؤرخ الإنجليزي تشارلز كنجزلي) وتكاسل الوالي أورسُتس وجنوده في الدفاع عن المسيحيين ومعاقبة اليهود، بل وتواطؤه ضد البطريرك ورفض جنوده التدخل للمنع من تنفيذ خطتهم، وقامت ثورة عامة من المسيحيين ضد اليهود محاولين التخلص منهم انتقاما لقتلهم لعدد كبير من المسيحيين ومحاولة إحراقهم لعدة كنائس، ولكن تقرر إخراج اليهود من المدينة التي عاشوا فيها وكانوا من أهم معالمها، حفظا لهم من ثورة العامة من المسيحيين وكعقاب لهم حتى لا يكرروا ذلك مرة أخرى! وحول المسيحيون معظم مجامع اليهود وأهمها إلى كنائس ولكن لم يسمح لأحد بالمساس بهم.؟؟ ومع مرور الوقت، اجتذبت الإسكندرية مزيداً من يهود القاهرة والدلتا، ومن المغرب والعراق وتركيا وإسبانيا، نتيجة للانتعاش الاقتصادي الهائل الذي شهدته الإسكندرية وانفتاحها على الأسواق.. لعب اليهود دور واسطة العقد بين الجاليات المختلفة فكانوا بمثابة همزة الوصل بينها، ساعدهم على ذلك العديد من الأنشطة التجارية والحرفية، التي انتشرت وسط المدينة، كميدان محمد علي ومحلاته الكبيرة. كما سيطر السماسرة وكبار رجال المال من اليهود على البورصة لدرجة أنها كانت تغلق أبوابها فى جميع الأعياد اليهودية، وكان منهم أكبر تجار القطن، كما أسسوا العديد من البنوك التي ما زالت تغلق يوم السبت. وكانت محلات المجوهرات وشركات التأمين والملاحة اليهودية تنتشر فى شوارع الإسكندرية.

....

....

المكان / شاطىء الإسكندرية

الزمان/ نهارا

قالت سيرين لصديقتها سلمى

وهما تسيران على شاطىء الإسكندرية:

- عارفة يا بنت؟
- ماذا؟
- نفسي أتزوج خواجة .. شعره أصفر وعيناه خضراء
- وتكلميه كيف يابنت؟
- لازم لازم يكون بيتكلم عربى مثلنا ..
- لاتحلمي وتنظري إلى فوق .. فتنكسر رقبتك ..
- تنكسر .. تنكسر فقط أكون حققت ما أحلم ..

هكذا البنات والشباب يتحدثون مع البحر والهواء عن أحلامهم

....

....

الزمان /١٨٥٣ آخر عصر عباس حلمى

المكان/ ميناء الإسكندرية

نزل ريتشارد بيرتون من السفينة كان شابا فى الثلاثين من العمر وسيما ربما يكون إنجليزيا أو أيرلنديا وكان ذلك في شهر يناير .. قال ريتشارد بيرتون كانت السفينة شكلها ليس جيدا لكن قائد السفينة يرتدى سروالا وخفيف الظل وطباخ الرحلة يطبخ جيدا.وكنت أرتدى ملابس شرقية لكن شكلى يكشفنى .وعلى الرغم من إجادتى العربية

صاح القبطان:

- استعدوا لقد وصلنا إلى رأس الطين (حاليا اسمها رأس التين).

وكان بيرتون عبقريا يجيد ٢٥ لغة وأربعين لهجة .

آه يا ريتشارد بيرتون

ها أنت في الإسكندرية التى بناها الإسكندر الأكبر وحلم بها نابليون وصلاح الدين وكليوباترا ويوليوس قيصر .

الميناء به حركة واسعة والشرطة فى كل مكان وعيون البصاصين ولصوص يترقبون غفوة الشرطة لسرقة بضائع أو سائح قادم .. باعة سمك يلقون بما لديهم من أنواع البحر المتوسط مراكب صيد قديمة متكئة على المراسى بإهمال تظن أنها مستهلكة فتكتشف أن بها صيادين .. وهناك مركب جاء به عبيد للبيع نساء ورجال وأطفال وفتيان من جنسيات عدة .. جرى إلي رجل مصرى شكله غريب شاربه طويل قال بالإنجليزية:

- ياخواجة أتحب شراء جارية أوربية فرصة بمائة جنيها ذهب .

أجبته باللهجة المصرية؟

- لا مش عاوز.

اندهش وضحك وظهرت أسنانه منهم سنتين ذهب،

- تعرف عربى ومصري فل الفل .. اسمع كلامى التاجر صاحبى .. والمركب جاءت من ساعة .
- لا.
- اسمع فرصة .. فرصة اشتري (جارية) تسليك وتحميك وتطبخ لك وعند سفرك بعها بضعفين.
- لا شكرا ..

أكثر محمد على من استقدام الرقيق واستعان بهم فى أمور شتى من بينها الجيش المصرى كان أغلبهم من العبيد فقد كان يزوج العبد الجديد من جارية ويسميه أسما مسلما ويزوجه من جارية اعطوها أسما عربيا .. ويمضى ستة أشهر يتعلم فيها اللغة العربية والقرآن ستة أشهر يتعلم فيها استخدام السلاح ويحمل الجنسية المصرية ويتقاضى راتباً فاخراً أو يزوجه من جارية محررة تحمل جنسية مصرية واسما مسلما وتعرف اللغة العربية . وازدهرت تجارة الرقيق فى القاهرة وتمت صفقات كبيرة بين جدة والإسكندرية وبين جدة والقاهرة . ورأى بيرتون وكتب فى مذكراته أن العبيد فى مصر يتعاملون معاملة انسانية طيبة

غير أوروبا لقد تضخم هذا الموضوع فالرقيق فى الشرق يحظى بمعاملة كريمة، لأن الشريعة الاسلامية تحث على ذلك.

بيرتون هذاالغريب الوسيم الغامض بيرتون القادم إلى الإسكندرية بحثا عن المجهول في كل شبر حتى عن منابع النيل مسحورًا بالشرق والحكايات والأساطير والغرائب والشرق وقتها يعني الهند ومصر والحجاز.. فى مصر استقبله صديقه جون .

فوجىء ريتشارد بمجموعة أطفال تنتظره فور نزوله من السفينة في الإسكندرية.

- الله يخليك ياخواجة ادينى فلوس لله.
- لله الله يكرمك ياخواجة ادينى فلوس لله.
- ربنا يحنن عليك ياطيب .. لله.

بعد حصارى من المتسولين فوجئت بساحة محتشدة بالحمارين والحمير معهم للنقل وجدت عربات يجرها حصانين وعربة يجرها حصانين وعربة يجرها أربعة خيول .

تشاجر حمالان على حمل حقيبتى..يشدان الحقيبة من يدى وأنا أتمسك بها خوفا من سرقتها.

- لا تخف يا أستاذ.
- لا تخف ياخواجة .

جاء شخص مفتول العضلات وأشار لى ولهم قائلا:

- هذا زبوني ..
- لا هذا زبونى أنا .
- أعطنا بقشيشا .

أربعة أطفال ورجلان يريدون بقشيشا.

ماذا أفعل ياربي؟ إنهم يستعطفوننى بإغراقى بالمديح .. وعند نقطة التفتيش وقفت.

قال المفتش وهو شرطى مصرى يرتدى زيا مدنيا يفتش الحقائب ابتسم لى ابتسامة مصنوعة:

- الحمد لله على سلامتك ياخواجة .
- شكرا.
- الله أنت بتعرف عربى؟

تركته ومشيت .. ناداني المفتش بصوت عال:

- أين تذهب أين البقشيش؟

ضحكت واجبته ببساطة:

- مفيش .

بعد أن انتهت إجراءات الميناء جاءني رجل وقال لي:

- يا خواجة .
- نعم .
- الله أنت تعرف عربي؟
- ماذا تريد؟
- أنا سأحملك على ظهري بدلا من الحمار والحصان والعربة التي تجرها الخيول كلها مكلفة وسأوصلك لأى فندق على البحر بنصف الأجر..

ضحكت وتركته واتجهت إلى عربة تجرها الخيول ركبت مع جون صديقى الذى ظل يضحك بقوة وأنا أتعامل مع المصريين عربة تجرها أربعة من الخيول تسير بين الحمير والحمالين.. على الكورنيش .. قال جون:

- ستذهب معى إلى البيت؟
- لا .. فندق أفضل أن أعيش براحتى وتعيش أنت براحتك .
- رخيص أم غال .
- متوسط .

كان جون صديقى فى لندن وهو يعيش فى مصر منذ خمس سنوات موظفا فى القنصلية فى الإسكندرية ركبنا العربة وسألت جون:

- جون أين مصر التى أخافت الغرب والدولة العثمانية؟

ضحك جون وقال:

- نحن أنهينا محمد على و أغرقناه فى الديون فالغرب له مصالح وما زاد حالة محمد علي باشا سوءًا كانت المصائب التي حلّت بمصر وعليه شخصيًا في أواخر عمره، ففي سنة ١٨٤٤م تبيّن لرئيس الديوان المالي شريف باشا، أن ديون الدولة المصرية قد بلغت ثمانين مليون فرانك، وأن المتأخرات الضريبية قد بلغت ٥٠٠،٠٨١،١٤ قرشًا من الضريبة الإجمالية المقدرة بحوالي ٥٠٠،٢٢٧،٧٥ قرش. وتخوّف الباشا من عرض الموضوع على محمد علي لما قد يكون له من وقع شديد عليه، فعرض المسألة على ابنه إبراهيم باشا الذي اقترح أن تقوم أحب شقيقاته إلى والده بنقل الخبر، إلا أن ذلك لم يكن له الأثر المرجو، فقد فاق غضب محمد علي ما توقعه الجميع، ولم يهدأ باله ويستكين خاطره إلا بعد مرور ستة أيام ....

وبعد عام من هذه الحادثة، أصيب بسعال وبصق دما وتنازل لأبنه إبراهيم باشا محقق أمجاد مصر العسكرية بجيش مصر المكون من العبيد والألبان والجراكسة - (مثل الجيش الامريكى الآن) - وبعد ٦ شهور من تولى إبراهيم باشا الحكم..مات فجاة فحزن محمد على باشا وأصيب بالزهايمر وإلى جانب ذلك الخشونة بالركبتين فكان من المفروض أن يتولى الحكم عمر طوسون لكنه مات أيضا فتولى الحكم عباس حلمى ابن عمر طوسون. كان عباس حلمى الأول شارك مع عمه إبراهيم باشا فى الحرب السورية، وقاد أحد الفيالق لكنه لم يتميز فيها بعمل يدل على البطولة أو الكفاءة ولم يملك من المزايا التى تلفت النظر سوى كونه حفيد رجل عظيم أسس ملكاً كبيراً، وسبب له هذا عقدة نفسية .. فسار إليه هذا الملك (ملك مصر)، دون أن تؤول إليه أى من مواهب مؤسسى القيادة لهذا الملك، فكان شأنه شأن الوارث لتركة ضخمة جمعها مورثه بكفاءته وحسن تدبيره وتركها لمن خلى من المواهب والمزايا.

وكان إبراهيم باشا لا يرضيه أفعال «عباس حلمى الأول» وسلوكه وميله إلى القسوة وكثيراً ما نقده ونقم عليه وكره نزعته إلى إرهاق الناس حتى اضطر عباس إلى الهجرة للحجاز، وبقى هناك إلى أن داهم الموت عمه إبراهيم .. كان عباس حلمى باشا فى الحجاز حينما لقى إبراهيم باشا ربه، فاستدعى إلى

مصر ليخلفه تنفيذاً لنظام التوارث القديم،. والغريب أن عباس حلمى حبس جده محمد على باشا فى جناح وعند وفاته خرج فى جنازته خمسة من الخدم ومعهم عباس حلمى الذى كان يكره أبوه لأنه كان يراه غبيا وعباس حلمى تولى الحكم لمدة خمس سنوات...

تولى عباس الحكم وهو يحمل حقدا لجده محمد علي الذى كان دائما النقد له... لأن محمد على بذل شيئاً من العناية فى تهيئة عباس حلمى لولاية الحكم، إذ كان أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً، وبالتالى أحقهم بولاية الحكم بعد إبراهيم باشا، فقد عهد إليه جده بالمناصب الإدارية والحربية، فتقلد منصب مدير الغربية، ثم منصب كتخدا وكان له من التصرفات ما ينم عن القسوة، وكان يبلغ جده نبأ بعض هذه التصرفات فينهاه عنها ويحذره من عواقبها لكن طبيعته الخشنة كانت تتغلب على نصائح جده وأوامره. فعمل على تغيير أسماء جميع المؤسسات التي تحمل اسم محمد علي (عادة فرعونية قديمة محو أسم السابق من الزعماء) كما ألغى عباس حلمى الأول الجيش المصري واكتفى بفرقة واحدة من الجيش جديدة مهمتها السير بالجنازات واستقبال الأمراء والملوك وبنى عدة قصور في الصحراء (في ذلك الوقت وحي الخرنفش والحلمية والعباسية وسميت المناطق على اسمه .. الحلمية والعباسية)..

وذكر فرناند دي ليسبس إن قصر العباسية كان يحتوي على أكثر من مئتي نافذة وكان ضخماً كبيراً مثل القصور الأخرى ..بات عباس حلمى مهتماً ببناء القصور ويصرف عليها ببذخ تاركا المؤسسات الأخرى بلا ميزانية .فألغى المدارس والتعليم المدني فقد كان يعتقد بمذهب محمد بن عبد الوهاب الذي تعلم بالأزهر الشريف بعد أن عاد إلى وطنه بلاد الحجاز ونشر دعوته هناك وعمل على نشر جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلاد الحجاز ومصر وبعض الدول الإسلامية حتى أن محمد علي قبض عليهم حين ظهروا فى مصر وأمر بسجنهم وجاء عباس حلمي وأفرج عنهم جميعا وذلك عندما تولى الحكم وتركهم ينتشرون في البلاد بقوة .وفي نفس الوقت رفع شعار.الأمة الجاهلة أسلس قيادة من الأمة المتعلمة..

....

الزمان: نهاراً .

المكان:قصر الخرنفش القاهرة..

يدخل الأمير سعيد على الديوان حيث يجلس (الخديوي عباس حلمى) وهو في حالة غضب وضيق يلمح عباس ذلك في عين عمه:

- **خيراً أيها العم العزيز ؟**
- **بلغني أنك أغلقت المدارس المدنية كلها في مصر ..هل هذا صحيح؟**
- **وما العيب في ذلك ياعماه؟**
- **هل التعليم حرام؟ أجبني؟**

يضحك عباس ساخراً:

- **التعليم مشكلة يحتاج إلى أموال كثيرة تجهدنا والدولة مديونة منذ عهد محمد على المؤسس..بسبب التعليم والمصريون لايحبون التعليم ..يهربون من المدارس ويسجلون اولادهم موتى حتى لا يلحقون بالمدارس ويتعلمون ..فلماذا جدك محمد على يتعب نفسه ويتعب الدولة ..باعباء الميزانية ؟**
- **أجبني هل التعليم حرام؟**
- **ماذا تريدنى أن أقول ياعماه؟**
- **هذه أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن التعليم حرام .. هل تؤمن بها أنت؟**
- **هذه حقيقة أي تعليم أى علم غير القرآن حرام .**
- **هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية الذي علمناه هنا في الأزهر ثم انقلب علينا يريد أن تعود الدولة للوراء فيقول إن التعليم المدني كفر والتعليم الديني هو الإيمان .. من أين أتى بهذه الفتوى؟ ثم تكوينه لجماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أليس هذا شكلاً من أشكال الفوضى والتدخل في شئون الدولة وإلغاء القوانين .أنت تحب ذلك أليس كذلك؟**

- وما الدليل على هذا؟
- ألم تقف في وجه جدك محمد علي بشأن القبض على جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم أفرجت عنهم كلهم بعد أن توليت الحكم، أو ليس هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي قاد انقلاباً في بلاد الحجاز ضد خليفة المسلمين في القسطنطينية؟ أليس هو الذي قاتل جيشنا جيش مصر العظيم بقيادة عمك (إبراهيم باشا) رحمه الله وهزمناه ..

يضحك عباس ساخراً:

- إلى متى نخدع أنفسنا لقد عاد عمي (الخديوي إبراهيم باشا) من بلاد الحجاز إلى القاهرة ومعه خادمين اثنين وترك هناك جيشنا المصري كله ثلاثة آلاف .. ثلاثة آلاف جندي مصري لا نعرف أين هم؟
- أين هم؟ أتسألني أنا!!! أين هم؟ هل عادوا ؟ لا ..هل تزوجوا هناك وأنجبوا ؟ هل أنضمو إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟ أنت من قمت بحل وتسريح الجيش المصري .. فكيف يعود الجيش المصرى؟؟ ولمن؟ لاتوجد سفن لنقلهم إلى هنا ولا مرتبات تصرف لهم فعاشوا في بلاد الحجاز في أي وظيفة سيعملون؟كيف يأكلون ويشربون كيف يعيشون؟؟؟هل سمعت في التاريخ أن هناك دولة بلا جيش؟ ثم إلغاء التعليم والمدارس ..

ضحك عباس وقال :

- الأمة الجاهلة أسلس قيادة من الأمة المتعلمة.أما بالنسبة للجيش فهم يحملون اسم جيش مصر ولكننا أنا وأنت نعرف أنهم عبيد اشتريناهم وحررناهم وزوجناهم وأعطيناهم الجنسية وعلمناهم الإسلام فهل هم مسلمون حقا؟؟ وهل هم مصريون حقا؟ وهل لهم أهل هنا أصلا .. لا تندم كثيرا ولاتحزن كثيرا .. الجيش فقط لحمايتنا وللإنقاذ وللزراعة فى حديقتنا وأرضنا أو نجمع بعض الناس للحروب مع الأصدقاء إذا طلبوا .. أما نحن لاحروب لجيش مصر بعد الآن ..
- ولماذا أغلقت الترسانة البحرية وسرحت العمال؟.

- لماذا نصنع السفن .ويمكننا أن نشتريها جاهزة ..
- ماذا سيكتب التاريخ عنك؟
- التاريخ هههههه .
- يا عمي العزيز لايوجد تاريخ .. التاريخ فن يخترعه البشر حكايات مثل الف ليلة وليلة ..التاريخ خليع يرتدى ثوب شيخ حين يريد .. انتبه جيداً أن الذى يحكم مصر الآن ليس الجد محمد علي .. بل أنا .. وأعتذر منك .. .حان الآن موعد صلاة العصر .. .وأنا سأقوم لأصلي وأنت كما أعلم لا تصلى إلا فى شهر رمضان .
- أتطردني ياعبوس ..
- لقد كبرت ياعم .ولا يصح أن تدللني بعبوس أنا الآن (خديوي مصر) .
- إذا أنت الخديوي ..

وخرج سعيد غاضباً

ألغى عباس كل شيء حتى المهندسخانة وبدأ يشك في كل من حوله فهرب الكثيرون إلى الأستانة في تركيا . فكر في قتل عمته نازلي ليورث ابنه الحكم من بعده.. .كما فكر في أغتيال عمه سعيد كذلك حتى يفسح لابنه مجالا واسعا للحكم. عباس حلمى الأول قليل التحدث مع الناس غريب الأطوار وكان يرى في المنام عمه إبراهيم باشا يطارده ويسأله ويعتب عليه .. .كيف سجنت جدك في غرفته ودفنته بما لايليق بدفن خادم حقير .. كان عباس يهب من نومه مفزوعاً.كل ليلة ويصلى ركعتين ويستغفر وينام ..

....

....

المكان / الإسكندرية مقهى على البحر .

الزمان/ عصرا.

يجلس بيرتون على البحر يشرب القهوة وأعجبته الشيشة ومعه صديقه جون الذى سكر وحكى عن حبه لبنت يهودية يونانية .. وأن أباها رفض زواجهما ..

و بيرتون ينصت باهتمام لما يقوله جون العاشق المسكين وهو ينظر إلى البحر ويرى بعض الحمارين ويسمع ضحكات النساء خلف الياشمك (الخمار) اللائى ترتديه النسوة وهن يركبن الحمير فينتبه للمشهد وبينما هما يجلسان فى المقهى هجمت الشرطة على المقهى ليجعموا من الجالسين أناس للذهاب إلى التجنيد فقد بدأت الشرطة تقبض على الناس حيثما يتجمعون فى المساجد أو المقاهى ..
كنا فى المقهى فقد سارعت الشرطة فأغلقت الأبواب وقبضت عنوة على القادرين بدنيا" فقد بدأت الحرب التركية الروسية (١٨٥٢ – ١٨٥٦) ودخلت مصر فيها إلى جانب تركيا طبعا، فكان اتساع حركة التجنيد ضروريا. ونظرا لعدم وجود جيش تم جمع الناس عشوائياً ليكونوا تحت شعار أطلقه رجال الدين(الجهاد الجهاد ضد روسيا الكافرة).....
ولاحظ بيرتون أن الشعب المصرى مؤمن بحركة "الجهاد" ضد روسيا الكافرة وكان متحمسا تحمسا حقيقيا.
قال جون:
- لا تندهش بيرتون .. أنت فى مصر كل شيء فيها يحدث .
فى ركن من المقهى حاول صموئيل أخو سيرين أن يهرب فقبض عليه القواس كما كان يطلق على الشرطى فى ذاك الوقت وقال له:
أنت بتهرب من الجهاد يا بغل؟
وضربه على قفاه..
- أنت رايح تجاهد ضد روسيا ضد الكفار ..
قال له صموئيل وهو يرتعش:
- أنا مسيحى .
- ايه الدليل؟
وضربه على قفاه مرة أخرى .. كان الشرطى يضرب كل شخص على قفاه بعنف قبل السؤال وأثناء الاستجواب .. هكذا كانت الشرطة تتعامل مع المصريين من أبناء الشعب .
- أنظر.

كشف صموئيل ذراعه للشرطى وأشار إلى الصليب المنقوش وشماً على ذراعه..
نظر الشرطى وقال:

- يعنى أنت مسيحى ..؟ كافر ..

نظر له صموئيل بغضب ..و قال له:

- أنا لست بكافر لا تقل ياكافر .

استرعى انتباه بيرتون هذا الموقف . ضرب الشرطى صموئيل على قفاه مرة أخرى وقال له:

- قلت لك امشي ياكافر .. .امشى ..

وضربه على قفاه مرة أخيرة..وكان بيرتون يراقب المشهد وأشفق على الناس وصاموئيل الذى يحاول التملص وإثبات أنه مسيحى وليس مسلما ..
ولاحظ بيرتون أن كل شاب فى المقهى قد ضربه الشرطى على قفاه قبل أستجوابه ترى لماذا تضرب الشرطة الشعب على قفاه فى مصر؟؟؟.وكيف يسكت الخديوى عباس حلمى الأول على إهانة شعبه .؟؟؟
والشرطى يسمى فى مصر القواس فى ذاك الزمان .. الشرطة كلفت فجأة بجمع وتجنيد وتكوين جيش عشوائي جيش دون تدريب لكى يذهب إلى محاربة روسيا الكافرة ومساندة تركيا المسلمة..
تجمعت النسوة أمام المقهى لترى الشرطة وهى تجمع الشباب رواد المقهى التى قبضت عليهم الشرطة للتجنيد كانت النسوة محجبات فقد انتهى عهد الاحتكار وجاء عهد الانفتاح وتدفق الأجانب.
سأل بيرتون جون:

- هل كل النساء المصريات محجبات .. ..؟ عفيفات..؟

ضحك جون قائلا:

- بعض السيدات ليس لهن من العفة نصيب سوى البرقع" ..
- معنى هذا أن الحجاب وحده لم يمنع ممارسة الرذيلة.
- كما أنه ليس دليلا عليها.

- هههههههه أعتقد أنى أعرف من كتب التاريخ أنهم كانوا يجمعون الناس لبناء القلعة بهذه الطريقة يقبض عليهم قراقوش من قاعة الأفراح والمآتم ليذهبوا سخرة لبناء القلعة ..
- ما رأيك يا بيرتون تعمل مشروعًا فى مصر لأنك معفى من الضرائب فيستند الوافدون على الامتيازات الاجنبية التى تعفيهم من الضرائب وتمنحهم الحق فى أن يحاكموا أمام قنصليات بلادهم
- هذا تجاوزا للحقوق الطبيعية للدولة المصرية ياجون؟
- عباس حلمي يريد الأجانب أن يستثمروا فى مصر فيعفيهم من الضرائب ومحاكمتهم لا تتم إلا أمام قناصل بلادهم .. يعنى القانون فى جيبك.

ضحك بيرتون ساخرا

....

....

جلس صموئيل على البحر بعد أن أفرج عنه من الشرطة بصعوبة كان ينفخ ....وبينما يسير بيرتون على الشاطىء وجده فجلس بجواره كان ريتشارد بيرتون مشفقا عليه وقال له بلهجة مصرية بها لكنة:

- هل أنت بخير؟
- شفت ياخواجة..
- شفت حبيبى أنا كنت فى المقهى أنت اسمك ايه؟
- صموئيل.
- أنا اسمى بيرتون.

صافحه..بيرتون

فى تلك الليلة ..

سكنت عند لاركنج صديق جون فى طابق من فيلته التى تطل على ترعة المحمودية فأصبحت أكثر حرية بعيدا عن عيون الشرطة التى تتدخل فى كل شيء فى مصر .. لكن عيون الجواسيس الأرمن تراقبنى فى كل حركة حتى وأنا أزور

الحمامات والمقاهى والأسواق لشراء مايلزمنى ..مصر وما أدراك مامصر حين تدخل السوق فى مصر يجب أن يكون لديك الصبر لأنك ستجلس على دكة وتتناول عدة فناجين مابين أربعة وستة فناجين ومرواغة البائع الذى يدخل حربًا معك ليحصل على أموالك بأى شكل ففى الشرق استرخى لاتفكر كثيرا أرح عقلك من التفكير لايوجد قلق الكل مقتنع بحالة وليس غاضبا ومستسلما للواقع اجلس على المقهى اشرب الشيشة أو القهوة أو العصير وانفخ فى الهواء والناس يذكرون اسم الله كثيرا حين يشربون الماء أو يتناولون الطعام عند شرب الماء لابد من الجلوس فحرام أن تشرب وأنت واقف إلا فى زمزم .. بدأت بزيارة المساجد كبيرها وصغيرها فى الإسكندرية ولفت نظرى مسجد أبو العباس الشيخ المغربى والأباصيرى صاحب البردة قصيدة يرددها المسلمون فى كل أرجاء العالم .. كان معى زجاجات صغيرة هى علاج مثل زيت السمسم زيت النعناع وزيت وغيرها فكنت على علم بالعلاج بالأعشاب ..

....

....

الزمان / عصرا

المكان / منزل عم حبيب والد سيرين .. غرفة الإعاشة

الكنب الخشبى الجميل صورة العذراء على اليمين صورة المسيح على اليسار .. سجادة من الحرانية أخذها عم حبيب تخليص حق وسداد ديون من أحدهم..دق الباب بعنف فتحت الباب سيرين دخل صموئيل أخوها صائحا غاضبا فى وجه الجميع:

- غير معقول .. هذه ليست بلدا نحن لسنا حيوانات..نضرب ونهان ونساق إلى السجون

نظر له عمه حبيب مستغربا:

- ما بك ياولد؟
- إلى متى نعيش هكذا؟
- لم أفهم ياصاموئيل؟

- أليست مصر هذه بلادنا .. مملكتنا نحن المسيحيين؟
- اسمع يا صموئيل عندما سأل بيلاطس السيد المسيح (أأنت ملك اليهود؟)أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم اقرأ إنجيل يوحنا ١٨ من ٣٢الى ٣٦.. وفى موعظة الجبل قال يسوع طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات .. اقرأ إنجيل متى من =٥ من ٣ إلى عشرة .. المسيحى المؤمن يؤمن بمملكة السماء ويطمح اليها..
- أنا أعيش على الأرض .وأرض مصر مملكتى والمسلمون أخذوها منا ..
- إذا أنت يا صمو ئيل اخترت الدنيا والدنيا مهينة .
- لماذا ندفع الجزية .؟؟. نحن مصريون نحن أصحاب البلاد .. لماذا ندفع جزية ؟ لماذا لانلتحق بالجيش ونتولى المناصب الكبيرة ؟

قال حبيب وهو يبتسم:

- عندما سأل مجموعة من الناس السيد المسيح (أيها المعلم إننا نعلم أنك صادق. فقل لنا أيجوز أن ندفع الجزية لقيصر أم لا؟؟ فقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله .. اقرأ إنجيل متى ٣٢: من ١٦ إلى ٢١ وقال القديس بولس هذه طبيعة المملكة الدنيوية التى تفرض على الإنسان مجموعة من المحن والآلام التى ينبغى عليه أن يتقبلها العبودية محنة والفقر محنة وقد تكون الثروة محنة أيضا مهلكة لصاحبها وملقية به فى عذاب جهنم ..

نظر صموئيل بدهشة وغضب وقال والدموع الغاضبة فى عينيه :

- إذا أنت تقبل أن يقول الشرطى لى أنت مسيحى يعنى كافر؟

نظرت له سيرين وقالت:

- أنت صمو ئيل تقول عن سلمى إنها كافرة لأنها مسلمة ..
- نعم. كافرة كافرة ..
- آه يا أخى يا كاذب أنت تحبها وتعشقها .. يا ابن أبى وأمى .

قال الأب حبيب:

- كفى جدالا.

نظرت سهر إلى أخيها:

- وقلت على سارة اليهودية كذلك إنها كافرة .
- نعم هى كذلك .
- نحن نراهم كفارا والمسلمون واليهود يرونا كافرا ..
- إذا ما الحل؟ .

ضحكت سيرين وقالت له:

- نسكت. وتجلس. نأكل دجاج أمى طبخته مع الكوسة.

نظر صموئيل إليها بغضب ولعب فى ذقنه قائلا :

- أتسخرين منى.؟

ضحكت:

- يا ابني كل كوسة ودجاج أحسن لك ..
- والله أروح أعمل برم وأريحكم منى ..
- برم يعنى ايه؟

رد أبوها عم حبيب :

- يعنى يعلن إسلامه حتى يحصل على وظيفة و بالإضافة لا يسدد الجزية ..
- ممكن يعمل أى شىء .
- أنت تظننى هكذا .
- أنا لا أظن شيئا .

ردت سيرين:

- يا أبى أنا خارجة؟

رد صموئيل :

- أين تذهبين؟
- أبى الذى يسألنى يا صموئيل أنا ذاهبة للكافرة سلمى تحب تيجى معايا تكفر شوية

تبتسم بسخرية نظر لأبيه:

- أنت تاركها تصاحب البنات المسلمات. الكافرات؟

رد الأب عم حبيب :

- ليس لك شأن هى ضيفة... البنت ضيفه إلى أن يأتى العريس لها و يأخذها.؟

خرجت سيرين وأغلقت الباب خلفها..كان صوتها الجميل يخترق قلب الحجر قبل أذن السامع لكن صوت سلمى أحلى وتتهدج روح من يستمع .. هى التى رفضت أبناء العم الذكور وأبناء الخالات .. وتتدلل وكأنها نادمة لأنها لم تقابل وتعشق نابليون الذى سمعت هنه وجهه أحمر وشعره أصفر ووسيم يابختها من أحبته وأحبها مثلما قابلته وعشقته زينب بنت خليل البكرى نقيب الأشراف

قالت سهر لشهرزاد ما حكاية زينب بنت خليل البكرى

قالت شهرزاد لسهر:

زينب مقصوفة الرقبة التي عشقت نابليون وعشقها وارتدى من أجلها الجلباب الأبيض وادعى الإسلام

- ماذا تعني يا خالتي مقصوفة الرقبة؟؟

- يعود أصل معنى هذه الجملة إلى حادثة زلزلت الكيان المصري وقتها.

وهي حادثة مقتل زينب بنت الشيخ خليل البكري الصديقي نقيب الأشراف وشيخ السادة البكرية .. (من أحفاد أبي بكر الصديق) . حيث قُتِلَت زينب في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢١٦ هجرية، الموافق ٤ أغسطس سنة ١٨٠١ ميلادية.

لا أحد حتى الآن يدري أين دُفِنت زينب البكري، لكن كتب التاريخ كلها كتبت عن سبب قتلها الغالبية حَمَّلوا والدها تبعات ما اقترفته من خروج عن الأصول، والبعض رأوها حادثة عرضية تبدأ الحكاية بدخول الحملة الفرنسية إلى مصر، ثم اتفاق الهدنة بين المشايخ ونابليون قبيل اندلاع ثورة القاهرة الأولى في أكتوبر سنة ١٧٩٨ م... وينتمي الشيخ البكري إلى بيت من أكبر البيوت المصرية يعود في أصوله إلى أبي بكر الصديق، وهناك طريقة وسجادة باسم السادة البكرية، وكان شقيقه يتولى مشيخة السادة البكرية، ولما توفي كان من المفترض أن يتسلم خليل المشيخة خلفا له بالإضافة إلى منصب نقيب الأشراف، ولكن أسرته والأعيان رأوا أنه لا يصلح للمشيخة أو النقابة لما فيه من الرعونة وارتكابه أمورا غير لائقة، على ما يذكر الجبرتي، كما عرف عنه ولعه الشديد بالغلمان.

وخاصة الغلام رستم ..
تودد الشيخ البكري إلى نابليون وواصل تقديم الهدايا إلى الفرنسيين، وفتح لهم بيته ليترددوا عليه وقضاء السهرات به، وبدأ الأهالي يرددون أن هناك علاقة بين نابليون وابنة الشيخ الشابة الصغيرة التي كان عمرها قد بلغ (١٦) سنة .. وكان الشيخ خليل البكري أحد أعضاء الديوان الذي شكله نابليون فور دخوله إلى مصر.
لكن كان عمر مكرم هو نقيب الأشراف خلفاً لشقيق الشيخ خليل البكري، وغادر عمر مكرم متوجها إلى الشام فور دخول الحملة الفرنسية إلى مصر وذلك استعدادا للثورة.
بعد دخول الحملة الفرنسية إلى مصر وتعيين البكري عضوا في الديوان، اتخذ قراراً مفاجئا للغاية بالنسبة للمشايخ، حيث توجه إلى نابليون و أخبره بأن نقابة الأشراف اغتصبت من البكرية على يد عمر مكرم، وهو الأحق بها بحكم أنه شقيق النقيب الأسبق.
فأصدر نابليون قراراً بتعيينه نقيباً للأشراف..كانت زينب ممشوقة القوام سمراء نحيفة تشبه الفرنسيات وسمراء جميلة ورفض نابليون ٦ مصريات بدينات اختارهن أحد القوادين له وكانت زينب تشبه زوجته جوزفين وكانت متبرجة غير محجبة وترتدى ايشاربات ملونة وفساتين مزركشة كانت أجمل بنات مصر وكان أبوها يسهر مع نابليون ويسكر ويشرب وهى تغنى وكان نابليون يحبها ولكن المشكلة كانت لا تجيد اللغة الفرنسية ولا تعرف مثل جوزفين فن العشق في السرير .
وما لبث البكري بعد تعيينه إلا أنه أخذ إدارة الوقف من النقابة، وسكن أفخر المنازل، وصار له ود مع الفرنسيين لدرجة أنه كان من أكابر الديوان.
ويصف الجبرتي حاله بأنه كان وافر الحرمة مسموع الكلمة مقبول الشفاعة عند الفرنسيين.
تستمر السنوات القليلة في التقدم وتثور القاهرة على الفرنسيين وعلى الشيخ البكري نفسه حيث هاجمه أناس كثيرون وصفهم الجبرتي بـــ «المتهورين من

العامة»، فنهبوا منزله وهتكوا حرمة منزله وعَرَّوا البكري من ملابسه فضلا عن اعتداءهم على حريمه وسحبوه مع غلامه رستم بينهم مكشوف الرأس من الأزبكية إلى وكالة ذي الفقار بالجمالية وبها عثمان كتخدا الدولة فشفع فيه الحاضرون وأطلقوه بعد أن أشرف على الهلاك.

وأخذه الخواجا أحمد بن محرم إلى داره وهدأ من روعه وألبسه ثيابًا وأكرمه وبقي بداره إلى أن انقضت أيام الثورة بانتصار الفرنسيين وعندها ذهب إليهم وشكا لهم ما حل به بسبب موالاته لهم عرضوا عليه ما نهب ورجع إلى الحالة التي كان عليها معهم وكانت داره خربها النهابون فسكن ببيت البارودي بباب الخلق ثم انتقل منه إلى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلي بحارة عابدين وجددها.

ويحل شهر أغسطس من عام ١٨٠١م، ليكون البكري و الحملة الفرنسية على موعد مع القدر فالحملة الفرنسية أعلنت رسمياً ترك الديار المصرية وحكمها، وتقرر خروج عساكرهم في آخر الشهر. أما الشيخ البكري فكان قدره مختلفاً.

فقد اجتمع ممثل من الدولة العثمانية وواليها على مصر محمد خسرو باشا وبعض من المشايخ لمحاكمة الشيخ البكري من منصبه لتهم عديدة كان أخطرها سفور ابنته التي لم تتجاوز السادسة والعشرين عاما.

ساق الجبرتي وقائع المحاكمة حيث قال «وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه ــ أي في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢١٦ هجرية، الموافق ٤ أغسطس سنة ١٨٠١ ميلادية ــ طُلِبَت ابنة الشيخ البكري وكانت ممن تبرج مع الفرنسيس بمعينين من طرف الوزير فحضروا إلى دار أمها بالجودرية بعد المغرب وأحضروها ووالدها فسألوها عما كانت تفعله فقالت:

– إني تبت من ذلك..

فقالوا لوالدها:

– ما تقول أنت؟؟

فقال:

– أقول إني بريء منها فكسروا رقبتها.

وحملت التهم وجود علاقة غير شرعية أقيمت بين زينب و نابليون بسبب قرب

أبيها منه.

ولتبرجها تأثراً بالحملة، لأن التبرج لم يكن يستدعي القتل، فضلا عن أن المحاكمة في ذلك اليوم كانت للنسوة اللاتي فجرن، وبعد محاكمة ابنة البكري كانت محاكمة المرأة المسلمة التي تسمى هوى التي كانت تزوجت نقولا القبطان وهربت بعد الحملة، وقضت المحكمة بقتلهن جميعاً .

فيما حوكم الشيخ خليل البكري بتهمة اقتناء الغلمان، حيث كان لديه مملوك جميل اشتراه وشغف به، اسمه رستم الذي أهداه الشيخ البكرى إلى نابليون وسافر رستم إلى باريس مع نابليون وانقطعت أخباره. ترى هل كان نابليون يحب الغلمان مثل الشيخ البكرى؟ سؤال لم يجب عليه التاريخ.. ولكن البكرى واجه أيضا فسخ العقد الذي كان قد عقده لابنه على بنت السيد محمد أفندي البكري وعاش خليل البكري بعدها وحيدًا منزويًا بعيدا عن الأضواء، ومات في زمن محمد علي باشا دون أن يشعر به أحد...أما زينب فقد حكم عليها بقطع رقبتها ومن هنا جاءت كلمة مقصوفة الرقبة..

شهقت سهر أمام شهرزاد:

- يا ويلى يا ويلى احكي يا شهزاد ماذا فعلت سلمى وهل قابلت بيرتون
- ذكرتنى ببيرتون

....

....

المكان / الفندق/ الإسكندرية

الزمان / ليلا.. شرفة تطل على البحر

يجلس جون أمام بيرتون.. بيرتون يصب كأسا ويشرب وينظر إلى جون وقال له:

- هذا آخر كأس سأشربه ياجون؟
- لم أفهم ريتشارد
- أنا برم من صباح الغد .. سأقول أنا مسلم من جذور مسلمة
- ههههههههههه أنت سكرت.
- المصريون وجدو الحل كن (برم).

- ستعلن هذا .؟
- نعم كى أزور الحجاز وأدخل إلى مساجدهم.. وأجلس مع شيوخهم وأكتب عنهم.
- هههههههههه إذا أنت (برم) من الآن ياصديقى بيرتون.

بيرتون فهم أن عباس حلمى يبدو به خلل عقلى فحكمه غريب الأطوار، شاذًا في حياته، كثير التطير، فيه ميل إلي القسوة، سيئ الظن بالناس، ولهذا كان كثير ما يأوي إلى العزلة، ويحتجب بين جدران قصوره. وكان يختار واحدا كل ليلة وبنى قصوراً في الجهات الموغلة في الصحراء أو البعيدة عن الأنس، ففيما عدا، حيث بني قصرًا بصحراء الريدانية (التي تحولت إلى أحد أشهر أحياء والتي سميت من ذلك الحين باسمه، الحلمية) وكانت في ذالك الوقت في جوف الصحراء، وقد شاهد دي فريناند ١٨٥٥ ضخامة القصر وذكر أن نوافذه بلغت ألفي نافذة، وأعطانا فكرة عن عظمة القصر واتساعه، فكأنه بني لنفسه مدينة في الصحراء، كما بني قصرًا أخر نائيًا في الدار البيضاء الواقعة بالجبل ولا تزال آثاره باقية إلى اليوم. وقصر بالعطف كما بنى قصرا فى بنها ضفاف بعيدا عن المدينة، وهو القصر الذي قتل فيه.

وقد أساء الظن بأفراد أسرته وبكثير من رجالاته وخيل له الوهم أنه يرى إبراهيم باشا كل ليلة فى المنام ويشك فى كل من حوله وأنهم يتآمرون عليه فأساء معاملتهم وخشي الكثير منهم على حياتهم فرحل بعضهم خوفًا من بطشه، واشتد العداء بين فريقين فريقه وفريق عمته نازلى طول مدة حكمه. وبلغ به حقده أنه حاول قتل عمته الأميرة نازلى " واشتدت العداوة بينهما حتى خافت نازلى وهاجرت إلى اسطنبول... وأخذ عباس يسعى إلى أن يولى ابنه الحكم من بعده في الحكم بدلًا من عمه سعيد ولكنه لم يفلح في مسعاه ونقم عليه سعيد الذي كان بحكم سنه تقريبا واتهمه بالتآمر وأقام هناك بسراي القباري.

وانتشرت الجاسوسية في عهده انتشارًا مخيفًا، فسار الرجل لا يأمن على نفسه من صاحبه وصديقه، وكان من يغضب عليه ينفيه إلى سجن خفى ويصادر أملاكه. وكان نفي المغضوب عليهم إلى أقصى الصعيد من الأمور المألوفة في

ذلك العصر. وكان الاختفاء للبشر ظاهرة فى تلك الفترة ..وكان مولعًا بركوب الخيل والهجن، ويقطع بها المسافات البعيدة في الصحراء، وله ولع شديد باقتناء الجياد الكريمة حيث كان يجلبها من مختلف البلاد ويعني بتربيتها عناية كبرى، وبني لها الاصطبلات الضخمة وأنفق عليها بسخاء شأنه شأن هواة الخيل.

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقف ضد تأسيس الدولة السعودية الأولى فساعده الإنجليز على التعاون مع الملك عبد العزيز . و قام محمد بن عبد الوهاب بإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هناك وقام عباس حلمى بتكوينها فى مصر وما أدراك ما مصر مرة ملحدة فى عهد موسى ومرة مسيحية ومرة مسلمة سنية فى عهد عمرو بن العاص ومرة شيعية في عهد الفاطميين. وحينما أحل عباس حلمي صارت مصر وهابية وصارت بلدا بلا جيش وبلا تعليم وألغى المدارس.مصر وما ادراك ما مصر !!

....

....

الزمان / ليلا

المكان / فندق على شاطىء الإسكندرية

وصل ريتشارد بيرتون إلى فندق جديد ..ولم يتركنى جون بعد أن أمضى عدة ساعات وقد اطمئن على بيرتون حين علم وشاهد أنه يجيد العربية واللهجة.. صاحب الفندق يجلس يشرب شيشة وأمامه كوب شاي.

- **أهلا وسهلا..**
- **أهلا بك..**
- **الله أنت بتعرف عربى؟**
- **نعم .**

قام الخادم فى الفندق بوضع قطع فحم مشتعلة على الشيشة.. لكن يلتقط قطعة مشتعلة من على الأرض.. ضربه صاحب الفندق على قفاه بغضب.

- **حاسب ياروح أمك كنت ستحرق الثوب الجديد..**
- **آسف يامعلم.**

ضربه المعلم على قفاه مرة ثانية .

- هات الفلكة؟

وأتى رجلان بالفلكة..قطعة خشب مربوطة بحبل توضع فيها القدمان يمسكها رجلان والثالث يضرب ولم أعرف أن الضرب بالفلكة أو الفلقة من الأمور المعتادة كأحد أساليب العقاب في مصر بعدها قال المعلم:

- خذ حقيبة الأستاذ وأوصل الأستاذ لغرفته..

حملها صبى الفندق إلى الغرفة. وهو يبكى .لكن الصبى وقف جامدا ومسح دموعه فى كمه قلت له:

- شكرا.

- عفوا.

لم يتحرك. نظرت له:

- شكرا.

- البقشيش..

- اوه نسيت ..

أخرجت بعض النقود وأعطيتها له . البقشيش إنها أسوأ كلمة سمعتها فى كل ركن فى مصر.أغلقت الباب .. ثم فتحت البالكون لأرى البحر وأرى تلك المدينة التى بناها الإسكندر الأكبر وأحبها نابليون ويوليوس قيصر ورأيت هؤلاء العظماء يحيوننى فى فضاء بحر الإسكندرية ألقيت بالحقيبة فوق الدولاب خبأت المال فى محفظة على بطنى فوق السروال ونزلت مسرعا كى اكتشف الإسكندرية التى قرأت عنها كثيرا ..

إسكندرية.. إسكندرية ماهذا؟ المدينة مقلوب كيانها كانت ذات يوم عاصمة مصر المشهورة أفسدوها الإسكندرية التى أراها الآن يفترض أنها جافة وهى أمامى ليست جافة.... ونافورتها التى يفترض أنها عامرة بالمياه فهى جافة وحين سألت قالوا إنها دائما جافة .. ومسلة كليوباترا لا هى مسلة ولا لها علاقة بكليوبترا وعمود بومباى لاعلاقة له أبدا ببومباى .. وحمامات كليوباترا مكانا لا

حمامات فيه على الإطلاق والحى الليبى وهو مكان رائع فهو رغم روعته مقام على قاعدة بربرية غير متحضرة .. جلسنا أنا وجون الذى أصر على أن يلازمنى جلسنا نشرب الشيشة والشاى فى مقهى .. الإسكندرية والشيشة والجرسون يريد بقشيش.. والمتسولون يمرون

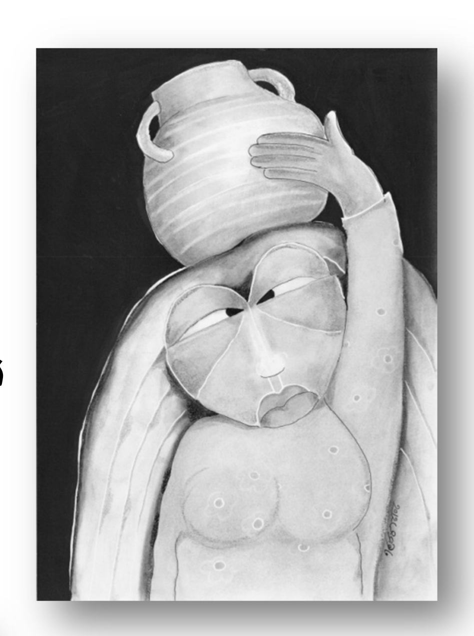
- **ادينى حاجة لله..**
- **ادينى بقشيش ..**

فى كل مكان متسولون وطلب بقشيش ما السر؟ هل هو الفقر؟ أم مهنة؟ أم غياب الدولة؟

وهنا قابلت صموئيل للمرة الثانية

- **اهلا يا خواجة بيرتون**
- **اهلا بك.**

الفصل الثانى



العنوان الأول
هناك كتابة
تشبه الكتابة ونساء تشبه النساء

العنوان الثانى
ربما نسيت أفراحى فى كحل
عينيك
إن غبت عنى غابت أفراحى
وإن جئت لى عادت مهللة..

المكان / بيت سهر
الزمان / نهاراً
(غرفة النوم .. تستلقي سهر على السرير ترتدي روباً أبيض من الحرير الطفل ينام بجوارها هادئاً .. وأمامهما صينية عليها مشروبي المتى والقهوة وزجاجة ماء والخادمة الفلبينية التي أتت بها سهر من مكتب الخدم بعد أن أقنعت منقذ بضرورة وجود خادمة .. الطفل الصغير ينام .. في ملابس أنيقة ومازالت تتوالى الهدايا على الصغير ..)
قالت سهر احك لي ماذا فعلت سلمى وسارة وسيرين .ضحكت شهرزاد وقالت :
- وبيرتون أنسيتى ريشارد بيرتون
- نعم ماذا فعل في الإسكندرية؟
- كان يا مكان ريتشارد بيرتون هذا الغريب العجيب
....
....
الزمان / عصراً
المكان / مقهى على شاطىء بحر الإسكندرية يجلس بيرتون ينتظر جون صديقه.. وبينما يجلس يشرب الشيشة والقهوة دخل عليه صموئيل :
- صباح الخير ياخواجة.
- صباح النور.
جلس بجواره ودون أن يستأذنه في الجلوس :
- شفت بعينك ياخواجة . العسكري المصري شايف الصليب في إيدي ومش مصدق إني مسيحي.
- شفت .. نعم .. ماذا يريد منك؟ الموظف في مصر والشرق لا يمكن التعامل معه إلا بالتهديد أو الرشوة أو الإلحاح الشديد بكثرة التردد عليه مصحوباً بالمعارف والأصدقاء.أعرف هذا .. لاحظته..
- من أنت ياخواجة .؟

- أنا؟؟ بيرتون . ولدت سنة ١٨٢١ من أصول إنجليزية وإيرلندية وربما فرنسية وأنا أول أوروبى يكتشف بحيرة تنجانيقا، وقد نشرت اثنين وأربعين مجلداً عن رحلاتي وترجمت إلى الإنجليزية من العربية والفارسية وغيرها ثلاثين كتاباً بما فيها النص الأصلي لألف ليلة وليلة " أتقن خمس وعشرين لغة وأربعين لهجة.
- ياه ياه وبتعرف إنجليزي كمان؟

ضحك بيرتون ..ضحكة طويلة ونظر له مشفقا :

- طبعاً أعرف. الإنجليزية والفرنسية والإيطالية واللاتينية واليونانية بالإضافة إلى اللغات الشرقية، التحقت بجامعة إكسفورد وتركتها سنة ١٨٤٢ لأعمل ضابطاً بالجيش البريطاني في الهندسة أثناء خوضه الحرب ضد السند(باكستان الآن)، وأزور مصر وأنا في طريقي للحجاز الآن سنة .. ١٨٥٣
- هل أقول لك سرا؟
- ماذا؟
- الشرطة تراقبك .. القهوة مليئة بهم .
- تعودت على هذا .. الشرطة في مصر تتطفل كالشرطة في روما وميلان
- هههههه تحب أن تتعرف على دكان أبى؟
- هههههههههههه موافق
- ماذا لك في مصر يا خواجة؟
- أنا تاجر خيول وجئت راغباً في اكتشاف إمكانية افتتاح سوق للخيول بين وسط شبه الجزيرة العربية والهند، فالخيول العربية شهيرة بسمعتها..
- مصر مشهورة بالحمير أبي يقول لنا هذا؟
- نعم أعرف أنا أريد الخيول العربية من شبه الجزيرة العربية وليس الحمير .

سرنا فى الشوارع أنا وبيرتون حتى وصلنا إلى دكان أبى ثم قلت له:

- تفضل ياخواجه..

- أتفضل أين؟
- ادخل هذا دكان أبى وورشته حتى تتعرف عليه.

دخل بيرتون معي ظن أبي أن الرجل سائح ويريد شراء شيئاً فقام مرحباً .

- أهلا وسهلًا .

نظرت إلى أبى وقلت له:

- هذا صديقي بيرتون جاء إلى مصر يشترى خيولاً ؟

لوح أبي بيديه ممتعضًا فقلت له:

رد بيرتون:

- اهلاً وسهلًا عم حبيب .

اندهش أبي بفرح.. قائلًا:

- أنت تتكلم عربي معقولة؟
- ولهجة مصرية كمان .

فرح عم حبيب بأن الضيف يتكلم اللهجة المصرية وأنه دخل دكانه نظر إلى أبنه صموئيل:

- ادخل اعمل قهوة للضيف ولي فنجان
- وأنا يا أبى؟ وأنت . كوباً صغيرة حتى لا تدمن على شرب القهوة .
- لماذا يا أبي؟
- لكي لا تدمنها مثل الشباب .
- عفواً ياخواجة
- أجلس .. قلت لي ما اسمك؟
- بيرتون.
- أهلا يا بيرتون كيفك..وكيف الوالد والوالدة؟

دخل صموئيل إلى داخل الورشة ليعد القهوة .. وجلس بيرتون على كنبة وفجأة اقتحم المكان عطر وجمال سيرين .

- يا أبى يا أبى .

- نعم.
- أمي تقول لك عاوزين لحمة وتقول لك إن صموئيل يتسكع في المقاهي وترك البيت منذ ساعتين

ضحك بيرتون ونظر إلى حبيب:

- هذه ابنتك؟
- نعم.

خرج صموئيل يحمل القهوة ونظر إلى أخته هامسا:

- أنا لا أتسكع؟ أنا هنا..أعمل مع أبي. قولي لأمك حتى تستريح أمك..

نظرت سيرين إلى بيرتون بإعجاب شعره أصفر عيونه ملونه .. أعجبته سيرين فهي جميلة وصوتها حلو المذاق على الآذان ..

قال حبيب وهو يعطيها النقود:

- أقول لك اشتري سمكًا بدلاً من اللحم واعملي صيادية(أرز بالبصل لونه أحمر) عشان عندنا ضيف .
- ضيف من؟
- أمامك أهه بيرتون .

رد بيرتون:

- متشكر جداً.

رد حبيب:

- أهلا وسهلًا .

خرجت سيرين من الدكان فرحة وهي تتجه إلى سوق السمك ففوجئت بسلمى في الطريق ضاحكة :

- أين أنت يابنت؟
- المطر والبرد غرق اسكندرية نوة شديدة لمدة أسبوع.
- أبي أعطاني ريال حتى أشتري سمكاً.
- ريال مرة واحدة؟!

- عندنا ضيف خواجة بيتكلم عربي ومصري كمان وشعره أصفر وعينه خضراء.
- من هو؟
- بيرتون؟
- من أين جاء يا بنت؟
- من السماء ..
- دا حلمك يابنت .. ؟
- وأنت أين تذهبين؟
- سأشتري بنص فرانك سمك..

وبينما هما في السوق ظهر عمر أخو سلمى مع صديقه نمر تاجر السمك اتجهت له أخته سلمى:

- أنت هنا كيف خرجت من البيت وأنت مريض و تعبان؟

نظر إلى سيرين .

- أنا شفيت الآن .

قال نمر:

- أنا أخرجته ليتمشى ويشم الهواء النقي ..

نظرت سلمى وهي تمتعض وتعض على شفتيها:

- أنت غلطان يا نمر؟
- لماذا غلطان خير إن شاء الله؟
- هو مريض.. كيف يخرج ..؟؟
- هو مثل الجن ومثل الفل..

نظر عمر إلى سيرين:

- كيفك ياسيرين؟

هربت بعينيها .. وردت:

- بخير .. ألف سلامة عليك؟

نظر نمر إلى الفتاتين ..

- هل ترغبان أن أساعدكما؟ . تحبوا تشتوا إيه؟ بوري؟ بلطي؟ قراميط؟

ردت سيرين:

- أنا أريد تشكيلة بنص ريال .او ريال.
- ريال فقط؟؟!!
- قليل؟؟
- لا .. .وليس كثيراً ..
- من عيوني. هاتي الريال ياقمر .

ضحكت سيرين وغمزت . اغتاظ عمر.

- ماذا تقول يانمر عيب عيب كده هذه صديقة أختي ..؟
- لم أقصد شيئاً والله.

ردت سيرين:

- لا يقصد شيئاً ..

اغتاظ عمر من ردها تركها ومشى ممسكا بيد أخته:

- هيا ياسلمى أمامي دعيها .

ردت سلمى:

- ما بك هذا عيب والله .
- قلت لك امشي أمامي.

مشت سلمى بعد أن غمزت لها سيرين .

نظر نمر إلى سيرين قائلا :

- الولد عمر بيحبك يابنت الإيه؟
- بتقول إيه ياراجل .؟
- لونه انخطف عندما رآك وتلون وجهه.
- ماذا تقول .؟
- وكمان بيغير عليك.

- ماذا تقول؟
- الحقيقة وعرفت دلوقت من التي يحبها عمر .
- نعم
- طلعت أنت ياسيرين .
- أنت مجنون ياولد..
- لماذا؟
- أنا قبطية وهو مسلم؟
- وماذا بها؟ الحب لا يفرق بين الأديان .
- أقول لك أنت مجنون يارجل .
- الحب ليس عيباً .؟ أنا أقول لك ماشاهدته.
- هات الريال لن أشتري منك شيئا .
- خلاص خلاص سأعطيك السمك..لاتغضبي.

وأخذ ينادي:

- بيلعب بيلعب السمك طازج وبيلعب..العب ياملعب .

خرجت سيرين من محل نمر تاجر السمك وهي غاضبة ..

ما الذي يقوله هذا المجنون؟ أقول له مسيحية يقول لي وماذا بها .. يريد أن يسبب مشكلة .. معقول كلام هذا المجنون ..

....

....

الزمان / نهاراً

المكان / الشوارع

تسير سلمى مع أخيها عمر وهو غاضب.

- ماذا بك هل جننت كيف تغضب وتصيح في نمر صديقك ..؟
- صديقي؟ قليل الأدب.
- لماذا؟

- ألم تسمعي ماذا قال؟
- قال لسيرين ياقمر .مابها؟ .
- دي قلة أدب.
- هي قمر فعلاً ..
- لنفسها.
- أنت بتغير عليها ياعمر؟
- أنا.
- لا.. أنا.
- اسكتي .وكفى عن تخاريفك..
- سكت حاضر.أنا بخرف
- غريبة..

....

....

المكان / بيت سيرين

الزمان / ظهراً

تقوم سيرين بتنظيف السمك مع أمها في المطبخ ..

أمي تثرثر ولا تكف عن الثرثرة كلما رأتني أقف أساعدها تحكي لي عن جدي و الكنيسة وجيراننا المسلمين واليهود وعن الجو البارد والبحر والأسكندرية ونظرت لي متسائلة:

- الخواجة الذي يدعوه أبوك للغداء . هل يتكلم العربية؟
- لا ..
- لا ماذا؟؟
- لا يا أمي إنه يتكلم اللغة المصرية .
- ملعون..
- وسيم..

- ياقليلة الأدب أنا لم أر أباك إلا في ليلة الدخلة .
- غلط..
- اخرسي ونظفي السمك جيداً ..

أحاول أن أهرب مما قاله نمر السماك عن عمر إنه يحبني ويغار علي؟ معقولة..يقول عيناه فضحته .. هو الوحيد الذي رأى جسدي الجميل. ترى هل أحبني قبل أن يراه أم بعده؟ على أية حال هو شاب مهذب.. ومحترم.. وصديق أخي صموئيل .. ثم أولاً وأخيراً هو أخو صديقتي سلمى.

....

....

المكان / بيت سلمى

حجرة الإعاشة

الزمان/ عصراً

يجلس عمر ممداً على الأريكة منتظراً تجهيز الطعام يحاول أن يغمض عينيه فيرى صورة سيرين وهي تضحك وتغمز لنمر السماك.

ترى هل أعجبها؟ لا .. هي بنت محترمة .. ربينا معاً وأخوها صموئيل صديقي هل أنا أحبها مثلما قالت سلمى؟؟ هل أنا أغير عليها؟؟ هل يمكن أن يحدث هذا...؟ الحب .. ماذا يعنى؟؟

هل هو هذا الحب؟

....

....

المكان/ حجرة الإعاشة في بيت سيرين

الزمان/ عصرًا

جلس بيرتون يتناول الطعام في حجرة الإعاشة .. مع الأب عم حبيب .. الذي نظر إلى بيرتون قائلًا:

- أنا كنت فاكرك يهودي؟
- لا أنا لست يهودياً .. هل تكره اليهود؟

- نعم لا يؤمنون بأقوال المسيح في العهد القديم ورفضهم للمسيح برغم أن جميع نبوءات أنبياء العهد القديم عن المسيح المنتظر والنسل الآتي والملك الموعود قد تحققت فيه،
- أنت لست رجل دين ياحبيب.
- أعرف.
- تعرف ماذا؟
- نحن أصحاب أرض مصر.

ضحك بيرتون :

- يعنى أنتم المسيحين أصحاب أرض مصر واليهود نطردهم..؟ اليهود أيضا يقولون لنا في مصر نصيب. ونحن قبل المسيح كنا على أرض مصر أيام موسى ؟؟؟
- ههههههههههههههه كلام فارغ .
- دعنا من هذا الحوار والكلام .

دق الباب .. فتح الباب كان صوت حمدان ..

حمدان سمسار ذهب وفضة غير معلومة المصدر له يد مع الحكومة والشرطة من يريد بيع شيء أو شراء شيء يأتى إليه .. ولا أحد يسأله لأنه مضمون رجال الشرطة الفاسدون شركاء معه في الخفاء .. اللصوص لادين لهم ويتعاملون مع الجميع بأمان له .. قال حمدان وهو يضع البالطو على كتفه:

- يا معلم حبيب أين أنت .؟ ذهبت إلى الدكان فلم أجدك .. قالوا لي ذهب للغداء في البيت؟ أنت عادةً تتغدى كل يوم في الدكان .. فقلقت عليك جداً .. فجئت إلى البيت أطمئن عليك . خيرا؟
- عندي ضيف .
- من؟

أطل حمدان برأسة من فتحة الباب ليعرف من الضيف فصاح مهللا ودفع الباب داخلا :

- اهه بيرتون؟ أعرفه واتابعه ..

نظر له حمدان ..

- تاجر الذهب و الفضة .اعرفه اراه فى القهوة

قال بيرتون بلهجة مصرية:

- لا تاجر ذهب ولا فضة .

ضحك حمدان .

- يا ابن العفريته بتتكلم مصري؟ في أي شيء تتاجر؟
- الخيول ..

هرش حمدان في رأسه ثم لعب في شاربه الأشعث .

- خيول؟
- نعم ..
- ليس لي سكة فيها.
- عندي لك شغلانه كبيرة. ياحبيب.
- خير؟
- الخديوي عباس أخذ كل مجوهرات وذهب أولاد إبراهيم باشا وهو في أسطنبول وطلب منا نصهر هذه المجوهرات ثم نجعلها سبائك من الذهب والفضة .. خلال يومين . فأنا وأنت نعملها معاً ونأخذ ربع الوزن .. وحسابي معك .
- من عيوني اتفقنا.. حمدان. نعم. تفضل للغداء معنا وكل السمك. حلو حيعجبك.
- بسم الله .
- وبينما هم يأكلون صاح حمدان:
- بطني بطني أنقذوني . بطني ..

ارتبك حبيب وبيرتون.

- ماذا بك يارجل؟

- يا الأكل مسمم يا حد حسدنى وأنا أأكل .

قام بيرتون باستخراج زجاجات من حقيبة يحملها في يده وقال:

- أحضروا لي كأس ماء..

صاح حبيب صارخاً:

- هاتي كأس ماء يا سيرين بسرعة بسرعة..

- حاضر يا أبي ..

اقتحمت الغرفة سيرين تحمل كأس الماء وأعطته لأبيها الذي أعطاه لبيرتون وضع عدة نقاط في الكأس واستخرج عشبة مطحونة وأذابها بملعقة وأعطاها لحمدان

- خذ هذا ستشفى الآن..

مد له الكوب .. ارتشف حمدان بعض الرشفات .. وقال له بيرتون:

- نم الآن خمس دقائق على وجهك..

ممد ساقيه فنام على وجهه وغطاه حبيب ..

مرت دقائق قليلة وانفتحت مأسورة غازات من بطن حمدان .. ضحك الجميع وشعر حمدان بالخجل

قال له بيرتون:

- تشعر أنك أحسن الآن .

- نعم .

حملت سيرين اللحاف الذي تدثر به حمدان دقائق وقامت بغسله في الحال قالت لأمها:

- ما بك لماذا تغسلينه؟

- لماذا أغسله؟

- نعم لماذا؟

- لان هذا الرجل العفن تدثر به وأفسى به ..

ساعات وانتشر الخبر بين أرجاء الصاغة (حى باعة الذهب) حكاية أن بيرتون

طبيب ماهر..وفوجىء وهو في الفندق بقدوم حمدان ومعه عم بيومي (هو تاجر يهودي قصير القامة. هادئ الصوت. خمسيني العمر . يرتدي طربوش أحمر ويدعي أنه سكندري الأصل مع أنه جاء مع أبيه من رشيد مع أحد أفواج الفقراء القادمة من رشيد..)

....

....

يوم جديد

الزمان/ صباحا

المكان / نزل بيرتون

دق علي باب حجرته ..

يفتح بيرتون الباب يجد أمامه حمدان مهللا :

- أهلا.. كيف عرفت بيتى؟
- من يسأل لا يتوه..؟
- خير..؟
- صباح الخير يابيتر.
- اسمي بيرتون. وليس بيتر.
- بيرتون صحيح.. أقول لك عم بيومي . تاجر وصاحب محلات معروف يشكو من ألم في ركبتيه .
- هل ممكن أن تراه وتكشف عليه وتعطيه العلاج .. ياطبيب .
- أنا لست طبيباً،
- أنت ماشاء الله كلك بركة . كنت سأموت أمس لولا أنك أنقذتني والله كنت سأموت .أنت مسلم .
- مسلم !!!
- نعم مثلي مسلم . أما عم بيومي فيهودي.. ادخل يا عم بيومى

ارتبك بيرتون قائلا :

- أهلاً تفضلا..

وبالفعل عالجه بيرتون بدهان زيت النعام .. وخف بيومى ..

....

....

فى تلك الليلة حكت شهزاد لسهر وهى جالسة فى شرفة البالكون :

سأحكى لكحكاية بيرتون و الشيخ سلامة:

الزمان/ عصرا

المكان /بيت بيرتون

سلامة هو إمام مسجد الشيخ محمد البصيري .. البصيري صاحب قصيدة البردية مدح في الرسول وأمامه مسجد أبو العباس الأندلسي الذي يعتقد أهل الإسكندرية أن الصلاة في مسجده بركة..ومقبولة ..

وعلى حين غرة دق الباب

فتح بيرتون الباب فوجد حمدان ومعه رجلان الأول الشيخ سلامة والثانى عوض ابنه الشاب..فتح الباب ونظر وجد وجه حمدان:

- حمدان أنت؟
- نعم يا بيتر .
- اسمي بيرتون.
- بيرتون سامحني أنا أنسى دائما .. معي الشيخ سلامة وابنه عوض..
- ما بهما..؟
- هذا إمام مسجد البصيري .
- ما به؟
- ابنه أذنه تؤلمه . لاينام ليلًا ولا نهاراً اكشف عليه.
- أنا ليس لي شأن؟
- هذا معه أموال كثيرة تأتيه من النذور سيدفع لك ما تشاء.
- لا أريد نقوداً .

- أنا أريد أقبل يدك يابيتر لا تفضحني؟؟
- قلت لك اسمي بيرتون وليس بيتر افهم ..
- أدخله ولكن لا تكررها..

قبل حمدان يدي وجرى ونادى الشيخ سلامة ومعه ابنه عوض..

- أتفضل ياشيخ سلامة أنت وعوض.

وما أن دخل سلامة من باب البيت ونظر لي فصاح مهللًا:

- غير معقول غير معقول الله أكبر الله أكبر وصلت وصلت ياسيدنا حمدا لله على السلامة.

وأخذ يقبل يدي وأنا في ذهول ومعي حمدان الذي صاح في دهشة:

- ايه ياشيخ سلامة أنت تعرف بيتر؟

رددت أنا:

- اسمي بيرتون ياحمدان .أنا لا أعرفه. أول مره أراه .

رد الشيخ سلامة وهو يبكي:

- أنا أعرفك ياشيخ ميرزا .. أنا رأيتك في الحلم جئتني في المنام وقلت لي أنا قادم لك في هيئة خواجة أطمئن يا سلامة ..

وأكمل سلامة:

- مدد مدد ياشيخ ميرزا مدد ..

وقبل يدي وحاول أن يقبل قدمي.. ارتبكت قلت:

- هناك شيء خطأ .ياشيخ سلامة .

صاح سلامة:

- يا أهالي الإسكندرية الشيخ ميرزا أتى . هذه ليلة عيد لقد ظهر بشرى لكم سيشفى المرضى أجمعين بإذن الله ..

أمسك حمدان الشيخ سلامة من يده وهمس في أذنيه:

- هذا وجهه أحمر؟
- هو ميرزا.

- هذا شعره أصفر.؟
- هو ميرزا .
- هذا عيناه خضراء.
- هو ميرزا.
- دا خواجة يا شيخ سلامة؟
- أخرس هل أنت تعرف أكثر مني؟ هذه أسرار عليا.

دفع به وأحتضننى ونظر إلى:

- نورت مصر ياشيخ ميرزا الليلة ستحضر الحضرة كلنا بانتظارك من زمان ..

....

....

الزمان /في المساء

المكان / أمام ساحة مسجد البوصيري وأبو العباس

جاءت عشرات البشر بل قل حوالي مائتين من البشر بملابس غريبة وأمسك الشيخ سلامة يد بيرتون وقد ارتدى جلبابا أبيض وعمامة خضراء صائحا:

- استبشروا يا أهالي الإسكندرية الشيخ ميرزا وصل.

خرجت الأصوات والصيحات.

- الله أكبر الله أكبر.

قال الشيخ سلامة.

- جاءني في المنام وقال لي أنا محاصر ياشيخ سلامة لكني سأحضر متنكراً في هيئة خواجة وأكلمك باللهجة المصرية وعندما فتح الباب وأدخلني حمدان إلى غرفته فى الفندق وجدته أمامي بشحمه ولحمه الله أكبر الله أكبر.

صاح الناس من خلفه مرددين:

- الله أكبر الله أكبر.

من بعيد وقفت سلمى وسيرين وسارة يشاهدن المشهد صاحت سيرين:

- هذا بيرتون الرجل الذى كان معزومًا عندنا من يومين صديق أخي صموئيل ..

قالت سلمى:

- **شكله قمر يابنت؟**

قالت سارة:

- **فعلا قمر.. يابختك .**

....

....

الزمان / نهارا

المكان/ منزل بيرتون الجديد

البيت ليس مرتبا .. كعادته .. اقتحم البيت حمدان مرة أخرى ودق الباب فتحت وجدت حمدان وخلفه خمس نساء .. مصريات من الطبقة البسيطة .نظرت له بغيظ:

- **من؟.. أنت؟ ماذا تريد منى ؟ لماذا تلاحقنى ؟**
- **حبيبك أنا حمدان يابيتر..بلاش اللون دا معايا أنا حبيبك .**
- **بيرتون اسمى بيرتون مائة مرة قلت لك .؟**
- **آسف ..**
- **نعم.. ماذا تريد وم هؤلاء النسوة ؟**
- **هؤلاء النسوة سيقمن بتنظيف البيت وترتيبه.. أجرت بيتا جديدا ولم تخبرنى. معلش .. عرفت فجئت أقدم لك واجباً..**
- **لا لا لا أريد واجبا ولم أطلب من أحد تنظيف البيت. وليس معى مال لهن ؟**
- **لن تدفع مالًا .. سيعملن مجاناً محبة يتباركوا منك ياشيخ ميرزا.**
- **أنا لا أريد ..**
- **الشيخ سلامة امام مسجد سيدى المرسى ابو العباس أرسلهم لك؟**
- **لم أقل له أريد أحداً ينظف لي .**
- **لا تكسف الرجل عيب هذه محبة ياشيخ ميرزا ..والله عيب .**
- **لا أريد.الم تسمع لا ارررريد؟**

- أدخلي يابنت أنت وهي لتنظفنّ البيت وقبلنّ يد الشيخ..

هجمت النسوة على بيرتون وقبلن أيدي بيرتون..

زغردت إحداهن زغرودة.وهى تشمر عن ملابسها ..

قالت الثانية:

- بركاتك ياسيدنا..

قالت الثالثة :

- سأنظف المطبخ .أولا .
- وأنا سأنظف الحمام.
- وأنا على الغسيل.سأغسل الملاءات .
- وأنا سأمسح الأرض.

نظرت إلى حمدان:

- أنا عندي شغل . ياحمدان . وقلت لك لا أرغب فى تنظيف البيت ..
- نصف ساعة فقط وكل شئ ينتهي..أنا خادمك .وكلنا خدمك ..

وقفت مذهولاً والنساء تتجول في البيت للنظافة والترتيب وينظرن لي ويتغامزن ويتلامزن ويتهامسن ويضحكن مع بعضهن بينما وقف حمدان مشجعاً لهن:

- الله ينور يا أم محمد .. تسلم إيدك ياست فرحة.. الله عليك يا شربات خذي حذرك يا بنت..

كانت نصف ساعة توتر شديد بالنسبة لي .. وحين أنتهينّ شعرت بالخجل حاولت أن أخرج نقودًا لهن لكن حمدان صاح في وجهي:

- عيب عيب يا شيخ ميرزا .. هنً يردنّ منك البركة .
- ما هي البركة ؟
- يقبلنّ يديك .. وتدعي لهنّ .

وبينما أنا في ذهول قامت النسوة الخمس بتقبيل يدي اليمنى ثم اليسرى وآخرهم حمدان وأغلق الباب ومشى..جلست أتنفس الصعداء:

- اوه .. ياربى ما هذه الورطة؟؟ وكيف الخروج منها؟ وإلى أين ستأخذني؟

جلست مرتبكًا.. أنظر إلى الفراغ البعيد حيث السحب البيضاء التي تشتهر بها الإسكندرية ..

أخرجت عدة القهوة لأجهز فنجاني .. دق الباب تركت مافي يدي وذهبت لفتح الباب:

- من بالباب؟
- أنا.

صوت فتاة .. فتحت الباب وجدت أمامي فتاة عمرها ١٢ سنة تحمل صينية طعام مغطاة ..

- نعم..
- أبي يبلغك السلام وأرسل لك لقمة على قد الحال ..
- أبوك من؟
- الحاج شلبي العطار.
- لا أعرفه؟
- كلنا نعرفك ياشيخ ميرزا..تفضل .

وسلمتني الصينية وقالت وهي تسرع الخطى.

- أمي تقول لك أدعي لنا ..

دخلت أحمل الصينية.. ورفعت الغطاء الذي يشبه قطعة الشاش فوجدت دجاجة كاملة محمرة وأرز.. وبطاطس مطبوخة وسلطة مصرية ومقبلات (مخلل) أكل يكفي عائلة.. في الحقيقة كنت جائعاً وشكل الدجاجة كان مغرياً.. فجلست لتناول الغداء وبينما بدأت فى تناول الطعام دق الباب.. قمت فى غيظ.

- اوف وبعد.

فتحت الباب بغيظ فوجدت أمامي سيرين ابنة عم حبيب أخت صاموئيل .

- أهلا سيرين؟
- هل يمكن أن أتكلم معك خمس دقائق؟
- نعم. تفضلي .

دخلت أغلقت الباب .. دخلت في استحياء..

- هل تغديتي؟ تفضلي كلى معى وأحكى لى.
- شكرا لست جائعة .
- لماذا جئت؟
- أجبني أنت مسيحى أم مسلم .؟

دق الباب مرة ثالثة .. صحت بغيظ :

- من الذي يدق الباب؟

جاءنى صوت :

- أنا صموئيل افتح يا خواجة بيرتون .

ارتبكت سيرين وهمست وضربت صدرها بحالة خوف .

- أخي صموئيل يامصيبتي..يالهوي.

ارتبكت قلت لها وأنا التفت يمينًا ويسارًا.

- أدخلي هذه الحجرة وسأغلق عليك الباب لاتخرجى حتى يمشي .

هرولت إلى الحجرة وأغلقت عليها الباب واتجهت لفتح باب المنزل.

- نعم أنا قادم .

فتحت الباب وخبأت سيرين فى حجرة النوم وأغلقت عليها الباب ثم فتحت باب المنزل فوجدت صموئيل واقفًا مبتسما:

- ممكن أتكلم معك خمس دقائق .
- تفضل ..

دخل وجد الطعام على الصينية .

- تفضل كل يا صموئيل؟

جلس صموئيل ومد يده وأخذ يأكل الطعام بشراهة كان يبدو عليه الجوع الشديد..

أخذت أراقبه وهو يأكل بدهشة ثم نظر لي قائلًا:

- كل .

- حاضر.

بدأت آكل ثم نظرت له:

- خير يا صموئيل؟
- أنت بيرتون واللا الشيخ ميرزا .. سمعت من أختي أمس احتفل بك شيوخ الصوفية أمس هل هذا صحيح؟ ام غير الصحيح؟
- نعم احتفلوا بي؟
- من أنت؟بيرتون والا ميرزا ؟
- سؤال يحتاج لإجابته كتابا كاملاً؟
- لم أفهم؟أنت مسيحى ام مسلم ؟
- لا يهم أن أكون مسيحيًا أو مسلمًا أو يهوديًا أنا باحث..

دق الباب للمرة رابعة صحت بقرف شديد :

- غير معقول..كل دقيقة يدق الباب.
- افتح لك الباب؟
- لا أنا سأفتحه.

ذهبت وفتحت الباب .

وجدت السقاء يحمل قربة ماء.

- نعم؟
- يا شيخ ميرزا بعث لك الحاج أنور قربة ماء بماء الورد .
- لا أريد.ماء ورد
- هذه محبة وهدية والله قبل الهدية .
- ما عندي زير .

قام صموئيل يحدثه:

- يا عم ربيع ليس لديه زير لماء الورد.
- أهلا يا صموئيل تعال ساعدني .ينوبك ثواب حتى الدكان نأتي له بزير لنفرغ فيه ماء الورد .؟

قلت له:

- أنا لا أريد زيرًا ولا ماء ورد.
- يا عم الشيخ ميرزا الحاج أنور دفع.ثمن الماء والزير كمان.
- أنور مين .؟
- صاحب دكاكين العطارة التي جنب سيدي المرسي أبو العباس صاحب الشيخ سلامة.
- ولكن..؟

رد صموئيل ضاحكا :

- خلاص سأذهب مع عم ربيع لأ حضر لك الزير .
- ولكن يا صموئيل؟
- هذا عم ربيع قام بتربيتنا كلنا وحبيبنا كلنا لاتكسر بخاطره وتمنع رزقه.
- طيب .طيب

ذهب صموئيل مع ربيع السقاء جريت على الحجرة التي بها سيرين وجدتها ممده على السرير وقامت ببطء ونظرت لي وأنا أقف عند الباب قائلة:

- أنا سأمشي .
- طيب.
- لم تجب على سؤال صموئيل عندما سألك . أنت مسيحي أو مسلم يا بيرتون أو الشيخ ميرزا؟
- لا أعرف؟

خرجت سيرين غاضبة وأغلقت الباب خلفها بعنف .

خرجت سيرين إلى الشارع متجه إلى بيت سلمى .

....

....

المكان / بيت سلمى

الزمان / ظهرا

دقت الباب فتحت الباب سلمى

احتضنتها بقوة ..وردة تحضن وردة ..كل الورود الجميلة جاءت من الإسكندرية واولهم كليوباترا.

- نكسر القلل التى فى البيت عندنا؟

نظرت لها سيرين

- لا تسخرين منى ياسلمى
- يابنت كام يوم غائبة عنى؟
- اتركينى فى حالى
- فى حالى؟ أول مرة تقولينها؟؟

ارتمت سيرين فى أحضانها وأخذت تبكى

- ما بك يا بنت؟ يالهوى يا مصيبتى؟ ماذا جرى؟

انفجرت الدموع من عينيها أنهارا أمطارا أشعارا ألم يقولوا لنا القدماء إن دموع البنات هى قصائد خفية لم تكتب بعد .. شعرت سلمى بالأرتباك.

- ما بك يابنت أبوك مات؟
- لا.
- أمك؟
- لا.
- من الذى مات؟
- مافى أحد مات؟
- هل عاكسك أحد؟
- لا . يا سلمى
- أتركينى .فى حالى يابنت.
- ما بك؟ تكلمى يا اختى ؟ قطعتى قلبى .

أخذتها سلمى إلى حجرة نومها ودخلت معها وأغلقت الباب .. أسرار البنات يقال إنها نجوم خفية جريحة سببها الرجال..

- أنت يابنت أحد ضحك عليك وأخد وشك؟
- ماهذا الكلام العبيط؟
- إذن لماذا أبوك يريد أن يزوجك من ابن عمك وأمك تريد زواجك من ابن أختها؟
- لا الموضوع مازال معلقا.
- إذن ماذا؟
- لا أعرف ..

جلست أمامها سلمى ومسحت دموعها ..

- ما بك؟
- لا شيء روحى مخنوقة؟
- أنت بتحبى؟

بكاء .. دموع .. الشجن .

- من يابنت؟

لم ترد.

- من يابنت ردى؟

لاترد..

- تخبئين عنى .. أنظرى فى وجهى يابنت؟؟

تبكى ولاترد...

- يانهارك أسود متى حصل؟ وأين .؟ ومن؟

هبت سيرين واقفة وتركت الغرفة وفتحت بابها و جرت خلفها سلمى قائلة :

- يا بنت اقعدى يابنت عيب كلمينى ؟؟

فتحت سيرين باب البيت واندفعت فأصدمت فى صدر عمر أخو سلمى الذى كان يقف على باب البيت.. ثم دفعته بعيدا ومضت مسرعة نحو الشارع صاح عمر:

- ماذا حدث .؟

وجد أخته سلمى أمامه .. ماذا حدث؟

- ليس لك شأن ..؟
- كيف يعنى.؟
- يعنى ليس لك أى شأن فهمت؟
- هى تخصنى؟
- تخصك فى ماذا .؟ أنت مجنون هذه صديقتى .
- أقول لك تخصنى .أريد أن أتزوجها.
- ماذا قلت والله أنت عاوز الضرب على راسك بالشبشب .

خلعت الحذاء من قدمها وراحت تضربه وهو يضربها ويدافع عن نفسه صرخت صفية الأم..

- الحقنى ياناس الحقونى ياناس؟

استطاع الجيران فض الاشتباك بين سلمى وعمر .. وجلست الأم والجيران بينهما والأم تسأل:

- ماذا جرى؟ ماذا حدث؟

لم ترد سلمى .

لم يرد عمر ..

وبينما الناس يجلسون فى غرفة الإعاشة كان صوت صموئيل من الحارة ينادى ينادى:

- يا عمر يا عمر .

قالت الأم:

- قم اخرج مع صموئيل صاحبك .

نظر إلى سلمى وقام متجها إلى الخارج ..

سار الصديقان ..

على شاطىء البحر.

بحر الإسكندرية حامل أسرار البشر من آلاف السنين.

ورائحة اليود.

لاحظ صموئيل أن عمر لايتكلم وحاول عبثا أن يفهم صموئيل ماحدث ؟؟ ومابه ؟

- اسمع ياعمر تعال نذهب للمقهى .
- لا..
- نذهب نلعب الورق..
- لا..
- عندى فكرة أخرى تعال معى..

مشى معه ثم فجأة وقف صموئيل أما بيت بيرتون ودق الباب .. فتح بيرتون الباب قائلا:

- أهلا صموئيل.
- معى صديقى عمر.
- تفضلا.

هذه أول مرة يدخل عمر بيت بيرتون..كان عمر فى ارتباك وذهول .. قال بيرتون لصموئيل:

- أخبارك يا صموئيل؟
- بخير الحمد لله .
- تأكل شيء؟
- لا قهوة .

وبينما بيرتون ينظر إلى عمر .. دق الباب قام واتجه نحو الباب ليفتحه:
فوجد أمامه حمدان. ومعه شاب .صاح حمدان:

- شيخ ميرزا؟
- نعم.
- تحب اقولك شيخ ميرزا والا بيتر؟
- لا بيرتون .

أشار حمدان على ذكى .

- هذا ذكى ابن المعلم أيتين عمه ليفى أكبر تاجر قماش فى الإسكندرية .

- أهلا وسهلا.
- تجار اليهود الكبار .
- اهلا وسهلا .. تفضلوا

دخل حمدان وذكى الذى فوجىء بوجود عمر وصموئيل:

- ماهذا كل الحبايب عندك..؟
- من؟
- صموئيل وعمر وأنا جبت لك الثالث ذكى صديقهما .

صافح ذكى صموئيل وعمر بحرارة.

رد حمدان:

- هم أصدقاء وأخواتهم البنات أصدقاء إسكندرية بلد العجائب .. شوف شيخ ميرزا سأحكى لك ذكى يشكو من ألم فى ظهره من يومين ..

نظر بيرتون إلى ذكى وقال:

- اسمك ذكى؟
- ههههههههههه اسمى إبرهام لكن الناس أسمونى ذكى..الاسم ثقيل على ألسنتهم .. ذكى مثل إبرهام .

دق الباب قام حمدان مسرعا وفتح الباب وجدت بنت صغيرة ١١ سنة تحمل صينية طعام..

- من أنت .؟
- أنا نورية بنت الحاج تيمور تاجر العطور أبى يرسل لك الغداء بيسلم عليك ياشيخ ميرزا

ضحك حمدان قائلا:

- لست أنا الشيخ ميرزا

أسرع بيرتون للفتاة مندهشا:

- ماهذا؟

رد حمدان:

- الله قبل الهدية من أم السيدة أم نورية والرسول قبل الهدية لاتكسف الحاج تيمور؟

- لكن هذا كثير..كل يوم تأتينى صينية شكل .

قالت الطفلة نورية:

- أبى يقول لك دعواتك له بالبركة.

ابتسم بيرتون رد حمدان:

- حاضر سلم لى على والدك.

وحمل الصينية ورفع الغطاء من عليها وقال للشباب:

- اتفضلوا كلوا رزقكم جاء معكم ..

قال ذكى وهو ينظر للدجاج والخضار واللحم:

- أنا أكلت منذ قليل..

قال حمدان وهو ينزع ورك الدجاجة بيديه تجاه فمه:

- كل ياذكى معى..عشان تفتح نفسى .

ضحك الجميع

....

....

الزمان / عصرا

المكان / بيت سارة

الصالة .. الأم تتجه نحو الصالة تسأل سارة وهى فى قلق

- أين ذهب أخوك وهو مريض؟

ردت سارة:

- خرج مع حمدان ألم ترسليه مع حمدان للطبيب؟

- لا لم أرسله؟

- غريبة .. كيف جاء حمدان وأخذه إلى الطبيب .

دق الباب فتحت راشيل الباب الأم وجدت ابنها مع حمدان الذى يساعده فى المشى

نظر حمدان إلى أم سارة وسارة .

- مساء الخير ياست راشيل..

- مساء النور ..

- الشيخ ميرزا كتب له علاج من عند العطار ودهن قدميه ويديه..

نظر له أيتين الذى خرج من حجرته وهو يرتدى نظارة وقال زاعقا غاضبا:

- حمدان أنا قلت لك اذهب إلى الشيخ ميرزا مع ابني إبرهام..

- لا.

- هل تقول عنى ما لم أقله لك؟

نظر حمدان إلى الأرض وصمت من البيت.وخرج وأغلق الباب .

قالت الأم:

- لماذا تفعل معه هذا؟ هو يحبنا .

- حمدان لا يحب أحدا يحب المال و المصلحة .

دخل إبرهام (ذكى) إلى الغرفة وخلفه أمه وسارة وجلس أيتين غاضبا بعد أن أغلق الباب.

....

....

الزمان / المغرب

المكان / منزل سلمى

فتحت سلمى الباب وجدت أمامها شخصا غريبا نحيفا ولكن يشبه أبيها نافع ولكنه أكبر سناً قليلا .. ومعه شاب طويل القامة ١٧٦ سم تقريبا .. وقد حلق ذقنه .. وحمل فى يده لفافات هدايا..

قال الرجل الكبير:

- مساء الخير؟

- مساء النور؟

- أخى هنا؟

- نعم..من أخيك؟

- أخى نافع.

- نعم،

- أنت سلمى صحيح؟

- نعم.

- أنا عمك مبروك .. الذى يسكن رشيد.

وأخذ مبروك ينادى:

- يانافع يا نافع يا أخى .. أنا جيت أنا مبروك.

خرجت الأم صفية وهى تضع غطاء على رأسها:

- أهلا يا مبروك.

- أهلا بك يا زوجة أخى أين هو نافع .. أخى يانافع أين أنت؟

- هذا ابني كريم.

ردت صفية:

- أهلا يا ابني .

خرج نافع من حجرته كان نائما مرتديًا جلباب البيت..

جرى إليه مبروك وأخذ يحتضنه ويقبله وكان رد نافع باردًا غير متحمس بالمرة ..ثم نظر إلى كريم

- قبل يد عمك نافع.. وسلم على زوجة عمك وعروستك سلمى

نظرت سلمى بغضب :

- ماذا؟

نظرت سلمى إلى أبيها وأمها وعمها وابن عمها بغضب..

- أستأذنك يا أبى سارة مريضة ولازم أزورها مع سيرين ..

وخرجت قبل أن يجيب أبوها على طلبها بالموافقة .. فهز رأسه بالوافقة أمام

أخيه مبروك

خرجت سلمى وأغلقت الباب .

....

....

الزمان / المغرب .

المكان / بيت سلمى

كانت ليلة سوداء.. ليلة من ليالي الجحيم .. القديم لا يموت أحيانًا..عاد مبروك الأخ الأكبر لنافع وعثمان وها هو يأتي بعد سنين طويلة مصطحباً ابنه الشاب كريم .. الشاب الوسيم الهادئ الخجول ليطلب يد سلمى .. لماذا اختار سلمى؟. ومن الذي أشار عليه بهذا؟ .وكيف ترك بنات (رشيد) وجاء إلى الإسكندرية ..؟ .. سلمى شهقة القمر في ليلة الرابع عشر على بحر الإسكندرية .. سلمى التي يحبها كل من رآها من الرجال . ألم تقل أمها صفية إن العم مبروك هو الذي سرق ميراث الجد من الذهب وسافر إلى رشيد وأصبح من كبار التجار بالأسماك هناك !! اليست كل أمواله حرام؟؟ أليست جدتها ستوتة كانت تقول دائما .. مبروك الزفر أمواله زفره مثله؟!..كيف تجرأ وجاء يطلب يدي حاملاً أسماكا وفسيخا نتنا أنا لا أصدق مايحدث ..

....

....

المكان / بيت سارة

الزمان/ عصرا

ظلت سلمى تبكي أمام سارة أما سارة فكانت تنظر لها مذهوله . فقالت لها:

- ما بك منذ وقت وأنت تبكين . وأنا لا أعرف ماسبب كل هذا البكاء . ما الذي حدث ليبكيك هكذا

نظرت لها سلمى وهي تجهش بالبكاء .

- أبكي .. لأنهم يريدون زواجي ..

- و لهذا السبب تبكين أخفتيني ظننت شيئا آخر بك .. يابنت .. البنات يفرحن

عندما يتقدم رجل لخطبتهنّ أو الزواج. من سعيد الحظ؟ من العريس الذي سوف يتزوج القمر سلمى؟؟

- **كريم ..**
- **كريم من؟؟ لا أعرف أحدا بهذا الاسم هنا؟؟**
- **كريم .. ابن مبروك الزفر؟**

انفجرت سارة ضاحكة:

- **من؟ من .. من .. من كريم هذا؟ ومن أين جاءنا الزفر ؟ ياميلت بختك يا أختى ؟**
- **كريم بن مبروك .**
- **مبروك من يابنت؟**
- **عمى !!**
- **يعنى العريس هذا ابن عمك؟**
- **أيوه عمى عباس الزفر..**
- **أنتم من عائلة الزفر؟ هههههههههههههه هل أنتم عائلة الزفر؟ لايمكن أصدق؟**
- **لا لا لا هو فقط اسمه كريم وشهرة أبوه الزفر لأنه أكبر تاجر فسيخ فى رشيد .**

تنفجر سارة فى الضحك حتى الدموع :

- **أتتزوجى من رجل زفر يا سلمى لا أصدق هذا ..؟؟ أنت تمزحين ..؟؟ لا يمكن أصدق هذا؟؟**
- **لا أمزح والله هذا ماحدث وهم الآن في بيتنا ..جاءوا من رشيد**
- **من رشيد جاءوا؟ رشيد مين يا بنت ؟ رشيد التى بجوار الإسكندرية ؟**
- **نعم جاءوا مع سمكهم وفسيخهم الزفر ربنا يأخذهم ..**
- **طيب اهدئي .. اهدئي أهدئى .**
- **.والحل !!**

- لا أعرف ..
- تمنيت لو كانت جدتي حية الآن .. جدتك .. نعم جدتي ستوتة .. .الله يرحمه ..كانت بصقت فى وجه عمى مبروك وطردت أبنه كريم ..
- احك لى الحكاية بهدوء ..بهدوءءءءءءء

....

....

الزمان / ليلاً

المكان /بيت سلمى

يجلس نافع أمام أخيه مبروك الزفر غاضباً يتذكر ما فعله معه ومع أخيه عبد منعم .. و مع أمهما ستوتة ..

قال نافع وهو ينظر إلى أخيه:

- يا مبروك أتتذكر ستوتة أمنا هل نسيت ما الذي فعلته بها وبنا . هل تتذكر أم نسيت ؟؟

نظر مبروك فى الأرض خجلا :

- ربنا يحب العفو ياـنافع .سماح ..يا أخى ..
- ربنا .هو الوحيد الذى يسامح أما أنا بشر.. سرقت ما لنا يا مبروك وورث أبيك وسافرت واختفيت وتركتنى أنا وأخيك عبد المنعم وأمك ستوتة التى ظلت تبكى ليلا ونهارا وتقول هذا ولدى و ابن حلال والله ابن حلال .. لا أصدق مافعله ..

رفع مبروك ملابسه وأخرج من على وسطه لفافات به ثلاثة أكياس مال ووضعها على الطاولة أمام أخيه:

- هذا كيس به ٢٠٠ جنيها ذهبا بدلا عن نصيبك فى ميراث أبيك و٢٠٠ جنية ذهبًا تعويضا لأخيك عبد المنعم و٢٠٠ جنيها ذهبا مهرًا لأبنتك سلمى ..

ووضع أكياس المال الثلاثة على الطاولة أمام أخيه نافع:

ردت صفية:

- ولماذا سلمى؟ وأنت لاتعرفها ولا حتى ابنك شافها قبل هذا؟؟.

ضحك مبروك والدموع فى عينيه :

- حدثنى الشيخ سلامة على جمالها وكان يزور رشيد ألم يخبرك أنى أصبحت من أكبر تجار السمك والفسيخ فى مصر الآن . هو الذى اقترح على ذلك قال لى ظك:

- بنت أخيك قمر زوجها لابنك حرام أن تضيع منكما ؟ يبقى زيتنا فى دقيقنا ..

همهمت صفية لنفسها:

- منك لله ياسلامة . ربنا ينتقم منك..تطلع على ظهرك..

دق الباب :

فتحت صفية الباب .

اقتحم الباب عبد المنعم الشقيق الثالث ومعه ابنه عمران متجها نحو مبروك .وأمسكه من رقبته صائحا :

- أنت جيت يامبروك ياحرامى يا زفر .. ياوسخ..أنت السبب فى موت أمك..

وأمسك عبد المنعم مبروك من رقبته.. دافع مبروك عن رقبته بعد أن حاول خنقه وكذلك حاول عمران بن عبد المنعم منع أبيه من قتل عمه وكذلك كريم بن مبروك الزفر .

رد مبروك وهو يتملص:

- أحضرت لك أكثرمن حقك ٢٠٠ جنيها ذهبا ولأخيك ٢٠٠. مثلهما.

- وأمك ستوتة؟

- أعطيت الشيخ سلامة ٥٠ جنيها ذهب يوزعهم على الفقراء على روحها.

قالت صفية:

- يا جماعة نهدأ قليلا..

جلس عبد المنعم وهدأ قليلا حين وضع مبروك أمامهم أكياس النقود الثلاث.

نظر له مبروك وهو يتحسس رقبته وضحك ضحكة خبيثة:

- مازلت عصبيا يا أخى عبد المنعم .. الدم لا يصبح ماء.

ثم نظر مبروك إلى عمران .

- هذا ابنك ياعبد المنعم.؟

رد نافع حتى يلطف الجو:

- نعم الأسطى عمران أشهر أسطى فى صاغة الذهب .

- أهلا أنا عمك عبد المنعم وهذا ابني .. كريم ابن عمك

مد يده عمران ليصافح كريم .. فصافحه ببرود..

نظر مبروك لهم:

- نحن جئنا لبدء صفحة جديدة .. جئت لأطلب يد سلمى لأبني كريم.

هب عبد المنعم واقفاً:

- سلمى مخطوبة لأبني عمران.

قال مبروك ضاحكاً:

- نعم وسلمى رفضته مرتين .

صرخت صفية:

- ماذا حدث؟ ماذا يجري؟ كل أسرار بيتنا منتشره ووصلت حتى رشيد .. هذه مصيبة.

ضحك مبروك ببرود:

- نحن أهل والأخبار تصل ياست صفية.

صاح عمران:

- أنا الذي رفضتها .. أنا رفضتها.

رد مبروك:

- تمام إذن سلمى من نصيب كريم زغردي يا أم سلمى. كريم وعمران اخوات نقرأ الفاتحة ..

خرج عمر من غرفته.

- ايه .. ماذا يجري؟ اتركوا أختي سلمى تقرر.

قال مبروك بخبث:

- من المؤكد أنت عمر .أنا عمك مبروك..تعال فى احضانى ..
- أهلا..

رد عمر بفتور :

لاحظ أبوه أن عمر يرفض عمه وقابله مقابلة باردة.. فاضطر عمر أن يجلس متحفزا .. كان التوتر يسود الأسرة صاح عمران:

- الكلمة كلمة عمي..

نظر نافع إليه الولد الذى يريد أن يورطه..

اقتحمت امرأة حيزبون الدار صارخة مولولة

- أمك ماتت يا صفية . أمك ماتت يا غلبانة ..

صرخت صفية وضربت وجهها :

- يا لهوى .. جدتك ماتت ياسلمى .
- يا مصيبتى آه ياجدتي.

قام نافع يضرب كفاً على كف.وصاح وهو واقفا :

- لا حول ولا قوة إلا بالله إنا لله وإنا اليه راجعون ..

ارتبكت الأوضاع وخرجت صفية إلى دار أمها رتيبة. وتبعها عمر وعمران ونافع وكريم ومبروك .. للموت جلال ووجع يوجع القلوب..

....

....

الزمان /النهار

المكان/ المقهى

يجلس بيرتون على المقهى

وأمامه فنجان القهوة ويمسك في يده كتابا ويعدل نظارته يقتحم حمدان عليه الخلوة فجأة :

- صباح الخير يابيتر.
- اسمي بيرتون. يا أحمق . كم مرة أصححها لك؟

- ها ها ما أنا عارف لكني أحب أن أشاغبك؟
- نعم.
- هل تطلب لي قهوة؟ أنا مفلس .
- اتفضل ..

سحب حمدان الكرسي وجلس بجوار بيرتون وبمجرد جلوسه على الكرسي أخرج ريحاً قوية وطويلة

نظر له بيرتون غاضباً:

- ماهذا.؟
- ريح.(فسى)
- معقولة .
- الفول .. السبب الفول .. جرب ثلاثة أيام تأكل فولا كل يوم سيخرج الريح من بطنك ليلاً ونهاراً .
- لا أحب الفول .

نادى حمدان على الجرسون:

- قهوة سكر زيادة.

نظر إلى بيرتون وهو يمسك الكتاب ..

- ماهذا الكتاب؟
- ليس لك شأن؟

اقتحم المقهى صموئيل وهو يرتدي جلباباً نظيفاً .

- أنت هنا يابيرتون ؟

رد حمدان:

- اسمه الشيخ ميرزا .
- وأنت مالك ياحمدان.؟

مر من أمام المقهى موكب والشيخ السراج يتقدمه وهو يركب حصاناً وحوله الدفوف والمتصوفيين في أزياء غريبة وعجيبة وكان الاحتفال بمناسبة مولد

سيدي المرسي أبي العباس وقف بيرتون على باب المقهى ليرى الاحتفال مع رواد المقهى.. وفجأة نظر الشيخ السراج إلى جماهير المقهى فالتقطت عيناه إلى بيرتون فصاح فرحا قائلاً:

- شيخ ميرزا تعال اركب الحصان هذا .

اندهش بيرتون !!

- أنا ..؟

- نعم .

ونظر الشيخ إلى تابعه مروان يسير خلفه يركب فرساً..

- انزل يامروان من فوق الحصان ودع الشيخ ميرزا يركب ..

نزل الشاب مروان من فوق الحصان وشد يد بيرتون وأتباع الشيخ وأركبوه الحصان بينما صموئيل في ذهول وحمدان يصيح:

- الحساب يا بيتر ادفع الحساب يا عم بيتر أنا مفلس يابيرتون..

نظر له صموئيل ضاحكا:

- بيرتون مين؟ دا اسمه ميرزا ..

- من سيدفع الحساب ياحمدان ..

- أنت ياحمدان .

جرى صموئيل وجرى خلفه حمدان وصبى القهوة خلفهما..

- الحساب ..الحساب..

كانت تلك الليلة ليلة المولد الكبيرة أحباب المرسى أبي العباس أتوا من كل مكان حول أرصفة المسجد خيم وأناس من مختلف القرى المجاورة للإسكندرية .. وحين اقترب الموكب من الساحة صاح الناس:

- الله حي الله حي..

تقدم الشيخ السراج ونظر إلى مساعده مروان..

- يامروان هات جلباب للشيخ ميرزا..

- حاضر يا شيخنا..

وجرى مروان بسرعة وأحضر جلباباً واسعاً للشيخ السراج جاءه هدية من المغرب وألبسه لبيرتون فوق ملابسه الأجنبية (القميص والبنطلون) ثم تقدم الشيخ السراج ممسكا يد بيرتون للجموع :

- يا أهالي الإسكندرية أرسل الله لكم الشيخ عبدالله ميرزا رحبوا به.
- الله أكبر ..
- ألله أكبر.

إلى ساحة مسجد المرسى أبي العباس .. المرسي أبو العباس هو شهاب الدين يتصل نسبه إلى أحد الصحابة ولما بلغ سن التعليم بعثه أبوه إلى المعلم ليحفظ ويتعلم القراءة والكتابة والخط والحساب. وقد حفظ القرآن في عام واحد وكان والده عمر بن علي من تجار مرسيه فلما نضجت معارف أبي العباس و ظهرت عليه علائم النبوغ ألحقه والده بأعماله في التجارة وصار يبعثه مع أخيه الأكبر أبي عبد الله فتدرب علي شئون الأخذ و العطاء وطرق المعاملات واستفاد من معاملات الناس وأخلاقهم.

وفي عام ٦٤٠هـ (١٢٤٢م) كانت له مع القدر حكاية عظيمة و ذلك حين صحبه والده مع أخيه و أمه عند ذهابه إلى الحج فركبوا البحر حتى إذا قاربوا الشاطئ هبت عليهم ريح عاصفة غرقت السفينة غير أن عناية الله تعالى أدركت أبا العباس و أخاه فنجاهما الله من الغرق .. وقصدا وأقاما فيها واتجه أخوه محمد إلى التجارة و اتجه أبو العباس إلى تعليم الصبيان الخط والحساب والقراءة وحفظ القرآن الكريم.

وكان لأبي العباس في تونس مع القدر حكاية أخرى حددت مستقبله وأثرت على اتجاهه فيما بعد ذلك أنه تصادف وجود أبي الحسن الشاذلي على مقربة منه و يروي أبو العباس نفسه عن لقاءه بأستاذه فيقول :

"لما نزلت بتونس و كنت أتيت من مرسيه بالأندلس و أنا إذ ذاك شاب سمعت عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي و عن علمه و زهده و ورعه فذهبت إليه و تعرفت عليه فأحببته ورافقته"

ولازم أبو العباس شيخه أبا الحسن الشاذلي من يومها ملازمه تامة و صار لا

يفارقه في سفر ولا في حضر، ورأي الشيخ الشاذلي في أبي العباس طيب النفس و طهارة القلب و الاستعداد الطيب للإقبال علي الله فغمره بعنايته و اخذ في تربيته ليكون خليفة له من بعده و قال له يوما يا أبا العباس ما صحبتك إلا أن تكون أنت أنا و أنا أنت، و قد تزوج أبو العباس من ابنة شيخه الشاذلي و أنجب منها محمد و أحمد وبهجه التي تزوجها .

أما أبو الحسن الشاذلي فهو مؤسس الطريقة الشاذلية و أستاذ أبي العباس وفي عام ٦٤٢هــ ١٢٤٤م .

خرج أبو الحسن الشاذلي إلى الحج وسافر إلى مصر و كان معه جماعة من العلماء والصالحين وعلى رأسهم الشيخ المرسى ابو العباس وأخوه

وقد حج الشيخ أبو الحسن الشاذلي و عاد إلى تونس و أقام بها و لحق به المرسى أبو العباس ثم وفدوا جميعا إلى مصر للإقامة الدائمة بها و اتخذ من الإسكندرية مقاما له و لأصحابه

و لما قدموا إلى الإسكندرية فى عصر الدولة الأيوبية. اتخذ الشاذلي داراً في نزل بها هو و أصحابه و على رأسهم أبو العباس و بدأوا يدعون إلى الله في كل مكان حتى قصدهم العلماء و الفضلاء و لازم مجالسهم الطلاب و المريدون و ذاع صيتهم في الديار المصرية. وأنحاء البلاد

وقد اختار الشيخ أبو الحسن الشاذلي وأقام الشيخ المرسى ابو العباس خليفة له و أذن له في إلقاء الدروس و إرشاد المريدين و تعليم الطلاب و مناظرة العلماء و تلقين مبادئ و آداب السلوك .

وقد أقام المرسى أبو العباس رضي الله عنه ثلاثاً وأربعين عاما بالإسكندرية ينشر فيها العلم و يهذب فيها النفوس و يربي المريدين و يضرب المثل بورعه وتقواه.

وهنا قامت شهرزاد وسكتت عن الكلام المباح وغير المباح

وودعت سهر ونزلت إلى بيتها

وتركت سهر بعد أن اطمئنت على المولود وأرضعته سهر ونزلت مع زوجها الذي مر عليهما إلى بيتهما في الشارقة.

الفصل الثالث



العنوان الأول

الحب قوة خفية للفرح والألم



العنوان الثانى

الحب يكحل عيوننا بالجمال



العنوان الثالث

ويحى قتلنى الحب الصافى

يوم جديد

كان يا ما كان

الزمان /صباحا

المكان/ بيت سهر

قالت شهرزاد وهي تشرب القهوة

- **دعينا من هؤلاء واحك لي عن سلمى وسارة وسيرين وبيرتون**
- **كان ياما كان في سالف العصر والآوان. ثلاث بنات من أجمل بنات الإسكندرية سلمى وسيرين وسارة .. سلمى التى.تأجل زفافها أربعين يومًا . بسبب فترة الحداد على جدتها رتيبة والدة أمها .أما العريس كريم بن مبروك الزفر ابن عمها الذى جاء من رشيد خصيصا للزواج منها..فظل في بيت عمه نافع أبي سلمى .. وخلال بقائهما في بيت العم لاحظ أن أباه يصرف ببذخ حتى يمسح سيئاته مع أخويه ويتمم الزفاف..**

سلمى في كل يوم تخرج مع أمها إلى منزل جدتها المتوفية رتيبة وتجلس مع حوالي عشرين امرأة يرتدين الملابس السوداء ويطلق عليهم النائحات وهن يتم استئجارهن مقابل مبلغ من المال ويجلسن من السابعة صباحا حتى صلاة العصر لمدة أربعين يوماً. والنائحة هي المرأة التي امتهنت النياحة للتكسب، فتأتي إلى أهل الميت لتعدد مناقبه وتولول وسط النساء لتضفي جواً من الحزن والأسى. ونهى الرسول عنها لكن ظلت كعادة عند الكثيرين وكأننا دخلنا الإسلام بألسنتنا وتس الجاهلية قلوبنا ..في طوال اليوم تضع النسوة التراب على وجوهن أو الزهرة الزرقاء ..وتعود سلمى مع أمها منهكة ..وحاولت سارة وسيرين الوقوف بجوار سلمى والتخفيف عنها ..فخرجن الثلاثة بملابس سوداء قبل غروب الشمس وجلسن على الرمال قالت سارة متسائلة لسلمى:

- **أمازال العريس هنا فى الإسكندرية ؟**
- **نعم..**

قالت سيرين:

- وأبوه؟
- وأبوه معنا.

ثم انفجرت سلمى في بكاء..

- قولوا لى كيف أترك البحر والإسكندرية والضحكات والغناء والصحبة والزغاريد والرقص..

احتضنتها سارة وسيرين وبكينا معها.

قالت وهي تجهش بالبكاء:

- سيزوجونني بلا ثوب فرح وأبوه وعدني سيشتري لي ثوباً هناك في رشيد وسيقيم لي حفلاً كبيراً ..و سأزور القاهرة معه..

حاولت سيرين أن تخفف عليها:

- ستذهبين إلى القاهرة يابنت ..تزورين السيدة والحسين والسيدة نفيسة .

أكملت سارة:

- فرصة تذهبين تشاهدين الهرم والقلعة ..إلا بالمناسبة هي قلعة واللابسة؟؟؟ هههههههه.

حاولت سارة وسيرين انتزاع الضحكة منها..

في بيت سلمى كان الوضع غريبًا ليس فرحًا وليس مأتمًا...الأم غير راضية لكنها محاصرة

وزواج البنت ستر......

زواج البنت ستر أم هروب الوالدين من تحمل المسئولية؟

زواج البنت هروب من العبء الاجتماعى .

زواج البنت هو التخلص من العورة فما زالت البنت عورة فى أعراف المجتمع العربى والمصرى..

زواج البنت غياب وردة من البيت ورائحة عطرها يلاحق الأب شهورا حتى ينسى..

وبينما سلمى وسيرين عائدتين من على الكورنيش فوجئن بأم سيرين تصرخ

أمامهم:

- أين أخوك؟
- أخويا من؟
- صموئيل.
- ما به .؟
- مختفى من الصباح ..وأبوه يسأل عنه وبحثنا عنه فى كل مكان .لم نجده.
- ماذا تعنى غائب ؟
- لا أعرف ..خرج للعمل لم يذهب إلى الدكان ولم يراه احد؟

خبطت سيرين على صدرها:

- ويلى ياويلى ..اخى صموئيل .. بكت سلمى وأحتضنتها سلمى ..

حدث منذ فترة

فى ليلة غريبة مشى صموئيل خلف سارة وهى عائدة من حفل عرس وهى تحب الغناء والرقص مع البنات فى حفلات الزفاف خاصة وكانت سلمى تغنى وسيرين تزغرد أو العكس كانت تزغرد وكان المطر شديداً.. وهو يرى سارة وهى تمشى وعلى كتفها الشال الأحمر على كتفها ويشم عطرها فهى بيضاء مثل الثلج فاقترب منها وهو يلهث مثل الكلب الهائج أو الثور الهائج أو القط الهائج .. فقال لها بصوت مرتعد متهدج تحت زخات المطر والبرد:

- سارة.. سارة
- من ؟ صموئيل؟ ما بك؟ لماذا تجرى خلفى هكذا لقد أفزعتنى؟
- أين أختى سيرين؟
- ذهبت إلى البيت .

وقف وسط الشارع ساهما..

- سارة.؟
- نعم.
- سارة ؟

- نعم
- سارة أحبك.

وقفت ونظرت له وانفجرت ضاحكة:

- هل جننت من المؤكد أنك جننت ياولد؟
- والله بحبك.

جذبها من يديها ودخلا في بوابة أحد البيوت في الظلام كي يقبلها وهي تصيح بصوت خافت:

- ولد يا صموئيل اعقل يا مجنون؟
- هاتي قبلة؟

وحاول احتضانها ومد رقبته وهي تبتعد عنه بغضب وتدفعه بعيدا ..

- اتجوزيني ياسارة

دفعته بعيدا..

- أتزوجك ..أنت عبيط ..أحمق ..أنا يهودية وأنت مسيحي .
- مابها؟
- أبي يقول المسيحيين كفارا ..
- نهرب؟
- من الذي يهرب يامخبول ..أنا لا أحبك ..أنت مثل أخي .

نظر يمينا وشمالا لم يجد أحدا يسير في الحارة فالظلام والمطر شديدين ..

- هاتي قبلة ؟

جرت في الشارع بسرعة حاول اللحاق بها فسقطت على الأرض فمد يده ليحملها وقد ابتلت ملابسها واتسخت بالطين والدمع انفرطت من عينيها ..تركها ومشى وشعر بالندم وهي تبكي ثم بعد عدة خطوات جرى إليها وأمسكها من رأسها ورفعها من على الأرض..

- سامحيني لم أقصد إيذائك ..

وقبلها من خدها ومشى مسرعا والأمطار تتساقط عليه وعليها وكل منها في

اتجاه إلى أين يذهب لابد أن يجد شخصا يتحدث معه لايوجد سوى بيرتون فذهب إلى بيت بيرتون فوجد الباب مفتوحا ومدلاة وأخشاب مشتعلة للتدفئة وأناس فقراء وأشكالهم غريبة ورجال يحملون دفوفا فى أياديهم ويقولون:

- الله حى الله حى ..مدد مدد يا مرسى ..

وبيرتون قد ارتدى جلبابا ووقف فى منتصف الحلقة وهو يتراقص معهم يمينا ويسارا فذهب إليه على استحياء:

- ماذا تفعل يابيرتون؟
- أنا فى الحضرة ..ادخل معنا.
- أنا مسيحى .
- الحضرة لله.
- أنا أريدك .
- بعد الحضرة.

خرج صموئيل من دار بيرتون متجها إلى الكنيسة فى المنشية فاستقبله الأنبا مرقص:

- أهلا يا بنى؟
- أريد أن أتكلم معك يا أبونا؟
- تفضل يا بنى .

دخل صموئيل إلى الكنيسة ودخل قلبه المكسور قبله .

أغلق القس مرقص الباب على صموئيل ..جلس أمام القسيس وهو يبكى..

....

....

المكان / بيت سارة

الزمان / ليلا

قابلها أبوها بغضب

كانت ليلة سوداء فى بيت سارة صاح أبوها

- أين كنت يا بنت الكلب؟
- فى حفل زفاف صديقة لى؟
- قالوا لى أنت ترقصى فى الافراح لم أصدق نفسى؟ هل تعملين راقصة يا بنت الكلب ..؟
- لا يا أبى .
- من الغد لا تخرجى إلى خارج البيت وإذا خرجت تخرجين وأنت عليك عباية وحجاب اليهوديات المؤمنات فرض يجب أن يكن هكذا. أفهمتى أنت؟
- فهمت..
- لو خرجت خطوة خارج عتبة البيت دون اذنى سأقتلك. أفهمتى؟

دخلت غرفتها وأغلق عليها الباب بالمفتاح ..ظلت تبكى ..

وبعد ذلك ...

أصبح صاموئيل صديقا للأنبا مرقص .. وقد تغير تماما وأخذ يصلى و يزور الكنيسة فى كل يوم .. وذات يوم جاء لزيارته فى البيت قسيسا وأحضر له كتبا وأخبر أباه أنه جاء له ليطلب منه التعاون مع الكنيسة فى توزيع الطعام على المسيحيين الفقراء ..

وبدأ صموئيل من يومها يتمادى و يصرخ فى وجه أمه:

- غطى رأسك وشعرك.ولاتخرجين عارية الرأس وارتدى اليشبك .
- مابك.؟
- حرام أن تعرى رأسك؟

فى ذاك الوقت كن المسيحيات الأرثوذكس وايهوديات يرتدين اليشمك مثل كل المصريات وكانت المسيحيات خاصة غير المتزوجات والبنات الصغيرات يرتدين اليشبك زياً تقليدياً وهو عبارة عن وشاحاً يشبك بدبوس على الدوام..أثناء الذهاب للكنيسة وأخذ حمام.. كذلك يفعل المسلمون يوم الجمعة الاستحمام والذهاب إلى المسجد ..كذلك اليهود يوم السبت استعداد لزيارة المعبد ..

....

....

عودة من الفلاش بك من الماضى إلى الحاضر

بعد يومين.

اختفى صموئيل ..يومين .

يومان يجلس الأب فى اكتئاب وحزن ..أين ذهب الولد صموئيل ؟؟..هل هاجر مثل أخيه جرجس؟ هل قتله أحدهم؟ هل أخذوه رهينة لأن أباه غنى؟ سأل عنه فى كل الأرجاء ثم فكر أن يذهب إلى بيرتون بعد أن استعان بعمر أخو سلمى..والذى نصحه بالذهاب إلى بيرتون وبالفعل راح مع عمر إلى بيت بيرتون فدخلا فوجد أناس من الدراويش ينامون فى حديقة فيلا وبيت بيرتون ونساء وأناس تحمل بخورا وترتدى سبحا فى رقبتها متعددة الأحجام وبعضهم ذقونهم طويلة وبعضهم قصيرة وبعضهم ملابسهم ممزقة والأرض متسخة ورائحة الدار غير نظيفة لكن رائحة البخور تغطى رائحة العفن....رحب بهم بيرتون وجلس بهم فى حجرة بها كراكيب وسأله عم حبيب أبو صموئيل:

- ابني صموئيل أين ياسيد بيرتون؟
- لا أعرف؟
- بأقول لك أين صموئيل ياسيد بيرتون؟
- قلت لك لا أعرف..صدقنى ؟

وحكى بيرتون له ..عن ماجرى فى آخر مره شاهد فيها صموئيل.

....

....

مر وقت قصير جدا

المكان / بيت سلمى

الزمان / نهارا

جاءت أم محمد بائعة الخبز وحكت لسلمى ماحدث لسارة أن أباها حبسها فى البيت بعد حفلال الزفاف الأخير الذى حضرته .. و أن أخاها صموئيل اختفى وأصبح مفقودا ويبحثون عنه فى كل مكان نظرت سلمى إلى أمها وقالت:

- شفتى مبروك الزفر جاء للإسكندرية والنحس جاءها ..جدتى ماتت وصموئيل اختفى وأبو سارة حبسها فى البيت ..هذا الرجل نحس نحس ليس علينا فقط بل وعلى أصحابى و على الإسكندرية والنوة شديدة ..
- اخفضى صوتك ..أبوك إذا سمع ستكون مصيبة ..لأن من تتكلمين عنه أخيه.
- أنا سأذهب إلى صحباتى صديقاتى أزورهم..
- خذى إذنا من أبيك؟
- أنا أخذت أذن منك.. غدا سأمشى وأترك الإسكندرية.. سأسافر إلى المجهول..
- الليلة ليلة الحنة وغدا ستذهبين إلى القاهرة مع عريسك..
- يارب خذنى .. وريحنى .. حنة أيه وغلب ايه ؟

واندفعت سلمى خارجة من الدار متجهة إلى بيت سيرين..

فتحت أم سيرين الباب وجدت سلمى أمام الباب قالت:

- اتفضلى يابنتى؟ أنا آسفة كان نفسى أكون فى حفل زفافك لكن صموئيل ابني اختفى. والحزن خيم علينا ..
- ربنا يرجعه بالسلامة.

دخلت سلمى إلى حجرة نوم سيرين التى كانت نائمة وارتمت فى أحضانها على السرير وظلت البنتان تبكيان فوجدت سيرين محجبة ..فجنت ..

- ما بك يا بنت؟ ماهذا الحجاب ؟
- لا أعرف ..كل شيء تغير فى بيتنا الحرام والحلال وتعقيدات وأخى صموئيل أختفى .
- ماذا تعنى بإختفى؟
- لا أدرى .. كل بيتنا وأقاربنا يبحثون عنه؟
- وما حكاية حجابك هذه؟
- أبى يقول إن المسيحى الحقيقى يجب أن يفعل هذا. الحجاب. الحشمة. الخوف من الله.. ما أخبارك أنت.. أنا فقدت أخبارك ..؟ واخبار سارة ..
- أنا بعد أيام سأسافر إلى رشيد. ثم. إلى القاهرة مع العريس نمضى أسبوعا

هناك ثم نعود.ز

- أنت غير سعيدة يابنت صوتك حزين قوووى ؟ ما بك ؟ .
- لا أحد فرح لهذه الزيجة غير أبى ..وأنا متأكدة أنه يريد التخلص منى فالبنت مشكلة فى أى أسرة كما تعلمين ؟
- نعم ..هذا حالنا كلنا ..حال كل البنات..

عادت سلمى إلى بيت أبيها أكثر حزنا وأكثر يأسا وأكثر هما ..

....

....

المكان / حى بحرى فى الإسكندرية

الزمان / ليلا

المقهى

يجلس عم حبيب .. يشرب القهوة

يمر حمدان من أمام المقهى ثم يرى عم حبيب يجلس حزينا فى الركن اليمين يشرب الشيشة فيتقدم نحوه مترددا ..

- مساء الخير معلم حبيب.
- مساء النور..
- ألم تجد خبرا عن صموئيل؟
- لا.
- من المؤكد أن لغزا وراء الإختفاء ؟؟ ..

هز المعلم حبيب رأسه.ونظر له وقال :

- اسمع دماغى بيوجعنى عاوز تشرب قهوة على حسابى أشرب.
- وشيشة كمان.
- وشيشة.. ثم اغرب عن وجهى .

ذهب حمدان إلى المقعد والكرسى المقابل له وطلب من الجرسون الشيشة والقهوة ..ثم شد نفسين وارتشف رشفتين من القهوة ثم نظر إلى المعلم حبيب

قائلا :

- معلمى بالنسبة لموضوع صموئيل .
- اسمع ياحمدان أنا سأترك لك المقهى وأمشى .

القى حبيب بالشيشة بعيدا من يديه على الطاولة وهو يجلس فى ضيق.
قال حمدان :

- انتظر دعنى أشرب حجرين معسل وأروح معك.

هب واقفا المعلم حبيب متأهبا للخروج .

أخرج حبيب أموالا تركها على مائدة المقهى للحساب نظر له حمدان بخبث وهو يشد نفسا من الشيشة ويعدل الطاقيه على رأسه بيده الثانية..

- قبل أن تمشى أقول لك شيئا معلم حبيب ...اللغز و مفتاح اللغز هو القسيس مرقص..مرقص سامع

توقف حبيب عن السير الخروج وعاد عدة خطوات بعد أن توقف برهة ونظر فى وجه حمدان الذى جلس و وضع ساقا على ساق ..

- ماذا قلت ياولد ياحمدان؟
- القس مرقص..
- لماذا.؟

أمسكه حبيب من ملابسه بغضب .

- ماذا تعرف ياملعون .؟
- ابنك كان يذهب إليه كثيرا فى الكنيسة ..ليلا..سامع ليلا ..
- لماذا لم تخبرنى؟
- أخبرك عن ماذا يامقدس حبيب ..؟ شاب يذهب ليصلى ..فى أوقات مختلفة طوال الأسبوع ليلا ونـهارا .
- شكرا..لك ..

تركه حبيب ومشى ..

قال حمدان بصوت عال مع نفس الشيشة والدخان يخرج من فمه وعم حبيب

يخرج من القهوة غاضبا مهرولا :

- لو أردت أى مساعدة أنا خادمك ..نحن جيران ..واحنا صحاب .

اقترب صبى المقهى من حمدان:

- ماذا فعلت ياحمدان؟ ماذا قلت للرجل ليخرج غضبان هكذا .

- خير أطمئن أنا وجه الخير .

ثم أخرج ريحا قوية ..نظر له صبى المقهى قائلا :

- يا ابو ظرته.

- ماذا قلت ياولد.

- أنا لا أقصدك ..

....

....

المكان /كنيسة المنشية

الزمان /ليلا

الظلام يسود المكان حول الكنيسة أشجار وإضاءة خافتة وباب خشبى كبير قديم وعليه يد حديدية دق بها الباب مرة مرتين ثلاث مرات..

- افتح يا أبونا مرقص .

لم يرد.

- افتح ي امرقص؟ أنا حبيب أبو صموئيل ..

لم يرد.

اضطر حبيب أن يرجع إلى القهوة مرة أخرى .. وجد حمدان مازال جالسا وحوله أناس صاح:

- حمدان ياحمدان ..تعال.

هب حمدان واقفا وترك الناس وذهب إليه مهرولا :

- نعم.. يا معلم حبيب نعم يا معلمى ..

أمسكه حبيب من كتفيه كأنه يريد أن يطلب مساعدته فأحيانا نحتاج إلى شخص

يلملم جراحنا ثم نظر إلى حمدان الذى أخرج ريحا ومسح المخاط بكم قميصه .. ونظر حبيب له قائلا:

- اسمع ياحمدان أريد أن أدخل الكنيسة الآن ..

لعب حمدان فى ذقنه مفكرا..

- سهله .

- كيف؟

- تعال وقف بعيدا ..

- ماذا سنفعل؟

قال حمدان وهو يمشى:

- ستكون ليلة ؟

ذهب عم حبيب وحمدان ووقف على باب الكنيسة وأمسك المطرقة النحاسية التى على الباب ودق عليه صائحا:

- افتح يا أبونا مرقص ..

لم يرد.

- افتح يا أبونا مرقص . أنا حمدان.

اقترب حمدان من الباب وأمسك المطرقة النحاسية التى على الباب ودق عليه مرة أخرى صائحا:

لم يرد أحد.

- افتح يا أبونا ؟

لم يرد.

نظر له حمدان:

- هات فلوس .

أخذ حمدان المال من حبيب ومشى

- رايح فين ؟

- لا تمش من هنا أنا قادم .

حمدان اشترى خيشا وزيتا وجاء بحبل وراح يرش الزيت على الخيش الذى وزعه حول بوابة الكنيسة ثم أشعل النيران فى القش صرخ حبيب:

- **بتعمل إيه يا حيوان؟ أنت بتحرق الكنيسة؟**
- **لا دى خدعة حتى تفتح أبواب الكنيسة انتظر**
- **ثم أخذ حمدان ينادى:**
- **يا أبونا مرقص الحق الكنيسة تشتعل و تحترق؟؟ يا أبونا مرقص ..**

بدأت أبواب الكنيسة تفتح ..ويخرج بعض الشمسان وبعض الخدم وظهر القسيس مرقص

- **ماذا جرى؟**

جرى حمدان نحو مرقص وأشار إلى حبيب.

- **عم حبيب يريدك.؟**
- **النار.. النار.. حريق.**
- **لا تهتم سأطفئها .**

وفى لحظات شد حمدان حبلا فابتعدت النار على الكنيسة ..

اقترب عم حبيب من القسيس مرقص وأمسك فى ثوبه من رقبته.

- **ابني ..أين ابني؟**
- **ابنك من؟**
- **نعم.. ألا تعرف من ابني .. ابني صموئيل .. لا تدعى أنك لا تعرفه.**
- **أنا لا أعرفه..**

أصيب حبيب بحالة هسيترية وبدأت يده ترتعش وتزداد عصبيته وهى تقبض بعنف على ثوب القسيس .. وكاد أن يخنقه.

- **سأقتلك إن لم تجبنى أين خبأته؟**
- **خبأت من يارجل هل جننت .؟؟**
- **ابني ابني أريد صموئيل يكفينى أن ابني جرجس هرب وترك مصر ولا أعرف أين هو الآن؟ لن أترك صموئيل يضيع منى مثل أخيه .**

- دعنى دعنى ..
- سأقتلك يامرقص . أنت تعرف أين ابني؟

تدخل هنا حمدان مدعيا التعاطف مع القسيس.

- يا أبونا نحن متأكدين أنه غير موجود هنا ..ولكن قل لنا من الممكن نراه أو نجده .
- فى دير سانت كاترين؟
- وأين يقع؟
- بجوار جبل موسى ..
- أين هو الجبل؟
- فى جنوب سيناء ..

ترك حبيب ملابس ورقبة القسيس مرقص. وجذبه حمدان عم حبيب بعيدا..وهمس له فى أذنه:

- ياعم حبيب سأسافر معك إلى سانت كاترين لا تخف سأترك كل عملى هنا .. لكن نحتاج طعام ومال هذا مشوار بعيد..

هز حبيب رأسه ومشى بجوار حمدان صامتا مهموما وحزينا ثم أخرج نقودا وأعطاها إلى حمدان

- خذ هذا المال اشتر ما نحتاج فى هذه الرحلة تعال عند البيت فجرا لننطلق إلى هناك.
- حاضر نام وارتاح عدة ساعات المشوار بعيد.

....

....

الزمان / ليلا

المكان / بيت حبيب.

دخل إلى الدار وخلع ملابسه وهو مهموما أشعلت الأم لمبة الجاز وجلست إلى جواره زوجته.

- ماذا فعلت؟ هل عرفت أين ابني؟
- ابنك فى سانت كاترين؟
- الدير.
- أنت تعرفينه؟
- أسمع عنه.

صمت وهز رأسه وخلع ملابسه ..كانت تجلس وضوء شاحب من المصباح ينعكس على وجهها وهى تبكى فقد كان صموئيل سندها أحيانا هو حقا أحيانا ..تتنفس معه وتحكى ما يجيش فى صدرها من أوجاع..

خبر عاجل (رحيل سلمى فجر السبت من بيت أبيها مع زوجها كريم وأبيه مبروك الزفر ..فى صمت خرجت لأن الزواج تم فى فترة الحداد على جدتها فلا احتفال فى الإسكندرية وحتى لا تعرض الأسرة للقيل والقال من أقوال إذا زغردن أو رقصن .. لم تودع سارة وسيرين ولم تسمع حتى زغرودة واحدة)

....

....

الزمان / فجرا

المكان /الشوارع

خرج حبيب وحمدان إلى سيناء فجرا إلى معبد سانت كاترين..فى الطريق لمح حمدان نافع ومبروك الزفر وكريم وعمر وسلمى ..فنكز حمدان حبيب:

- أليس هذا عم نافع وأخوه مبروك الزفر وابنته سلمى؟
- نعم
- أين يذهبون فى هذه الساعة .؟
- ليس لنا شأن.
- كيف؟

قال حبيب بلهجة غاضبة وبصوت منخفض

- امش عدل .. ليس لك أى شأن بالناس.

- حاضر .. ترى أين يذهبون فى تلك الساعة .؟
- اووه وبعدين معاك..أسكت.
- سكت أهه..

وضع حمدان يده على فمه..ومشى

فى طريقان يمشيان ربما فى طريق واحد ..حبيب يبحث عن ابنه ..ونافع يبحث عن سعادة ابنته ..يكبر الأولاد ونظل فى قلق بشأنهم..

الفجر وما أدراك ما الفجر أناس ترحل فى أول ضوء وأناس تنام وأناس تصلى تسأل الله العفو أو المال أو الشفاء أو الستر ..الفجر وما أدراك ما الفجر .. نافع يذهب ويسلم ابنته للمجهول و عم حبيب يبحث فى المجهول عن ابنه هناك فى الصحراء ..

الصحراء

سيناء وجع وتاريخ وحكايات من هنا مر المسيح الرضيع مع أمه فى رعاية الله ومر عمرو بن العاص ومعه ألف رجل وفتحوا مصر.. من هنا مر الهكسوس وأحتلوا مصر سنين عددا ..من هنا مر كل الغزاة وهنا دير سانت كاترين.. وهنا يصلون وهنا قابل موسى الله وهنا..تكلم مع الله ..وهنا ظهر الله ..

رجلان يسيران يبحثان عن بدوى يدلهما على الطريق ..هما حمدان وحبيب.

قابل حمدان أعرابيا قصير القامة يسير على الارض كأنه القنفذ :

- اسمع يا أخ .
- اسمى صويلح ؟
- أهلا ياصويلح..

نظر له حمدان وهرش فى رأسه:

- نريد الذهاب لدير سانت كاترين تعرف ؟
- خير .. ان شاء الله.

نظر صويلح إلى حمدان وجده يحمل الحطب وجرة مملوءة بالزيت .. و يحمل قفة بها قربتين ماء وخبز جاف وجبن جاف وسمك جاف ..

سار صويلح الأعرابى وخلفه عم حبيب وحمدان يسيرون حتى ولوا إلى جبل

الطور فقال صويلح هنا كلم موسى عليه السلام الله..

- ماذا تقول.؟

أصيب حمدان بدهشة وقال:

- ننام الليلة هنا؟
- لماذا؟
- لعل الله يظهر فى الليل ونرى نارا ..ونورا ونطلب منه مانريد..
- ننام.. أنا متعب ..

قالها عم حبيب ..فى الليل جلس حمدان أمام الجبل ورفع يديه داعيا:

- يارب أنا أريد دكانا كبيرا لبيع الذهب والفضة واجعلنى أكبر معلم فى الإسكندرية .. واعزم الناس على الشاى والقهوة على حسابى ..

ووقف حبيب أمام الجبل بجانبه وصاح:

- يارب أريد ابني صموئيل ..يارب هذا سندى وابنى ..

وصويلح العربى ينظر لهما فى ذهول..

وفى منتصف الليل مرت امرأة عجوز تحمل ماعز صغير حديث الولادة وتتحدث مع الماعز المولود:

- لا تخف ياصغيرى سنجد عشبا لعلاج أمك .

نظرا لها وخبأ كل منهما وجهه .

حتى يجيىء الصباح لينطلقوا جميعا .

خاف حمدان وقال لصويلح:

- هل المرأة التى شاهدتها الآن هى ساحرة أم جنية؟
- ممكن تكون جنية .
- استر يارب .

لم ينم الثلاثة ..

الليل طوووووووووووووويل.

بعد ساعة ظهر رجل عجوز وخلفه كليب صغير ينبح بصوت حاد والعجوز يمسك عصا ومصباح زيتى ينير له الطريق ..هب حمدان مرعوبا وعم حبيب ..

هز حمدان صويلح ليوقظه وهمس له وهو يرتعد:
- صويلح قم انظر هذا جن أيضا يمر.
قال صويلح والنوم يغالبه :
- يا رجل نم أنت تحلم .
صاح حمدان للرجل العجوز :
- أنت حقيقة أم وهم؟
- حقيقة؟
- أنت جن واللا بشر؟
ضحك الرجل وتركه ومشى ..أخذ حمدان يضرب كفا على كف .
- هذه ليلة سوداء يارب تعدى على خير .
فى الصباح استيقظوا ثلاثتهم ومشوا حتى وصلو إلى الدير بناء ضخم جدا .. كنيسة سانت كاترين التى نحتت فى الجبل مبنى له رهبة..وللدير قصة تقول القصة إن القديسة كاترين من عائلة أرستقراطية وثنية - ولدت بالإسكندرية ١٩٤م وكانت تسمى زوروسيا وكانت مثقفة وجميلة رغبها الكل لجمالها ورفضت الجميع وآمنت بالمسيحية أثناء اضطهاد الإمبراطور مكسيمينوس واتهمته علنا بقيامه بالتضحيات للأصنام أما هو فقد أمر ٥٠ خطيبا من جميع أنحاء امبراطوريته لكى يقنعوها ولكن على العكس ما كان ذلك فقد اعتنق هؤلاء المسيحية. وبعد مرور حوالى ثلاثة قرون من وفاة كاترينا ظهرت رفاتها المقدسة في حلم أحد رهبان الدير الذي كان قد أقامه جستنيان فنقلت هذه الرفات ووضعت في هيكل الكنيسة بصندوق رخامى بجانب الهيكل الرئيسي وما زال الطيب المنساب من رفات القديسة يشكل أعجوبة دائمه وأصبح الدير يعرف باسمها من القرن الحادي عشر. وتوجد كنيسة بالإسكندرية باسمها..
- عم حبيب وقف فى خشوع وهلع وكذلك وقف حمدان.
قال حمدان:
- اسمع سنحاول أن نتفاهم أنت ادخل لو تأخرت عن ساعتين سأقوم بحرق الكنيسة

- يا مجنون .
- مجنون مجنون بس يرجع ابنك صموئيل هو صحيح رزل معايا بس بحبه....

أمسك حبيب بالمطرقة التى كانت على شكل صليب معلقة وتتدلى على الباب:

- يا أبونا.. يا أبونا أفتح .
- لم يرد أحد.
- يا أبونا.
- لم يرد أحد.

قال حمدان:

- دعنى أعمل ..

وبدأ حمدان يوزع الحطب حول باب الدير ويسكب عليه الزيت فهجم عليه صويلح الأعرابى:

- ماذا تفعل يامجنون .؟ أتريد أن تحرق الدير لن أسمح لك.
- أنت مسيحى ياصويلح دع رقبتى.
- أنا مسلم ولكن نحن نحترم ما ورثناه لأخوتنا المسيحيين.
- دع رقبتى أنا مع أخى المسيحى عم حبيب ونريد ابنه صموئيل نحن فقط نريدهم أن يفتحوا الباب.

وفجاة فتح الباب وخرج منه كاردينال واتجه نحو حمدان:

- صباح الخير مابكم؟

هجم عم حبيب على الكاردينال:

- أنا الذى أريدك..

جذبه حبيب ودخل إلى الدير وشد الكاردينال إلى ساحة الدير وقال:

- ابني يا أبونا؟
- نعم .
- ابني صموئيل؟
- ما به؟
- أعده لى ..أنا فقدت أخاه جرجس ولا أريد أن أفقده هو كمان .

- لم أفهم ..
- ابني هنا فى الدير أريد ابني صموئيل.
- ليس لدينا احد بأسم صموئيل .
- إذا سأحرق الدير وأنا مسيحى مثلك بل وسأحرق نفسى أتفهم يا أبونا ..

تركه عم حبيب متجها للخارج فناداه الكاردينال:

- توقف أيها المجنون سأجعلك تقابل شخصا ما ربما يساعدك؟
- من؟
- اتبعنى ..
- هذا الشخص سيدلنى على مكان ابني؟
- ربما . تعال .

مشى القسيس ومشى خلفه عم حبيب متوترا ..حتى دخل من باب إلى باب وصعد به عدة درجات سلم قصير..المكان بارد قليلا ومظلم

دخل عم حبيب إلى حجرة صغيرة لها نافذة صغيرة عالية وسرير متواضع ومكتب متواضع وكتب دينية وشاب صغير حليق الشعر يرتدى زي الكهنة البسيط وعلق فى رقبته صليبا معلقا فى حبل ..

الشاب يعطى ظهره للباب:

قال حبيب :

- صباح الخير..
- صباح النور..

نظر عم حبيب فى ذهول إلى الشاب صموئيل :

- ابني صموئيل
- أنا لست ابنك وليس اسمى صموئيل اسمى بطرس..
- يا ابن الكلب؟ أى بطرس؟ بطرس من ؟

التفت الشاب فوجد عم حبيب فى حالة ذهول كان صموئيل حليقا ويمسك فى يده الكتاب المقدس

- يا ابن الكلب أنا أبوك من حملتك يداى من علمك الفرق بين الذهب والفضة

- أنت على خطأ اسمى بطرس..
- أنت ابني وأنا ربيتك حتى تورثنى وتصير أكبر تاجر فضة وذهب فى السوق يا صموئيل
- أنا بطرس بطرس الاتفهم يارجل .؟
- لا لا أنت أبنى أتتذكر وأنت صغير تقول سأكون مثل أبى تاجرا وكنت تمسك مقوض النار وتحرق الذهب أتتذكر يا صموئيل ..
- اسمى بطرس قلت لك ؟
- كنت طفلا شقيا صعدت فوق سور حديقة بنيامين وسرقت الفاكهة وأمسكك (ضحك بهستريا) وأنا هههههههه دفعت الثمن وقلت له إياك تخيفه مرة خرى كنت ترتجف ساعتها قلت له أعطه مايريد وسأدفع لك أتتذكر يا صموئيل؟
- أسمى بطرس يا رجل .
- اوووه نسيت أن أخبرك من الممكن جدا أن تكون أختك سيرين راهبة لكن أنت لا ...فاهم أنت لى يا صموئيل هى امرأة والمرأة عورة حين تكون راهبة نكون فى أمان صحيح أليس كذلك؟؟ يا صموئيل؟
- اسمى بطرس قلت لك كفى لا تنادينى بهذا الأسم .
- سأذبحك إذن يا بطرس هنا.. الآن أنا أريد ابني يابطرس بطرس يموت صاموئيل لا.

أخرج السكين المختبىء تحت عبائته وأمسك رقبته وألقى به على الأرض ووضع ركبته على صدره وقال:

- سأذبحك يابطرس لأنك ذبحت ابني صموئيل سأذبحك وأستريح حتى أعرف مكان مقبرتك يا صموئيل واعرف مكان جثتك بدلا من أفقدك ولا أعرف مكانك مثل أخوك .. سأقتلك يا بطرس.

نظر صموئيل وجد أباه يتصبب عرقا وفى حالة هستيرية صاح صموئيل:

- أنا ابنك يا أبى ابنك لاتذبحنى الحقونى .الحقونى .
- قلها مرة اخرى أنت من قلت لى ؟
- أنا ابنك ..

- ابني من؟ ارفع صوتك ابن من .؟ من أنت؟
- أنا صموئيل .صوئيل بن حبيب.
- آه ياحبيبى أنت صموئيل ياقلب أبيك أنت لست بطرس

ضمه فى أحضانه وأخذا يبكيان صموئيل وأبوه ..

خرج صموئيل وعم حبيب من دير سانت كاترين وعند خروجهما من البوابة صاح حمدان وصويلح الأعرابى..

- الله أكبر .
- الله أكبر .

سار الأربعة فى الطريق للعودة ..

نظر حمدان لصموئيل :

- يا صموئيل أمك مريضة وأختك تبكى ليلا ونهار.. والولد إسماعيل صبى القهوة قال إنك شربت عشرين فنجان قهوة ولم تدفع حسابها دفعتها له بدلا عنك مع أنى أعرف أنك لا تحب القهوة..

سار الأربعة عم حبيب وصويلح الأعرابى وحمدان وصموئيل فى صحراء سيناء.. وفى الليل ناموا على الرمل تحت شجرة ..لكن حمدان أحس بالمرأة العجوز تمر من جواره وهى تحمل عنزتها وقالت له مبتسمة .

- نم نم ياحمدان ..
- حاضر .

ثم أدرك أنه يريد أن يحقق معجزة خاصة وأنه بجانب جبل الطور ..هب واقفا يلاحقها فوجد الشيخ العجوز قد ظهر ومعه الكلب ألأسود . الذى لا ينبح .. أوقفه العجوز:

- أين تذهب؟
- أريد أن أرى نارًا مثل موسى ..
- هو رأى نورًا .
- أريد أن أكون مثله ..
- أنت مجنون؟

- لا أنا فقير وحظى قليل ومظلوم ..
- خذ هذا..
أعطاه الرجل العجوز سباطة تمر،وتركه ومشى ..
عاد صائحا بصوت عال: لقد رأيت وجاءنى وأعطانى هذا..
قاموا من النوم مفزوعين ..
مابك؟
قال حمدان:
- قابلت موسى النبى وأعطانى هذا تمرا وقال لى ياحمدان هو تمر مبارك.
ضحك حبيب ..الذى كانت يده مربوطة بيد ابنه خوفا من أن يهرب ويعود إلى الدير
....
....
الزمان/ ليلا بعد صلاة العشاء
المكان / حارة بيت كريم ومبروك / رشيد
كل أهل الحارة نائمون كانت تتوقع استقبالها على الصفين لترحب بالعروس التى جاءت زغردت الأم سلامية التى كانت مريضة وابتسمت وهللت فقام أهل الحارة من نومهم فالحارة المصرية لاتنام، مصر وما أدراك مامصر، بالتجمع وبدأت الزينات..نساء من كل لون خرجت من أبواب الحارة ..كأنه كرنفال لملابس فقيرة أشكال وألوان .ودخلت سلامية على سلمى ..
- امسكى يابنت ..
- امسك ايه؟
- دا منديل لما يدخل عليك كريم نقطة الدم هاتيها عشان نبين للناس أن شرفنا زى الفل .
زغاريد وسلامية سلمت سلمى بامرأة تسمى الماشكة ..أدخلتها الحمام وبدأت النسوة بخلع ملابسها ودخلت امرأتان تغسل جسدها بالليفة ..وتقف بينهما وأتوا بثوب فرح مقاسه كبير وألبسوها إياه..وسط دائرة من النسوة يرقصن ويغنين

أغانى شعبية للعروس والعريس أما كريم حمله أصحابه عند الحلاق واستحم فى بيت صديقة توفيق وارتدى بدله جديدة وقميص جديد وتعطر وحلق له الحلاق ذقنه ..والشباب يرقص فى دائرة ..على يمين البيت نساء وتجمع وعلى اليسار أطفال والكل فى فرح وغناء ..وأطلق البعض الرصاص فى الهواء احتفالا بهذه المناسبة وخرج التجار والفقراء التجار ليقدموا نقطة للعريس وأبوه والفقراء حتى يأكلوا لحما ويكون لهم نصيبا أثناء توزيع الطعام..

وسلمى كأنها تدور فى حلقة مفرغة وذهول وتنتزع الابتسامات رغما عنها وتتذكر سيرين وسارة وضحكاتهن وأحلامهن الثلاثة ومواصفات العريس .. أحلام البنات دائما تضيع و تغيب فى زحام الحياة وقسوة المجتمع

وبعد ساعات قليلة حملوا العريس إلى غرفة وكانت العروس فى انتظاره .. مرعوبة .

كان وجهه يتفصد عرقا ..نظر لها وشم عطر جسدها ..

- ماهذا العطر؟ ما اسمه؟
- ليس عطرا..هذا جسدى ..
- جسدك رائحته عطرا..
- نعم.

وسمع فجأة أصوات عصافير على نافذتهما:

- ماهذه العصافير؟
- أصدقائى .
- هههههه العصافير أصدقائك.
- نعم فى كل مكان أذهب يقفون على نافذتى..
- جميل جدا ..

دقت أمه من الخارج على الباب تنادى:

- البشاره ياعريس .

ثم صوت أبيه:

- البشارة يا كريم.

جحظت عيناه والعرق يتصبب منه ..قال لها بصوت مرتجف:

- المنديل..أين المنديل الذى أعطته أمى لك؟

أخرجت المنديل من صدرها:

- ها هو .

اختطفه من يدها وأخرج من جيبه ورقة صغيرة بها إبرة خياطة وأخذ يشكك فى أصبعه بشكل هيستيرى وبدأ الدم ينبثق من إبهامه وهو يمسح بالمنديل الدم ..حتى أصبح مبللا بالدم وهى فى دهشة ثم قام بصفعها بقوة على خدها الأيمن صاحت سلمى:

- آه... أه..

خلع القميص والبنطلون واصبح بالقلسون والفانلة وخرج بسرعة وفتح الباب وسلم المنديل المبتل بالدم لأبيه ففرح الأب وصاح وهو يمسك المنديل:

- مبررروك البشارة اهى ..

أطلقت النيران والزغاريد وجلس أمام سلمى يبكى كطفل وهى تبكى:..

أخذ يجهش بالبكاء ثم بدأ يخف البكاء..

- يا بنت العم سامحينى .؟

لم ترد كانت فى ذهول قال كريم والدوع فى عينيه :

- أردت أن أسكتهم يريدون دليلا على أنك عذراء وأنى ذكر .

لم ترد وتصببت عرقا.

- سنسافر غدا إلى القاهرة أسبوعا تشاهدين الأهرام وأبو الهول والقلعة.

لم ترد كانت مصدومة ..

- لا تخبرى أحدا بما حدث هنا هذا سر بينى وبينك

لم ترد..وبلعت ريقها بصعوبة.

- أنا أعالج عند طبيب أعشاب عطار وقالوا إن فى القاهرة عطار مشهود له بالعلاج ..

لم ترد وحاولت ان تشرب موب ماء.

حاول أن يضمها ..فزعت وجريت فى ركن فى الحجرة ..فكرت ماذا تفعل؟ ماهذا

الحظ؟

تركها ونام على الأرض .

....

....

اليوم التالى

فى الصباح

أتت أمه بالفطورالعسل النحل والقشطة والبيض والفطير والتهانى وابتسامة مزيفة من سلمى وابتسامة مكسورة من كريم .

اتجه كريم وسلمى إلى القاهرة ..وسط الزغاريد .. والأفراح ..

سكتت شهرزاد عن الكلام المباح

قامت ومشيت إلى الصالة وقالت بصوت عال:

- بدى قهوة؟
- أعملك قهوة. خالتى
- لا أنا رايحة البيت وغدا نكمل الحكاية .
- طيب براحتك..

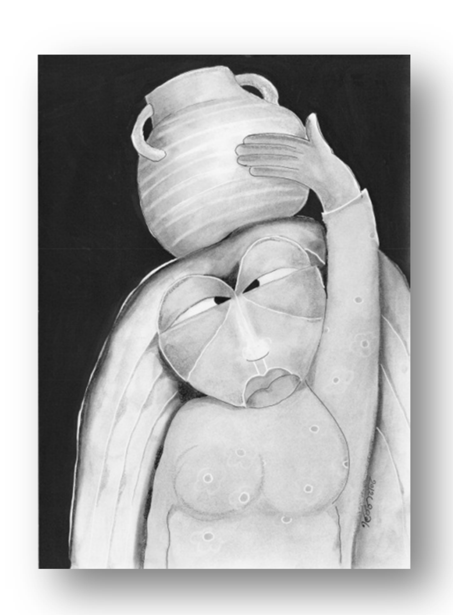
الفصل الرابع



العنوان الأول
لا أتذكر أن الوطن
أعطانى مرة وردة أو
مظلة للمطر

العنوان الثانى
وأحياناً أراك فى
دمى وردة
حمراء الخدين





العنوان الثالث
أنا رجل يائس
من هذا الوطن



العنوان الرابع
الوطن شاخ لا
مهنة له الآن

الزمان / ليلا
المكان / البالكون فى
بيت شهرزاد
الحالة (تجلس شهرزاد أمامها الشيشة والقهوة ..وتنفخ فى الهواء ..وقد جلست سهر ممددة ساقيها على كرسى أخر وارتدت فستان قصير وساقيها البيضاء الناصعة لاشعرة فيها وجلدها الذى يلمع ..فوق الركبة ...وهى تشرب المتى)
قالت سهر:

- **احك لى عما حدث مع سلمى و سارة وسيرين ..**
- **ياه أمازلت تتعلقين بالحكاية؟**
- **نعم ياخالتى ..**
- **صل على النبى .**
- **عليه الصلاة والسلام.**
- **كان ياما كان كل شيء فى رشيد جميل وساكن إلا قلب سلمى فهى تعرف وجع زوجها كريم ومشكلته فهو لايستطيع ..وكان عليها فى كل يوم تدعى أن زوجها نام معها فتستحم وتغسل ملابسه وكانت أمه تفرح كثيرا عندما تراها تسخن الماء للحمام بينما كريم يضع الفوطة على كتفه وهو يرتدى فانيلة سواريه وتظهر عضلاته، أمه تهز رأسها فرحة وهى تجهز الفطور ..وفى كل يوم تهمس فى أذن سلمى :**
- **شد حيلك نريد صبيا ولانريد بناتا.. البنات عار ..والولد شد ظهر..**

كانت سلمى لاترد وتبتسم ابتسامة ممزوجة بالحزن والأسى ..كتب عليك يابنت نافع أن تسيرى طريقا صعبا فى نفق صعب عليك أن تكتمى السر !!!.. لو أبلغت أمك ستشتعل حربا ..وكيف تعودين إلى بيت أمك وأبيك ويقولون مطلقة ؟؟؟.. ترى كيف حال سيرين وسارة وصموئيل وعمر أخى وابن عمى عمران...؟؟؟؟ كيف البحر وأهل حارة اليهود..؟

....

....

الزمان/ ليلا

المكان / رشيد بيت مبروك / غرفة نوم كريم ابنه

عاد كريم من العمل كعادته تناول وجبة جمبرى فى العشاء فقد قالوا له إن الجمبرى مفيد فى تقوية الرجل جنسيا وأكل بطارخ السمك وشرب الشاى وظلت سلمى تخدمه فى تلك الليلة وتراقبه وهو يشرب الشاى وبدأ يتثائب كعادته وسوف ينام قالت:

- **سى كريم.**
- **نعم.**
- **أريد أن أزور أمى.**

توقف كريم عن شرب الشاى .

قام وشد الفانيله على السروال :

- **خير .؟**
- **خير يا ابن عمى أمى وحشتنى.فيها أيه؟**
- **مضى شهر واحد فقط ..أنت عشت معها ١٨ سنة..**
- **هذه أمى.أحب أن اراها ..**
- **على العيد .**
- **ياه ياه العيد بعد خمسة شهور .**
- **غدا سننزل سوق الذهب أشترى لك أسورة..**

هكذا يرى الأمر كريم أسورة ذهب تسكت المرأة واكل الجمبرى والبطارخ ..

....

....

يوم جديد

فى الصباح

قالت أم كريم بصوت عال منادية على سلمى التى مازالت نائمة فى غرفتها:

- **ياسلمى ياسلمى .**

(من داخل الحجرة)

- نعم ياخالتى ماذا تريدين ؟
- البسى ملابسك نطلع السوق سوا.

فرحت سلمى هبت مسرعة وارتدت ملابسها أخيرا ستخرج إلى السوق ..

....

....

المكان / السوق

مشيت أم كريم وسلمى .

رشيد مدينة الجمال

فى سوق الذهب دخلت أم كريم إلى دكان خليل العايق الجواهرجى حتى هب واقفا ويمسك مسبحة من الفضة فى يده وصاح مرحبا مهللا:

- يادى النور ..الدكان نور الست أم كريم عندنا يامرحبا .
- أهلا بيك.
- عاوزين أسورة حلوة لمرات أخوك كريم.
- حاضر من عيونى.

رمقها بعينيه الثعلبتين فتأمل جمالها فارتجف جسدها فقد كان خليل الحلو زير نساء تمر عليه النساء كل يوم تمر عشرات النساء على الدكان..نظر لها فشم عطرها فانبهر بجمال زهرة فى السابعة عشر فقال صائحا:

_ ماشاء الله قمر.الست ام كريم جاءنا.

قالت الأم :

- أمال ابني كريم لازم يتجوز قمر .

قال وهو يرمق سلمى:

- مبروك ياعروسة تستاهلى وزنك ذهب .

ارتبكت الأم قائلة :

- احنا لسه واخدين الشبكة من عندكم من شهر .
- صحيح..صحيح.
- فرجنا على الدهب اللى عندك .

قدم لها أصنافا وأنواعا من الأساور وقال لها وهو يلقى عليها بشباكه..

- اختارى ما تشائين وإن لم يعجبك أعيديه وخذى غيره المحل تحت أمرك.

ارتبكت أم كريم ..

مر مبروك والد كريم من جوار المحل فجأة فدخل المحل حين لمحهما :

- خير ماذا تفعلان هنا؟

قالت الأم:

- كريم يريد شراء أسورة لسلمى ؟

ضحك مبروك وقال:

- لا خليهم أسورة وسلسلة على حسابى هذه ابنة أخى نافع أجمل بنات اسكندرية .

ضحك خليل الحلو:

- نورت رشيد يامعلم..

أمضت سلمى وأم كريم حوالى ساعة فى دكانخليل الحلو الجواهرجى وهو بنظراته يكاد يفتك بجسمها ..وبدى أنه يضاجعها بعينيه وبدت هى تشعر أن الرجل جن بها فأحست إحساسا غريبا ..ليس انجذابا ولكن تحريك لغريزة الجنس لدى المرأة..فنظرات الرجال الشهوانية نوع من المضاجعة أو الجنس الخفى أو الزنى ..شعرت أم كريم فقالت بصوت حاد قليلا:

- هيا بنا كفى اليوم.

صاح خليل الحلو :

- أنا أرسلت أشترى عصيرا .

- لا شكرا .شكرا.

خرجت المرأتان من المحل وأم كريم تبرطم

- قلة أدب ..راجل قليل الأدب وعيونه زايغة ..زوجته مثل القمر ..ماذا يريد؟

ادعت سلمى الغباء..

- ماذا جرى منه يا خالتى؟

- شايفة كان ينظر لك كيف؟ ألا يستحى؟ ابني صاحبه وصديقه..

- ماذا فعل ؟؟
- أنت ساذجة ولاتعرفين شيئا ..هذه آخر مرة أشترى منه ..

عندما عادت سلمى إلى البيت ارتدت قميص نوم جميل وتكحلت ووضعت البودرة على خدها لقد تحركت داخلها أنوثتها كادت نظرات خليل الحلو أن تفتك بجسدها .. وضعت عطرا جاء هدية من سارة ..وقميص نوم أهدته لها سيرين .. ومشطت شعرها وحلت الضفيرتين ..

....

....

الزمان/ ليلا

المكان / الإسكندرية / بيت عائلة سلمى

الصالة تجلس الأم .. وهى ترى أن نافع زوجها أبا سلمى لم يتناول طعام العشاء

- ما بك يا نافع؟ لماذا لم تأكل؟
- نفسى مسدودة.
- ما بك؟
- طوال اليوم بالى مشغول على سلمى.
- تعودنا على صوتها فى البيت وهى تغنى و تضاحكنا .
- لا أنا قلق عليها ..طوال اليوم على بالى ..
- لم يمض شهر بعد؟.
- أنا حسأسافر غدا إلى رشيد أطمئن عليها وأعود ..
- سأسافر معك..
- لا ..أنا ساغادر فى الفجر والصبح أكون فى رشيد أطمن عليها وأرجع .
- طيب .. أقوم أحضر لك زيارة .
- لا تحضرين شيئا.
- عيب أنت فى أول زيارة .
- سأقدم لها فلوس وللعريس فلوس أفضل .
- الذى تراه

الزمان / ليلا

المكان / بيت مبروك أبو كريم / الصالة

يدخل كريم إلى الصالة يجد أمه وهى تجهز له العشاء .

- **مساء الخير يا أمى.**
- **مساء النور.**
- **أين أبى؟**
- **نام أكل ونام.**
- **مابه ؟**
- **تعبان شوية.**
- **وسلمى ؟**
- **وسلمى فى غرفتها أخدت حمام ودخلت.**
- **ربنا يطيل فى عمرك يا أمى.**

يهم بالذهاب للغرفة .

تنهره أمه :

- **انتظر .**
- **خير يا أمى حدث شيئ؟**
- **نعم .**
- **خير ..**

جلس أمامها وهو قلق:

- **خير يا أمى**

جلست بجواره هامسة وهى تتلفت :

- **اليوم ذهبنا إلى لسوق من أجل أن أشترى لها أسورة مثل ماقلت لى وأبوك مر علينا وقال اشترى لها سلسلة .**
- **حلو؟**
- **لا ليس حلوا؟**
- **كيف؟**

- خليل الحلو العايق !
- تاجر الذهب صديقى مابه .
- كلب ولا يسوى .
- مابه ؟
- ساعة ماشافها وهو لم يكن على بعضه .
- لم أفهم؟
- أخذ يغازلها وقال لها أنت تستاهلى وزنك ذهب.
- تاجر ويريد أن يبيع يا أمى ..
- لا لا هذا رجل وسخ .
- لم أفهم.
- بالعربى كان يغازلها وجعل وجهها أحمر وقلب كيانها من ساعة مارجعنا من عنده وهى ليست على بعضها وضعت الكحل والبودرة والأحمر وأخرجت قمصان النوم ..أنا ست وأفهم.
- وبعد ..
- تنتظرك فى الغرفة اكسر رقبتها بالذوق من أجل لاتضعف أمام أى رجل .
- سأضربها .
- لا ياحبيبى حسس عليها أحسن.

كانت تسخر منه طبعا ..نظر لها :

- لماذا؟
- مادام فعلت هذا إذا هى تفكر فيه؟

هز رأسه ببلاهة ..

جلس ليأكل .

غضبت الأم وقالت:

- اضربها العلقة وتعال كل بعد الضرب.
- حاضر

هز رأسه ودخل إلى الغرفة .

الزمان / ليلا

المكان / غرفة نوم كريم

فتح كريم الباب فجأة وجدها متمددة على السرير بقميص نوم أحمر وهى تهز ساقيها وقد حلت ضفائرها شعرها الحرير يغزل الليل والقمر والعصافير التى على نافذتها جلست على السرير.

- **مساء الخير لقد تأخرت ياكريم ؟**
- **ماهذا .؟ ماهذه المسخرة ؟**
- **عن أى شيء تتكلم .؟**
- **الأحمر والأخضر الذى فى وجهك.**
- **من أجلك ياكريم .**

نزلت من فوق السرير متجهة له ..

....

....

الزمان ليلا

المكان /على شاطىء النيل

تكعيبة عنب يجلس تحتهاخليل الحلو تاجر الذهب وهو يحشش مع مندور تاجر مواشى

وهما يشدان أنفاسا من الشيشة وأحجار المعسل المعتقة بالحشيش ..لاحظ مندور أن خليل شارد وليس كعادته فى إلقاء النكات الخليعة

- **ما بك ياخليل؟**
- **لا شيىء.**
- **أنت محتاج فلوس؟**
- **لا.**
- **يبقى الموضوع نسوان.صح ؟**
- **ههههههههههههههههههههه**
- **ايوه ..فك التكشيرة ..قل لى من؟**

- غزال ..مهرة عاوزه خيال يركبها ويروضها..
- تتزوج تانى تزوجت عشر مرات يا رجل ..
- إلا هذه أقول لك مهرة .
- تزوجها .
- للأسف لا أقدر هى متزوجة..
- ماذا تقول؟
- ماسمعت.
- انتبه نحن في رشيد قرية يسمعون زرطة الرجل وهو يمشى فما بالك أن يعشق؟

هيا للنوم ياخليل

رد خليل بفتور

- سنسهر للصباح؟

قام المعلم مندور:

- أنا عندى شغل فى الصباح.
- اذهب أنا جالس .
- طيب

مشى مندور وتركه مع الشيشة والحشيش.

....

....

الزمان / ليلا

المكان /غرفة كريم

أم كريم تقف على باب الغرفة وتنتظر أن تسمع صراخ سلمى وصوت الضرب ..كانت سلمى تسبب لها أزمة كلما خرجت معها لأى مكان فسلمى تجذب الجميع ولا يسأل أحد عن أم كريم ربما هى غيرة الأنثى ..ربما ..

مزج إلى داخل الغرفة

تقف سلمى بجمالها الآخاذ أمام كريم الذى لايطاوعه قلبه على ضربها وكاد

يضعف ولا يضربها فسمع صوت أمه من خارج الحجرة ..
لقطة فى الصالة
قالت ام كريم وهى تقف على الباب تتنصت :
- أنا رايحة أنام ياولاد عاوزين حاجة ؟؟
لم يرد أحد..ذهبت الأم بغيظ إلى حجرة الأب مبروك الزفر وهى فى حالة غيظ شديد..وشدت الغطاء ..
لقطة
داخل غرفة كريم
- مابك ياكريم شكلك متغير .؟
- ماهذا الذى تلبسينه؟
- قميص نوم أحمر لايعجبك أغيره و سأرتدى قميص نوم لونه أسود وبدأت تغير ملابسها وهو بين نارين أن يسمع كلام أمه وعجزه الجنسى وهى على الباب ..ارتدت قميص النوم الأسود.. واقتربت منه
- مابك حاول ياحبيبى..سأساعدك ..
صفعها على وجهها. اندهشت وهمست :
- مابك؟
- يافاجرة..
- أنا..؟؟
- نعم أنت.. أنت كمان تردين على ؟
أخذ يصفعها وهى تكتم صراخها ..
- ياكريم أرجوك.. لماذا تضربنى يا ابن عمى ؟
- اخرسى لاتنطقى اسمى ؟
ظل يصفعها بقوة حتى يخرج صوت صراخها..
- أى اى اى ..
- واقفة تتمسخرى فى الدكان مع خليل الحلو بتاع النسوان ؟
- أنا؟ طيب اسال أمك؟

- مالكيش راجل تحترميه؟
- أنا؟

تنادى على ام كريم :

- ياخالتى ..الحقينى ؟
- بلاش تحترمينى أنا.. أحترم أبوك الغلبان عم نافع.. او أحترمى أخوك عمر؟
- أنا؟ أسأل خالتى ؟

وكلما يعلو صوتها يزداد ضربا حتى تفرح أمه وترضى؟

....

....

لقطة فى غرفة الام

الأب مبروك يتململ فى السرير

- ماهذا .الصراخ ..فيه ايه ؟

ردت الأم :

- لا شيء .نام يا أخويا نام ريح جتتك.

صوت ضرب وواحدة تصرخ..

- هذا الصوت من عند الجيران نام يامبرووك ..نام؟

غطت أم كريم وجه مبروك الذى أخذ يشخر ..

و تشد الأم الغطاء وهى فرحة .

شر بالمجان بدون سبب هكذا بعض البشر أو كثير من البشر

....

....

لقطة فى غرفة كريم وسلمى

نام كريم ممدا على السرير يشخر وهى تبكى وفى انهيار والمكياج وقميص النوم قد تمزق ..لم يتناول العشاء ..

....

....

الزمان بعد ٣ ساعات

لقطة فى غرفة كريم وسلمى

تقوم سلمى بتجميع ملابسها فى أوبجة وترتدى عباية سوداء لقد قررت الفرار من رشيد ومن كريم ومن مبروك الزفر والعودة إلى أبيها..نظرت فى المرآة وجدت كمدات فى عينيها وقد اسودت من الزرقة أخذت الحذاء فى يدها وسارت على أطراف قدميها ..إلى الصالة ..إلى الباب فتحت بهدوء وتركته مواربا متجهة فى هذا الليل فى هذا البلد أمضت شهرا..

....

....

الزمان/ ليلا

المكان/ عشة على النيل

على العش الذى على النيل

يقوم خليل الحلو ويترك الحشيش والمعسل وصاحب الغرزة ويصا..

- **كفاية كده..ياويصا.**
- **لسه يامعلم فاضل حجرين ..**
- **اشربهم أنت أنا كفاية كدة..**
- **ياعم خلصهم وامش..**
- **الفجر قرب حيدن أروح أستحم وأصلى وأنام..**
- **براحتك يامعلم..**
- **السلام عليكم ..**

....

....

لقطة شوارع

تسير سلمى بعباية سوداء وعلى وجهها يشمك وتحمل اوبجة ملابسها..

يسير فى الطريق المقابلخليل الحلو ..يندهش لوجود امرأة فى هذا الوقت وعندما تقترب منه شم عطرها.

- ياست أنت ياست ؟
- لم ترد.
- ياست أنت رايحة فين فى الساعة دى؟
- لم ترد.
- أنت مرات كريم صح ؟ كنت عندى الصبح..

بكت

- لاحول ولاقوة إلا بالله ؟
- أبوس إيدك ودينى إسكندرية عند أهلى ؟
- مفيش مواصلات الساعة دى ؟إيه اللى حصل بس يابنت الناس ؟
- ركبنى اى حاجة ولاتق أنت شاهدتنى ؟
- احكى لى بس وأنا ح اعمل اللى عوزاه..

حكت له وكيف اتهمها فى خليل والسبب أمه قال وهو متأثر:

- أعرفها سوداء القلب ؟
- ودينى لأهلى ابوس رجليك ..
- ح اوديك لحد اسكندرية واطمن عليك وارجع ..غطى وجهك..
- ربنا يستر ولاياك..
- تعال ..

ذهب إلى مراكبى فى النيل ..ونادى عليه

- عوضين..
- نعم يامعلم ..
- عندنا مشوار لا سكندرية نوصل فى قد ايه؟
- ٨ ساعات..عشان الهوى معانا ..
- يلا

ركب معها وهى تبكى وهو يتحدث مع المراكبى وقال له أنها أخته وغاضبة من زوجها ولازم ترجع لزوجها..

....

....

الزمان/ نفس الزمان والتوقيت

المكان/ بيت أبو سلمى الاسكندرية

قام أبوها نافع وصلى وتوضأ وارتدى ملابسه متجها إلى رشيد ..قامت الأم بتوديعه

- خلى بالك على نفسك .ياخويا ؟
- حاضر .
- دعنى آتى معك يا نافع قلبى مشغول على البنت بشوف احلام وحشة ..
- لا..ح اروح لوحدى ..
- طيب خذ عمر معاك..
- لا هو يفتح الدكان وانا اروح ..
- أنا عملت زيارة شيلها معاك ياخويا..
- لا قلت لك لن أحمل شيئا سأدفع نقودا ..
- بالسلامة ..ياخويا ..
- الله يسلمك..

أوصلته إلى الباب

أغلقت الباب

- اللطف يارب

....

....

الزمان / الفجر

المكان / بيت مبروك رشيد

صوت آذان الفجر .تقوم الأم تتجه للوضوء وتجهيز الشاى والفطار .. وتمشى تجد باب الشقة غير مغلق .

- يا لهوى هو أنا نسيت أقفل الباب من اللى أنا فيه؟

تغلق الباب وهى تجه إلى غرفة ابنها كريم :

تنادى بصوت مهموس:

- سلمى ياسلمى

لا أحد يرد

تحدث نفسها

- أحسن أخذت علقة محترمة خليها نايمة مخمودة عشان تتعلم الأدب

يقوم مبروك يتوضأ ليصلى ينظر إلى أم كريم:

- ابنك لم يستيقظ للصلاة؟

- سيبه نايم .

- طيب

....

....

لقطة المركب تسير فى النيل و تجلس سلمى تبكى وخليل فى صمت ..والهواء يدفع بالمركب يصيح عوضين

- الهواء معانا كويس قوى

خليل لا يرد

....

....

بعد ساعات

المكان / بيت كريم

الأم/ تجهز الفطور وتدق الباب

- قم ياحبيبى الفطار جاهز زوجتك مازلت نائمة كريم ياكريم كركر ابني كركورى

يتحرك فى السرير ببطىء:

- حاضر .

يقوم يفتح الباب تدخل الأم تحمل صينية الفطار عسل نحل وقشطة وبيض

تقول الأم بتهكم:

- العروسة لسه نايمة .
- لا يرد

ينظر فى السرير لايجدها ينظر إلى الدولاب يجده مفتوحا والملابس ملقاة على الأرض.

- سلمى فين يا أمى؟

ضربت على صدرها :

- يا مصيبتى البنت طفشت ؟ يافضيحتنا؟
- الحقها على محطة السفر.
- يا فضيحتنا

ارتدى كريم ملابسه مسرعا وجرى إلى الشارع.

....

....

الزمان / نفس الزمن السابق

المكان/ حلقة السمك فى رشيد

يدخل نافع إلى السوق وهو يبحث عن محل أخيه فأرشده أحدهم إليه وبينما مبروك الزفر يبيع وجد أمامه نافع فى المحل فصاح:

- غير معقول أخى نافع فى رشيد ..
- نعم ..وحشتونا.
- رشيد نورت يا اخويا..
- لازم نعمل أحلى أكلة سمك لك؟

اقتحم الحلقة والمحل صبى من صبيان المعلم مبروك:

- الحاجة عاوزاك يامعلم مبروك.
- حاجة مين؟
- الست أم كريم ..

أشار لأخيه:

- تعال سلم عليها

فى ركن بعيد فى السوق وقفت أم كريم وأرسلت الصبى .

جاء مبروك ومعه نافع ..صاح مبروك:

- **شفتى المفاجأة أخوى نافع هنا؟**
- **اهلا يا اخويا.**
- **يلا ودونى البيت عاوز أشوف سلمى .**

قالت الأم ولونها مخطوف:

- **سلمى**

أجاب نافع:

- **نعم.**

قالت بخبث:

- **هى مش فى اسكندرية عندك يا اخويا ؟**

رد مبروك

- **أنت جنيتى ..سلمى عندك فى البيت. عندى فين ؟**
- **سلمى هربت .**
- **ماذا تقولين؟**

أصيب نافع بصدمة وأمسك صدره ووقع على الأرض..

- **ابنتى هربت.. اي اى**
- **ياناس الحقونا**

هكذا صاح مبروك..

سقط نافع على الارض..

....

....

الزمان/ ظهرا

المكان / النيل فى الإسكندرية

تنزل سلمى مع خليل على الشاطىء ..يدفع خليل نقودا لعوضين المراكبى .. يقف مع سلمى على شط النيل .

- أنت اسمك ايه؟
- متشكرين ياسى خليل.
- اسمك ايه يابنت الناس؟
- اسمى سلمى .
- عاشت الأسامى ..شوفى يا سلمى أنا أعرف أن كريم ضعيف وليس له شأن بالستات مريض ومالوش وأنا دخت معاه على المنجمين والعطارين بس هو كذب وقالى خفيت ..وأصبحت تماما

ومن حقك الطلاق .. وإذا طلقتى أريد أن أتزوجك ؟

- لا ياسى خليل أنا جربت نصيبى وخلاص لا زواج ثانى.
- إذا أحببت أشترى لك بيت فى اسكندرية أنا موافق.
- أنا أخدت نصيبى الله يسهلك ويسترك.
- أوصلك لبيتكم؟
- لا أنا أعرف أوصل أشكرك ياسى خليل .
- حنتقابل تانى يا مدموزيل ..

هزت رأسها ومشت مبتسمة وابتسم هو..

....

....

الزمان / ظهرا

المكان / بيت سلمى

دقت الباب ..فتحت أمها الباب فشاهدتها ..فشهقت الأم

- سلمى .؟
- أمى .

ارتمت فى حضن أمها..وظلت تبكى :

- ادخلى ادخلى ..

دخلت قفلت الأم الباب .

- أبوك فين؟

- لم أفهم؟
- أين أبوك؟
- فى الدكان.
- أبوك سافر لك رشيد .
- متى .؟
- فجر اليوم .

أغمى عليها ..

صرخت الأم:

- عمر ياعمر الحق أختك سلمى .

....

....

الزمان/ ظهرا

المكان / رشيد/ بيت مبروك

التف حول السرير مبروك وكريم وأم كريم والطبيب ونافع ممدا على السرير وفجاة قام من السرير صائحا:

- أين ابنتى ياولاد الكلب .. ؟؟

صاحت أم كريم:

- يا غريب خليك أديب .

صاح فيها مبرووك ناهيا:

- لا تردى على أخى المعلم نافع .

قال الطبيب :

- لابد من راحتك.

قال نافع :

- راحتى ابنتى.

وتحرك من السرير جريا و جرى خلفه كريم ومبروك.

سافر نافع وكريم ومبروك الزفر إلى الإسكندرية ودخلوا إلى البيت فتحت الأم

الباب صاح الأب نافع :

- بنتى فين؟

قالت الأم:

- بنتك فى الداخل تعبانة نايمة .

خرجت من الغرفة:

- سلمى أنا صحيت يا أمى ..

جرى الاب يحتضنها ..

- ابنتى؟؟حبيبتى ؟

نظر مبروك فى وجه سلمى وجد الاصابات والكدمات

- من الذى فعل بوجهك هذا؟

قالت الأم :

- ابنك كريم؟ الا تعرف؟

رد عمر :

- الحيوان هذا دمر وجه أختى ؟

قال كريم:

- عيب أنا أكبر منك وزوج أختك.

قالت الأم:

- الطلاق الآن اذهب ياولد ياعمر هات المأذون..كانت جرتى وجارتك وانتهت الحوارات

قال مبروك:

- نتفاهم يا ست.

قال نافع:

- حسم الأمر الطلاق الآن كما قالت أم عمر .

قالت سلمى أنا تركت ذهبى كله فى الدولاب حتى الأسورة والسلسة التى أتيت بها امس .

انتهى الأمر .. تم الطلاق

الزمان / عصرا

المكان / بيت سلمى / غرفة سلمى

سلمى تنام تبكى .. وأمها بجوارها تعمل لها كمادات على الورم فى وجهها وهى تبكى .

- **الحمد لله كابوس وخلصنا منه .**
- **نعم يا أمى. اسمعينى جيدا .. أنا لا أريد أن يعلم احدًا أاننى هنا حتى أشفى من الجروح والكمدات التى فى وجهى ..**
- **حاضر.حاضر يابنتى حتى سيرين وسارة**
- **حتى سيرين وسارة..**

....

....

بعد أسبوع

الزمان/ صباحا

المكان / بيت مبروك/ غرفة نوم كريم

كريم ينام ممدا على الفراش وهو حزين مكتئب ..ذقنه طويلة .. وأمه تجلس إلى جواره تبكى وأمامها صينية عليها الطعام .

- **كل يا ابني؟ كل ياحبيبى .. ماتزعل ..سأزوجك ست ستها.. أفضل منها ألف ألف مرة..هذه بنت قذرة شايفة نفسها ..أنت سيد الرجالة وسيد الناس .**

لم يرد

- **ابني حبيبى؟؟انس هذا الأمر..**

....

....

المكان / الإسكندرية..شوارع

الزمان / صباحا

طاف المنادى توفى إلى رحمة الله خديوى مصر عباس حلمى ابن عمر طوسون باشا حفيد محمد على باشا وتولى الحكم محمد سعيد باشا وسبحان من له

الدوام...

ترك عباس حلمى ٢٣ قصرا فخما وجميلا كل قصر به حوالى مائة حجرة (لاتعرف أين القصور الآن) وقام سعيد باشا بتأميم أملاك ومجوهرات إلهامى باشا ابن عباس حلمى وابنتيه حواء وعائشة وكما فعل عباس حلمى مع أولاد إبراهيم باشا محمد وأحمد ومصطفى وإسماعيل وأمم ٢٥ عزبة ومجوهراتهم وقام الجواهرجية بتحويل الذهب فى سبائك حتى لايبقى عند أحد وانتعشت سوق الذهب وجاء للإسكندريةخليل الحلو وظل يبحث عن نافع حتى يصل إلى سلمى.

....

....

المكان / سوق الذهب الإسكندرية دكان نافع

الزمان / صباحا

دخل خليل الحلو الدكان

- السلام عليكم

رفع رأسه نافع ببرود:

- وعليك السلام نعم .
- أنا تاجر دهب وعاوز افتح محل فى الصاغة معاكم وقالوا لى أنك كبير هنا فى السوق
- أنا لاكبير ولا حاجة تشرب ايه قهوة
- ياليت.

....

....

الزمان / ليلا

المكان / بيت بيرتون

قال برتون لصديقه جون

- إن الخديوى سعيد سيمحو سلبيات عباس حلمى.

- كيف ؟؟
- اقرأ البيان الأول لأسماعيل فقد قرار خفض الضرائب على الأرض الزراعية، وإسقاط المتأخرات التي وصلت إلى ٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ستجعل الفلاحين يستريحون من أعباء الضرائب والمتأخرات التي يقوم بها عمال الجباية و يرهقونهم للحصول عليها، ويمنح الفلاحين حق تملك الأرض طبقاً لقانونه الشهير "اللائحة السعيدية" الصادرة اليوم ؛ فشعر الفلاحون بالراحة والطمأنينة، علاوة على ذلك ألغى ضريبة الدخولية التي كانت تجبى على الحاصلات والمتاجر فكانت مصدر إرهاق للأهالي وتؤدي إلى ارتفاع الأسعار واشتداد الغلاء فكان إلغاؤه لها تخفيفا عن الأهالي وتحريرا للتجارة الداخلية. كما قام بتطهير ترعة المحمودية وإتمام الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية الذي كان قد بدأه عباس باشا. كما مد الخط الحديدي بين القاهرة والسويس وفتح للمواصلات فعاد على ميناء السويس وعمرانها بالفوائد الجمة. كما اهتم بالملاحة التجارية الداخلية والخارجية فأنشأ شركتين للملاحة إحداهما نيلية والأخرى بحرية.

....

....

الزمان / نهار

المكان /منزل سلمى

دق الباب فتحت أم سلمى وجدت أم كريم أمامها فأندهشت فى أول الأمر لكنها تمالكت نفسها ونظرت لها ووجهها عابس مثل حبة التين الشوكى..

- خير ؟
- لاتنسين أحنا اهل وعيب اقف على الباب؟
- والله..
- والدم لا يمكن ان يكون مياه أبدا؟؟
- اتفضلى .

دخلت ام كريم وجلست على الكنبة .

- خير .؟
- ابني.
- اشمعنى؟
- تسخرين منى؟
- الموضوع خلص يا أم كريم ..كل واحد يشوف مصلحته.
- الولد حابس نفسه فى الغرفة لايريد الخروج.
- يومين ويخرج وينسى ويتجوز غيرها.
- هو يريدها.

خرجت من الحجرة سلمى ووجهها مصابا جرت أم كريم إليها.

- حقك عليا حقك عليا.
- لا حق ولا غلط كل واحد له سكته له طريق ياخالتى ؟
- يابنتى أدينى فرصة ؟
- يا خالتى خلاص كل شيء قسمة ونصيب .

خرجت أم كريم من بيت سلمى مرتبكة هل تذهب إلى نافع فى المحل ولم لا ؟؟ وبينما هى تسأل نفسها هل سيطردها نزلت إلى المنشية وسألت هناك التجار عن نافع فأرسل معها أحد التجار صبيه الشاب ليدلها على الطريق وبينما هى تسير إلى باب دكان نافع فوجئت بخروج خليل الحلو خارجا من الدكان تراجعت وتوارت وشهقت لم تصدق نفسها لم يرها الحلو ..

عادت إلى رشيد تجر ذيول الخيبة والحقد ولكن قررت الانتقام من الحلو عادت إلى رشيد وهى تجر ذيول الخيبة والندم نعم لقد رأته بعينيها الكذاب النسونجى الذى ذهب خلف سلمى إلى الإسكندرية

....

....

الزمان / ليلا

المكان / نفس اليوم.بيت مبروك

انتظرت فى الليل حتى عاد ابنها كريم من الصاغة وبعد أن تناول العشاء قالت

له :

- انس موضوع سلمى خالص هذه امرأة قذرة ؟
- ماذا حدث يا أمى ؟
- لقد رأيت الحلو فى الإسكندرية فى دكان أبي سلمى وانا ذاهبة اليه .
- ماذا تقولين؟
- وأمها رفضت عودتها إليك .

هب واقفا لم يشرب الشاى ودخل غرفته فكر لابد من أن يقتل خليل الحلو .الليلة هو يعرف أن خليل يتناول الحشيش فى قارب على النيل فى رشيد فى المساء قام وغير ملابسه وخبأ سكينا ..بين ملابسه ......

....

المكان/ على النيل فى القارب

الزمان/ ليلا

قام المراكبى بالترحيب بكريم و عندما رآه خليل ابتسم بخبث:

- أهلا يامعلم كريم تعال شد نفسين ..
- وماله نشد؟
- اتفضل يامعلم .

وبينما هم يشربون الحشيش فى منتصف الليل قام كريم باستخراج السكين من جيبه وحاول طعن خليل لولا أن المراكبى رأه و دفعه بيده فسقط كريم فى المياه .. حاول خليل أن يمد يده لينقذه مع المراكبى لكن فى تلك الليلة كانت المياه تندفع بشده إنها أيام فيضان النيل ..نظر المراكبى إلى المعلم خليل ..

- أنا لم أقتله كنت أمنعه من قتلك والله يامعلم .
- قتل من .؟
- كريم..
- كريم من؟
- أنت شاهد..
- شاهد على ماذا؟ لم يحدث أى شيئ .

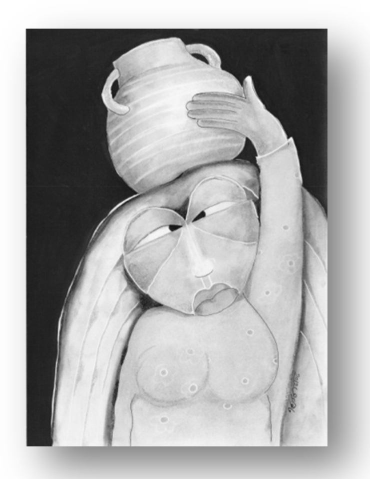
- لا أفهم فهمنى يامعلم .
- لا تفهم أى شيء غير ملابسك وأكمل عملك نحن لم نر شيئا ولم يحضر أحدً والبحر يأخذ الأسرار معاه ..فهمت ؟
- نعم.
- أنا بخير وأنت بخير .
- والجثة .
- الجثة ذهبت مع النيل ..لم نره ولم يرانا ولانعرف عنه شيئا .صح.
- صحيح.
- هل شاهده أحد هنا غيرى وغيرك ؟
- لا ..
- أنت لم تره وأنا شاهد ،أنت كذلك لم تره هنا ولا أنا. قم ورص لنا حجرين معسل .
- ماذا تقول؟
- أقول ماسمعت رص لنا حجرين معسل .
- حاضر يا معلم .

قام المراكبى بتجهيز الشيشة ..ويده ترتعش وفى ذهول ونظر للمياه التى تجرى وهنا قامت شهرزاد..وقالت:

- غدا نكمل نفس الحكاية..

قامت شهرزاد ونزلت إلى بيتها.

الفصل الخامس



العنوان الأول
للنهر عتبات الأولى التسامح..
والأخيرة الحب..
وما بينهما عتبة غربة الروح



العنوان الثانى
ولى فى مصر نشيد نسى الناس
حروفه فى زحمة القهر والدنس



العنوان الثالث
يا قرة عينى.. ترى ماذا يقول
البحارة فى نهر العشق والعرافات
عنك وعنى



العنوان الرابع
وغنى الوطن والناس موتى جياع



العنوان الخامس
تباً لك .. النور فى القلوب خافت جداً

يوم جديد

جلست شهرزاد وحكت كان ياما كان فى سالف العصر والآوان سلمى التى كان حظها سيئا عادت إلى الإسكندرية وبعد أسبوعين أو ثلاث تماسكت صحتها واختفت علامات الضرب التى ضربها بها زوجها كريم فطلبت من أمها أن تدعو لها صديقتها سارة .

- ولماذا سارة ياسلمى؟

- سارة هادئة وسوف تتحدث بعقلها وتنصحنى فهمتينى أمى؟

- حاضر ..

لم تكن الأم تعلم مادار فى بيت سارة منذ سفر ابنتها إلى رشيد مرت الأيام وغابت سارة وسيرين عن الحضور إلى بيت سلمى ..الدنيا تلاهى أو قلابة كما يقول المصريون فى أمثالهم الشعبية .... كانت سارة قد عاشت و لا زمت أبيها وأثناء مرضه زاره كبار الشخصيات اليهودية فى الإسكندرية ودخل المستشفى اليونانى وكان الطبيب يونانى يهودى عاش فى مصر وأحبها وتزوج منها وجلس فيها يدعى أرتس وأنجب ابنا اسماه موشيه كان تاجرا مرموقا وأعجب أرتس بسارة فزوجها من ابنه موشيه ولما لا سارة فتنة بنات الحارة.. تزوجت وانتقلت سارة إلى العيش فى زيزينيا وهى منطقة راقية بالإسكندرية ..يسكنها الأثرياء اليهود والمسيحيين والمسلمين المصريين والخواجات الأجانب ..كل شيء تغير ..لكن سارة كان قلبها هناك فى حى اليهود مع شاب مسلم اسمه عمر؟ ..ترى ماذا يفعل الحب بنا وماذا تفعل الأيام..موشيه من اليهود القراءون أو القرؤات.. يقال لهم أحيانا "الربانون" أو "الربانيون" والأخرى يقال لها "القراءون"، إلا أن الربانيين هم جمهور اليهود المعروفين أكثر من غيرهم، أى عدا اليهود القرائين، و معنى كلمة ربان بالعبرية بمعنى الإمام الحبر الفقيه، وفى العربية " ربانى" و هذه الكلمة فى سورة المائدة {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ}

.. كان أبوها وراتس حماها ممن يساعدون بالمال لقيام دولة إسرائيل ..كان

اليهود السكندريون سندًا قويًا فى مساعدة قيام دولة إسرائيل من باب الوازع الدينى .... ويختلف اليهود القرّاؤون عن اليهود الربانيين في كثير من المسائل، ولكن أهمها أنهم رفضوا قدسية التلمود والتقاليد الأخرى التي تسمى "الشفوية"، لأنها منقولة بطريقة الرواية. واعتمدوا في عقيدتهم وأحكامهم على التوراة وحدها التي تسمى "المقرا" بالعبرية (ومنها أخذ اسمهم)، وكذلك رفضوا سلطة الحاخامين المطلقة

فى هذه الليلة دخلت سارة فى غرفة نوم زوجها وجدته فى حالة غضب شديدة..

قالت لزوجها:

- موشيه حبيبى مابك؟
- أبى .
- عمى أرتس . ما به؟
- يريدنا أن نسافر إلى لندن؟
- وهذا يغضبك ..رائع .
- يريدنا أن نتبرع بنصف ثرواتنا للجماعات الصهيونية لقيام إسرائيل.
- ومابها؟
- نحن مصريين ولن نترك مصر مهما حدث...
- نعم.
- أبى يحلم معهم بوطن فى فلسطين إن هذه الدعوة الخفية ضد إرادة الرب .

إن الرب لايريد أن نقيم فى أرض ويجب أن ننفذ تعاليم الله.

- والحاخامات ورجال الدين يقولون كلاما آخر .
- أنا لا أؤمن إلا بما هو مكتوب فى الألواح ولا أصدق رجال الدين.
- ومايضيرك فى هذه الدعوة؟
- ستتحول إلى حركة ثم إلى منظمة ثم إلى دولة ..ثم حروب وقتلى هنا وهناك..وصراعات لن تنتهى ابدا ..نحن نخالف الرب .

بكى ..

شعرت به كطفل صغير

- ما بك موشيه؟
- أخاف على اليهود فى المستقبل..
- من أى شيء؟
- أن يلقوا بأيديهم فى التهلكة ..فى تاريخ من العنف والدم ..والمؤامرات .والصراعات..لماذا نخالف تعاليم الرب.؟
- رجال الدين.. هم السبب..

كانت الحقيقة الوحيدة التى يخفيها عنها حبه للايطالية التى تملك محلا للثياب على الكورنيش .. وكانت تبتسم دائما وتقول له :

- أنت موشيه بيك غير يهود الإسكندرية تنفق ببذخ على ملابسك؟؟
- ولكن المزعج فيها أنها امرأة لا دينيه ..لاتعترف بوجود إلها للكون وهذا مايزعجه فالرجل والمرأة التى لاتعرف الله كل شيء لديها مستباح وهو رجل يؤمن بالله بقوة ..لكل منا قصة حب داخله يخفيها انتهت فى الخارج ولكن فى الداخل تسكننا ..

دق الباب .

دخل الخادم .

- فيه ايه يامرعى؟
- صبحى الجناينى بيقول واحدة ست فى الخارج بتقول اسمها سلمى .؟

قفزت سارة من الكرسى متجهة مسرعة إلى الخادم.

- دخلوها فورا هاتوها غير معقول سلمى جاءت من رشيد

نظر لها زوجها موشيه بدهشة.

- سلمى مين؟
- حبيبتى روحى نور عيونى..صاحبتى.قلبى.
- ما كل هذا؟
- صديقة طفولتى ..تعال أعرفك عليها.. قم ..

كانت سلمى قدأخذت عنوان سارة وذهبت إليها فى حى زيزينا لتقابلها فى القصر كما وصفوه لها به الثراء الفاحش.. هى تحب سارة ..سارة حققت

حلمها وتزوجت من رجل ثرى وأصبحت غنية كانت سلمى قدمها تتقدم خطوة وتتأخر خطوة . وهى متجهة لها وقلبها يخفق سمحوا لها بالدخول ..دخلت ووقفت بجوار الجناينى والخادم إلى أن جاءت سارة تجرى تدفعهما للخلف وتحضنها بقوة وتقبلها وهى تصيح:

- سلمى سلمى..كيفك أخبارك وحشانى ياقمرى ..
- سارة سارة ..كيفك أنت .. وحشانى جدا جدا ..

وقف الجميع فى ذهول بينما تحتضنان ويدوران ببعضهما وانفرطا فى بكاء.

- أوحشتنى يابنت؟
- وأنت كمان؟

عناق يشبه وحشة الروح حين تسترخى على أرصفة اللقاء ..

- أعرفك بزوجى موشيه .

نظر موشيه باحترام إلى سلمى .

- أهلا وسهلا.

نظرت سارة إلى موشيه .

- روح شوف شغلك وسيبنى أنا مع سلمى ولما تخلص ابعت لنا حنطور يوديها حارة اليهود .
- حاضر .

جذبتها سارة من يدها ودخلت بها حجرة النوم أغلقت الباب عليهما وجلست البنتان على السرير ثم مدت سارة جسدها وقالت:

- اركنى ظهرك للسرير ومددى ساقيك وأجلس بجوارك زى زمان..
- احكى لى ..ها أنت فى زيارة؟ ومتى جئت من رشيد؟وكيف أمك وأخوك عمر؟

....

....

الزمان / نفس الليلة نفس الزمان

المكان/ بيت نافع أبو سلمى

حال البيت (يجلس خليل الحلو على الكنبة وكليم جديد مفروش عليها ..وفنجانين

من القهوة وسبت بجوار الباب محملا بالهدايا ..حذاء بجوار الباب للأب نافع وحذاء لخليل ....)

تنحنح خليل ووضع يده فى صدر الجلباب الحرير الأبيض قائلا:

- صل على النبى ياحاج نافع.
- عليه الصلاة والسلام .
- أنا أتيت فى موضوع خير.
- خير؟
- أطلب يد ابنتك سلمى؟
- سلمى!!
- نعم ..

اقتحمت الأم الجلسة وهى تحمل كوبين ماء

- سلمى زوجها زعلان معها وحترجع إن شاء الله

ابتسم خليل بخبث:

- سلمى اطلقت ياست أم عمر والذى أخبرنى أم كريم ..
- هى قالت لك.؟
- نعم .
- هو مسافر وسيعود إلى أبيه وأمه.
- لما الست أم كريم قالت هى مطلقة ..أنا تقدمت ياست أم عمر أنا راجل ابن بلد ،أعرف الأصول

قال عمر:

- أختى لن تتزوج ..
- وأنا أنتظر ردها وردكم..سلاموا عليك..

اتجه ناحية الباب ثم التفت إلى الجميع

- على فكرة نسيت أن أخبركم أننى اشتريت دكانا فى سوق الذهب وسأقوم بتجديدة وسأشترى بيتا فيلا فى زيزنيا للسكن أجهزه لابنتكم هناك ..غدا. سيتم التعاقد على شراء البيت سلاموا عليكم

خرج من الباب وألقى مفاجأتين الأولى الدكان فى سوق الذهب والثانية البيت فى زيزينيا ..

....

....

بعد يومين

الزمان / غروب

المكان / أمام بيت سلمى

سلمى تركب الحنطولر الذى يقف أمام البيت بخمسين مترا تنزل سلمى وتتجه إلى بيت أبيها .. وبينما هى تخطو بضع ظهر لها شخص ملثم:

- مساء الخير ياست سلمى؟

فزعت... ارتبكت .. رجعت خطوتين .

- من أنت؟
- أنا خليل الحلو .فاكرانى تاجر الذهب فى رشيد الذى وصلك للبيت ..؟
- وما الذى أتى بك هنا وماذا تفعل؟ ولماذا أنت ملثم ؟
- أمك طردتنى.. أتيت لخطبتك وطلبت يدك من أبيك و اشتريت دكانا فى سوق الذهب وبيتا فيلا فى زيزينا من أجلك؟
- ماذا تقول؟فيلا فى زيزينا ؟
- أنا أريد زواجك على سنة الله ورسوله.
- ماذا تقول؟ يارجل ؟
- أبوك رافض وأمك وأخوك

مر فى الشارع كلب وأخذ ينبح ..

- خافت سلمى منه
- امش الآن اختفى لو رأك ابى او أمى ؟
- أنا شاريك ياسلمى لا أنام ؟
- أختغى اختفى.

دقت الباب؟؟

فتح الباب

دخلت واستقبلتها أمها ..

....

....

الإسكندرية مدينة فقدت البراءة

كل شيء فيها ..التناقض ..والغضب المكتوم منذ أن نقل عمرو بن العاص العاصمة منها وكأنه خلع ثوبها الجميل وتركها للريح والمطر عارية خاوية غاضبة وانتقلت العاصمة إلى الفسطاط بجوار القاهرة الحالية

....

....

الزمان / نفس الليلة

المكان/ بيت سلمى

غرفة نوم سلمى

سلمى تخلع ملابسها

اقتربت الأم منها وقالت:

- أتى عريس لك ؟

لم ترد.

- وطلب يدك وأنا وأخوك وأبوك رفضنا.

لم ترد

- قلت له ابنتى لن تتزوج إلا من زوجها كريم؟

التفتت لها غاضبة :

- كريم من؟

- زوجك ابن عمك مبروك الزفر..

- كريم طلقنى؟ وأختفى ؟

- يحق له.طردناه طردنا امه طردنا ابيه.

- هو أختفى يا أمى ؟

- أمه تبحث عنه وأبوه يقولون اختفى اختفى ..حتى ولو ظهر لن أعود له.
- إذا تريدين الزواج من الرجل القادم .
- لا أريد شيئا.
- قولى الحقيقة .
- نعم.
- إذا اعرفى الذى طلبك خليل الحلو تاجر الذهب الشهير فى رشيد اشترى دكان فى سوق الذهب واشترى بيتا فيلا فى زيزينيا ..

لم ترد.

- ماذا نقول له؟

لم ترد.

- يعنى موافقة؟

لم ترد.

- يعنى موافقة..؟

لم ترد.

- السكوت علامة الرضا يابنت..

....

....

بعد شهر

قل شهرين

المكان / كورنيش الإسكندرية

الزمان / ليلا

مرت مواكب من عربات الحنطور المزينة بالورود عربة يركبها يهود وعربة يركبها مسيحيون وعربة يركبها مسلمون وعربات كثيرة مختلطة يركبها مسلمون ومسيحيون ويهود لا تعرف هذا من ذاك كلهم مصريون يتحدثون لغة واحدة ولهجة واحدة هى مصر التى لا يفهمها احد ملكة التنوع الفريد العجيب الغريب ..وفى منتصف موكب عربات الحنطور عربة تجرها ستة خيول مؤجرة

بالشيء الفلانى بسعر عال تركبها العروس إنها سلمى وما أدراك ما سلمى وبجوار الحنطور يركب الخيل عريس بجلباب أبيض وخيلها أبيض إنه خليل الحلو وحولة ستة رجال يحملون المشاعل ..إنه ثراء الطبقة الوسطى التى تحتفل فى الشوارع وليس فى القصور ..وزغاريد النساء تنطلق من كل العربات والأغانى الشعبية وهناك عربة مخصوص تجرها أربعة خيول تجلس سارة وزوجها موشيه يرتدى الطربوش الأحمر والبدلة التى فى ياقتها وردة حمراء و كانت تجلس جواره زوجته سارة حزينة تفكر فى غياب سيرين التى هجرت أبيها وذهبت إلى عمها فى الصعيد ولكن ليس وقت الحكاية عن سيرين

وذهبت العروس والعريس إلى حى زيزينيا وقبل الوصول إلى البيت بخطوات خرجت وسط جموع المهنئيين امرأة ترتدى السواد وأخذت تصرخ :

- قتلت ابني ياخليل وتزوجت امرأته ياخليل ..

وحاولت أن تقترب منه وفى يدها خنجر كى تطعنه لكن الناس أمسكوا بها وبالخنجر وأمسكها نافع وأم سلمى وهى تنهار فى بكاء شديد وتصيح:

- قتل ابني وأخفاه المخفى خليل..قاتل ..

دخلت العروس البيت وأغلق عليها الباب عليهما:

نظرت له سلمى متسائلة بصوت مرتعش :

- أنت صحيح قتلت كريم من أجلى؟
- أنا لم أقتل أحدا.هذه امرأة مجنونة؟
- هل صحيح أخفيت جثته؟.
- قلت لك لم أقتل أحدا.ولم اخف جثة احد..

أخرج من جيبه أسورة ذهبية رائعة من الهند ووضعها فى يدها وقبل يدها أصابعها كفها ولأول مرة تحس بدفء رجل فقبل خدها ذابت كما يذوب الثلج فى كوب الشاى الساخن.

وضاجعها فى تلك الليلة ثلاث مرات ..صاحت تأوهت تلذذت ..قامت واستحمت ونامت فى سكون الجسد العطش للحنان لسر الحياة ..

يوم جيد يوم الصباحية اليوم التالى لليلة الدخلة
المكان / بيت سلمى
الزمان / فى الصباح

يجيىء الصباح بعد الدخلة مسترخيا عاديا ..كل شيء ..كانت سارة أول من حضر وجهزت صوانى طعام فاخرة وذهبت إلى بيت سلمى ..وتحمل الخادمات الصوانى المختلفة ..

ومعها موشيه طبعا

جلس موشيه مع خليل الحلو فى غرفة الضيوف وجلست سارة مع سلمى فى غرفة النوم..نظرت لها سارة ضاحة :

- **وجهك منور.**
- **يابنت عيب.**
- **والله.**

قالت سلمى:

احكى لى ماذا جرى لسيرين؟

تنهدت سارة:

- **ماذا أقول لك؟**
- **كل شيء**
- **أنت تعلمين بيرتون أو الشيخ ميرزا كما يسمونه أو الشيخ عبدالله**
- **أعرفه.. والبنت سيرين بتحبه وواقعه فى غرامه**
- **ذات ليلة نادى الشوق قلب سيرين ..فخرجت من الدار متجهة إلى بيت بيرتون**

....

....

الزمان / ليلا
المكان / أمام بيت بيرتون

كانت سيرين ترتدى الشال وعلى رأسها طرحة سوداء ..كان حمدان يسير بالقرب

من البيت فلمحها شهق:
- اوبا هذه سيرين.
دقت الباب على بيرتون فتح الباب
- اهلا .
دخلت ..وقفت أمامه :
- فيه ايه؟ ماذا تريدين؟
أمسكته بعنف وجذبته وقبلته من فمه. وهمت به .
رجع إلى الخلف مذهولا.
- ماذا تفعلين؟
- أحبك.
- أنت لاتفهمى؟
- تزوجنى ونرحل إلى لندن .
- أنا ماجئت لمصر للزواج أنا قادم للعمل .
وقفت مذهولة ..أنا سيرين ياغبى أجمل بنات الكنيسة ..ويأتى الشباب للصلاة على أمل مشاهدتى
دق الباب وصوت حمدان الأجش:
- افتح ياشيخ ميرزا يابيرتون أنا حمدان .
قال بيرتون من الداخل من خلف الباب:
- ماذا تريد؟
- أريدك فى أمر هام .
- غدا. صباحا.
- أنا عارف مين عندك؟
- مين؟
- بنت عم حبيب سيرين .
فتح بيرتون الباب فورا اندفع حمدان من الباب ودخل البيت فوجد سيرين واقفة هرش فى رأسه لعب فى الطاقية:

- لامؤاخذة . ياست البنات.

ردت سيرين:

- أمى بطنها توجعها جئت أساله الدواء.
- هو عنده كل أنواع الدواء.. للبطن والكتاف والرأس .
- اه عارفه.

نظر له بيرتون:

- أنت يارجل ماذا تريد منى أتركنى فى حالى شوف لك عمل غيرى يا أخى؟

انفجر ضاحكا حمدان:

- أنت رزقى أرسله ربنا لى لايمكن أن أترك رزقى ..أنا لست مجنونا كى أتركك فاهم ..أنا خادمك ورجلك وحارسك وأنت المم .
- ماذا تعنى المم؟
- يعنى الأكل والشرب..أنا من وراءك آكل الشهد آكل أحلى أكل وأحلى شرب ..

سمع صوت الجميع أصوات زغاريد ورقص وهرج ومرج .

- ماهذا ياحمدان؟
- يبدو عرس .
- لا إنه أكبر .

فتح الباب بيرتون وسأل الناس حين رآهم فى الشارع يرقصون وأغلبهم من المسيحيين .

- ماذا جرى ؟...أفندينا أعفى كل المسيحيين من الجزية .
- رائع .

نعم كان قرارا شجاعا.. كانت هدية الخديو سعيد ابن محمد علي وكان ذلك في يناير ١٨٥٥ إلغاء الجزية وبذلك كانت مصر أول دولة في الشرق تلغي الجزية ..ظل المسيحيون يدفعون الجزية حتى عهد سعيد وقدم ثيقة إلغاء الجزية علي أهل الذمة وفي الوثيقة إلغاء تام للجزية ولا يتم مطالبة أحد من أهل الذمة ويذكر قيمة الجزية التي تجمع من الأقاليم القبلية والبحرية والبنادر والكفور ومصر المحروسة بما قيمته ألفين وثمانمائة وسبعة وستون كيس ومائتين وخمسة عشر

قرش ولكن (إحسان) الوالي سعيد قد جعله يتجاوز عن ذلك وأيضا يلغي الجزية بأثر رجعي عن العام السابق .

كان هذا القرار ثوريا وكان مقدمة لمساواة الأقباط بالمسلمين ولهم الحق في الالتحاق بالجيش بعد أن كان الاقباط يقومون فقط بأعمال خدمية بالجيش أو يدفعون البدلية لعدم رغبة السلطات في التحاقهم بالجيش أيام محمد علي الكبير

وكان إلغاء الجزية عمل مشكلة في الأزهر حيث أن رواتب المشايخ والمجاورين كانت تدفع من جزية أهل الذمة

كانت خطبة سعيد باشا مؤثرة فى هذه المناسبة بأن الأمة التى لاتقدر مفكريها لاتساوى شيئاً بين الأمم، أن الأمة الحية هى التى يحيا أمواتها فيها بينما الأمة الميتة هى التى يموت أحياؤها فيها.. وكان نص الكلمة الكامل التى ألقاها سعيد باشا فى مأدبة قصر النيل: "أيها الأخوان أنى نظرت فى أحوال الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مظلوما مستعبدا لغيره من أمم الأرض فقد توالت عليه دول ظالمة له كثيرة كالعرب الرعاة(الهكسوس) والأشوريين والفرس حتى أهل ليبيا والسودان والرومان، وهذا قبل الأسلام وبعده تغلب على هذه البلاد كثير من الدول الفاتحة كالأمويين والعباسيين والفاطميين من العرب والترك والأكراد والشركس وكثيرا ما أغارت فرنسا عليها حتى احتلتها فى أوائل هذا القرن فى زمن بونابرت . وحيث أنى أعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة نافعة ويستغنى بنفسه عن الأجانب، وقد وطدت نفسى على إبراز هذا الرأى من الفكر إلى العمل".. كانت قرارات إلغاء الجزية عن المسيحيين ثورة اجتماعية وسياسية في مصر كما كانت إعادة تكوين الجيش المصري الذي ألغاه عباس حلمي ثورة أخرى، لكن الغريب في الأمر أن سعيد كان يراقب الضباط المصريين فكان من يجده يصلي كثيرا يفصله من الجيش خوفا من انتشار حركة دينية داخل صفوف الجيش فتقضي على الأسرة العلوية.

....

....

المكان / بيت بيرتون

الزمان / ليلا

جلس بيرتون يكتب عما حدث فى مصر وجلس أمامه حمدان يراقبه وهو يكتب فى مدونة خطبة سعيد باشا و كتب لقد فعل سعيد باشا إلى الناحية المعنوية فى الجيش فعمل على ترقية كثيرين من الضباط المصريين إلى المراتب العسكرية السامية بعد أن كانت وقفا على الأتراك والشراكسة" . كما أنه أصدر أمرا بسريان التجنيد على المسيحيين وعليه ألغى الجزية التى ظلت تحصل من المسيحيين المصريين منذ غزو العرب لمصر.إن ما لاحظته فى مصر هو المزاج (الكيف) المصرى الرائحة المنبعثة من الحيوانات والسعادة الحقيقية فى المعانى المجردة الحمد لله نحن بخير الله يفرجها وتلاحظ الكسل المصحوب بالسرور والسكون وأحلام اليقظة ..الناس تبغى الراحة والجلوس تحت الظل عند مجرى جدول ورقراق والجلوس تحت عريشة ذات ظل ظليل لشجرة مزهرة يحب الإنسان المصرى الجلوس يدخن الشيشة أو يرتشف فنجانا من القهوة أو يشرب كوبا من الشربات والأهم من ذلك أن يريح بدنه ويعطل عقله بقدر الإمكان ولايحب النقاش والحوار فالنقاش والحوار يجلب الإزعاج وإرهاق العقل بالتفكير وهذا يعكر مزاج المصرى أما الحجاج القادمون للسفر من الإسكندرية عليهم زيارة أولياء الله كلهم وهى كثيرة فى مقدمتهم أبو العباس والأباصيرى ..قالوا عنى ساحر وقالوا طبيب ماهر جاءتنى امرأة عرضت على الجلوس فى الإسكندرية حتى تشفى عيناها من علاجى مقابل جنيه استرلينى فرفضت..ورجل آخر عرض على زواج ابنته دون مهر مقابل علاج أمها فرفضت أيضا (اقرأ رحلات بيرتون إلى مصر والحجاز).

جلس أمامه حمدان يشرب القهوة ويرتشفها بصوت عال ويضرط بين الحين والآخر..

- ياشيخ ميرزا خيرك كتير المصريين حبوك اجلس معانا وريح..
- أريح كيف؟
- عيش باقى أيام حياتك هنا..
- أنا رجل علم نعم أحببت مصر وأهلها لكنى مرتبط لابد أن أسافر الحجاز

وأكتب كتابى..

- اكتب كتابك هنا ألف امرأة تتمنى الزواج منك..
- أكتب كتابى لا يعنى أعقد قرانى أنتم تسمون عقد القران كتب الكتاب فى مصر لكن أقصد مؤلفاتى
- لم أفهم .
- ولن تفهم .

وفجأة استمعا إلى صوت دفوف وطبول من جماعة متصوفة مرت على بيت بيرتون قام بيرتون وارتدى الجلباب والسبح فى رقبته وشد حمدان معه وخرج لهم فحيوه وأركبوه حصانا وأركبوا حمدان حمارا وساروا نحو المرسى أبو العباس ..قالوا لى إنى من أتباع الطريقة القادرية ..وبدأ مشوارى حين قلت مع الشيخ سلومة وقلت (باسم الله شاء) أصبحت درويشا والدرويش مهمة سهلة يدخل الدروشة من كل الأعمار ومن كل المذاهب ويدخل الدروشة صاحب المقام الرفيع والفلاح الذى فى الحضيض حتى (الصايع) الذى أرهقته الحياة وكذلك يدخلها المبتلى بمرض بغيض والذين يتسولون رغيف الخبز من باب إلى باب وأكثرهم من الدراويش فالدرويش يحل له ما لا يحل لغيره فهو مسموح له بتخطى قواعد اللياقة والآداب باعتباره شخصا ليس من أهل الدنيا فقد تخلى عن الدنيا وما فيها وقد يتزوج أو لا يتزوج وهو محترم سواء ارتدى حريرا أو ذهبا أو خيشا فهو يملك الحصانة فهذا الدرويش المتشرد وهو يبعث على الرهبة دون أن يحمل سلاحا فهو من أعلى الناس مقاما وأكثرهم عدوانية وهو يحترم من الجميع ظنا منهم أنه ينقذهم من الموت والجوع ودائما يرتدى ملابس ممزقة لاتغطى عورته كلها ..

....

....

الزمان / ليلا

المكان/ بيت سيرين

غرفة نوم صموئيل الذى اشترى بدلة ضابط إنجليزى مسروقة من الميناء من

بمبوطى وقام بتوضيبها على مقاسه ولبسها فى الغرفة وبينما أمه وأبيه يتناولون العشاء وسيرين نادت أمه عليه:

- ولد يا صموئيل العشاء جاهز.
- (رد من الداخل) حاضر أنا قادم.
- يا ابني الأكل سيبرد الملوخية سخنة.
- (من الداخل) حاضر.

قال عم حبيب:

- ياولد تعال .

خرج من غرفته وهو يرتدى بدلة الضابط الإنجليزى:

- خير فيكم ايه؟

تفاجأ الجميع صاحت سيرين شاهقة:

- الله شكلك حلو قوى يامضروب .

شهقت أمه:

- ياجمالك يا صموئيل

صاح الأب غاضبا:

- من أين أتيت بهذه البدلة ياولد؟ وماذا تفعل بها؟..
- انظر إلى شكلى انظر ..أنا صموئيل ابن حبيب الآن أستطيع أن أدخل الجيش المصرى ..الآن أنا مصرى سأتقدم للجيش وأكون ضابطا الآن أفندينا سعيد فتح الباب لنا ياه كم مضى من الوقت ونحن ندفع الجزية ولا ندخل الجيش ياه كم مضى من الوقت ونحن لانشعر أن هذا وطننا ..الآن فقط نسترد وطننا رجع لنا .

قطب الأب جبينه:

- وهذه البدلة .
- اشتريتها من بمبوطى فى الميناء كى أجربها وأرى شكلى
- ولو أمسكوك ماذا سيقولون عنك؟ نصاب ..
- لا شيء . أنا أرتديها هنا فى البيت .

ضحكت سيرين:

- دعه يا أبى يفرح قليلا..
- يفرح قليلا وهو يرتدى زيا لضابط إنجليزى ..

قالت الأم:

- اخلع البدلة وتعال كل معنا ..والا أقولك خليك لابسها بيها افرح شوية ..

لم يخلعها وظل جالسا على الطبيلية بها وهو يضحك وأمه أمام ابيه فجلس قاطب الجبين ... وبينما هم جالسون على الطبيليه يأكلون استمعوا إلى صوت حمدان يصيح وينادى:

- يا خواجه حبيب.. ياخواجه حبيب.

قالت أم سيرين:

- صوت المخفى.
- من؟
- حمدان.
- ماذا يريد هذا الزفت الآن ..ضعى قطعتين لحم فى رغيف أكيد شم ريحة الملوخية بتاعتك سيقول أريد طبقا..

اضطرب وجه سيرين ..ترى ما الذى أتى به إلى هنا فى تلك الساعة ..خافت أن يقول له شيئا مما رأى أو سمع..قام وحمل سندوتش به قطعتين لحم ليقدمهم لحمدان إلا أنه عندما خرج من الباب وجده ومعه المعلم جرجس..جرجس يبلغ من العمر خمسة وأربعين سنة وقد فقد زوجته وابنتيه فى حادثٍ حريق منذ شهرين وكانت حادثة مروعة تحدثت عنها الإسكندرية طويلا فقد نامت الأم ونسيت أن تطفىء الباجور وكان هو مسافرا إلى القاهرة ..عاد لم يحضر الدفن ولم يكن هناك وسيلة سريعة للاتصال به جرجس كان طويلا والشيب الخفيف يعلو جبينه ..جرجس لا يهتم بملابسه كثيرا ليس بخلا ولكن انشغالا ..قطع حمدان حبل الصمت والدهشة :

- المعلم جرجس أول مرة ياتى إلى هنا ويسأل عن عنوان بيتك فأتيت به
- أهلا وسهلا ..المحل قفل .

- الكلام الذى أريده لايصح فى المقهى.

قاطعه حمدان:

- مضبوط كلام بيوت .

ارتبك الأب الأم والبنت والولد يفترشون الأرض للغداء ثم نظر إلى حمدان.

- نقعد على المقهى ..

- وماله

ذهب الثلاثة إلى المقهى وجلسوا هناك

....

....

الزمان/ غروبا

المكان / المقهى / خارجى

جلس الثلاثة رجال أمام المقهى طلبوا القهوة وطلب حمدان شيشة ولم لا مجانا سيشرب دون أن يدفع..نظر الأب حبيب إلى جرجس وقال له:

- أنا لا أحب المال الحرام لو عندك بضاعة مسروقة لا أعمل فيها.

- أنا لا أحب الذهب المسروق وأغضب الرب.

تدخل حمدان وهو يضع ساقا على ساق :

- المعلم جرجس بيطلب إيد المحروسة بنتك ..سيرين والذى تطلبه ستجده إن شاء الله

لم يرد حبيب بل سكت وقال :

_ أعطونى فرصة أتشاور مع البنت وأمها؟

- خير ؟

قال حمدان:

- بعد موت زوجة المعلم وبناته لازم يعيش .. أولا سيشترى لبنتك بيتا فى أى مكان تريده ثانيا مهرها سيكون جنيهات ذهبية ثالثا سيشترى لها عفشا جديدا ..غرفة نوم وصالون ومطبخ

لم يرد الأب وقال لجرجس مر على كمان يومين واللا أقولك سأرد عليك مع

حمدان ..

قام واتجه ناحية الشارع متجها إلى البيت نظر حمدان إلى جرجس:

- حيوافق لاتخف هو بس هو لازم يسأل البنت وأمها حط فى بطنك بطيخة صيفى ..

....

....

المكان / بيت سيرين

الزمان/ ليلا

منزل عم حبيب انتهت الأم من الطعام ووضعت على الطبلية طبق ملوخية وطبق دمعة (الصلصلة بالطماطم والثوم يطلق عليها دمعة) قالت أم سيرين :

- اجلس وكمل أكلك؟
- لا خلاص شبعت؟

دخل إلى غرفة النوم دخلت خلفه .

جلس على السرير واجما ..اقتربت منه .

- خير؟.
- جرجس طلب ايد بنتك سيرين
- جرجس من؟
- الذى حرقت زوجته وبنتيه.
- بنتى لاتتزوج من رجل سبق له الزواج.
- هو مقتدر ويقدم مهرها جنيهات ذهب
- وبنتى لازم تسكن فى زيزينيا مثل سارة.
- يقول تختار أى مكان.
- ورأيك .؟
- الرأى رأيها هى .

لم تتاخر الأم تحركت بسرعة إلى غرفة سيرين ..

واقتحمت غرفتها وكانت ممدة على السرير تداعب خصلات شعرها:

- اسمعينى جيدا يابنت ؟
- خير؟
- أبوك آتى لك بعريس؟

قاطعتها:

- لا أريد عريسا.
- اسمعينى للآخر.
- لا آخر ولا أول .

أمسكتها الأم وشدتها من ذراعيها

- اجلسى عدل وكلمينى.
- خير .يا امة ؟
- إياك فاكرة إنى نائمة على أذنى أنت تحببين الخواجة؟
- أى خواجة.؟
- بيرتون. الشيخ ميرزا..الشيخ عبدالله..أنا أعرف وبدأ الناس يتهامسون ..هل تريدينه ويريدك يتقدم لك ونحن نوافق وإذا رفض يكون رجلا يريد أن يعبث بك فاختارى لنفسك طريقك أتفهمين يا ابنتى ..
- وأنا اخترت.
- ماذا؟

لم ترد

- يعنى موافقة على المعلم جرجس؟

لم ترد

- يعنى موافقة؟
- لا سأذهب عند عمى مرقص فى الصعيد أسبوعين ثم أعود.
- أبوك لن يوافق.
- عمى مرقص كل ولاده بنات لا تخافى.

الزمان / ليلا

المكان / أمام بيت بيرتون

حمدان يدق الباب عدة دقات ..

- افتح يابيرتون

وجد الباب مفتوحا ..

- معقولة سايب الباب مفتوح

يدخل إلى إلبيت يجد البيت خاليا من كل شيء وهو غير موجود

- الله الله كل شيء غير موجود أنت فين يابيرتون ياشيخ ميرزا ياحاج عبدالله

يجرى ناحية المقهى ويقتحمها ينادى على الجرسون .

- أين الخواجة؟
- أى خواجة؟
- الشيخ ميرزا بيرتون؟
- سافر .
- سافر فين؟
- الحجاز.
- متى؟
- من ساعتين سافر إلى السويس بالمركب.
- يا نهار أسود.. يا ليلة سودة ..يا أيامك السودة ياحمدان ..حتعيش ازاى؟
- خير ..خير بس فيه ايه؟
- طيب أنا اروح فين اروح فين؟
- ساب لك جنيه مع المعلم ٥ ريال ..

يبكى وينوح

- آه يا بيرتون حتسيبنى للجوع تانى ..ياحبيبى.

شاهد حمدان جنازة تمشى وفيها يسير نافع ..جرى إليه :

- فيه ايه؟ مين اللى مات؟ الست أم سلمى .؟
- لا أم كريم.
- مين أم كريم؟
- زوجة أخى مبروك الزفر ضربتها عربة سقطت على الأرض .كانت قادمة تزورنا.
- الله يرحمها.. كان أخوك متحملها ازاى. وش نكد.الله يرحمها بقى .

…………………

…………………

الزمان / ليلا

المكان/ نهارا بيت سهر

وهنا أدركت شهرزاد الصباح وسكتت عن الكلام المباح ونظرت إلى سهر وقالت:

- وعادت سيرين بعد حين وتزوجت من جرجس وسكنت في حى زيزينيا بجوار صديقتيها سلمى وسارة وكن يجتمعن كل أسبوع فى بيت واحدة منهن فى الصباح فى غياب الرجال يغلقن الباب ويرقصن ويزغردن ويغنين حتى تصاب كل واحدة بالإرهاق فتعود إلى البيت لزوجها فى سعادة مثلما كن فى السابق ظل صموئيل يذهب كل يوم إلى محل البوليس (قسم الشرطة) ويسألهم متى يتم فتح باب التقديم لمدرسة الحربية للأقباط ليصير ضابطا ويضرب الناس على قفاها مثلما فعل معه الضباط من قبل.. و فى الليل يرتدى بزة الضابط الإنجليزى وينام بها فى الفراش أما عمر ظل يزور أخته سلمى كل يوم على أمل أن يلتقى عندها بسيرين ويراها عارية مثل المرة الأولى لكن هذه المرة سيضمها إلى صدره ويقبلها بعنف ..ويسير على شاطىء البحر عند رأس الطين (رأس التين) يحلم بأن زوج سيرين جرجس سيموت وأنه سيتزوجها ويهرب كانت أحلام اليقظة تكفيه وأنجبت البنات الثلاث صبيان

وبنات خليناهم وجينا .

- وسلمى روحى ماذا جرى لها؟
- ظلت فى حى زيزينيا ونسيت حارة اليهود تزورها مرة كل شهر .

رن جرس الهاتف :

قامت سهر :

- الو

لارد

- من معى؟
- أنا حياة الذى كنت أمس مع فتحى

نهاية هذا الجزء

إلى اللقاء

السيد حافظ القاهرة ٣٠ ديسمبر ٢٠١٧

نبذه عن المؤلف بشكل مختلف
بقلم غيداءِ السيد حافظ

فــي قدسيــة
حــــرم أبــي

رجل ذو عشرة أعوام:

حتى بعد أن أتم عامه السبعين وأصبح رجلا عجوزا قد جفت عيناه من الدموع فلم تعد هاتان العينان الجاحظتان تدمعان أبداً .. إلا أننى كلما نظرت لهاتين العينين لطالما أدهشنى ذاك الطفل الصغير الذى لم يكن قد أتم عامه الحادى عشر وقد أصبح الجميع ينادونه بدلاً من "الواد السيد" " الأستاذ السيد" .. حين استيقظ ذات صباح ليجد أن موعده للعب الكرة مع أولاد الحارة لم ولن يحين .. ذلك لأنه كان على موعد آخر مع قدره الذى كان لا يزال صغيرا جدا على أن يواجهه بجسده النحيل هذا، وبهاتين العينين اللتين كانتا لا تبرحهما الدموع يوما حزنا وألما على فراق مفاجئ لوالده، ليجد نفسه وهو فى العاشرة من عمره رب الأسرة وسيد البيت المكون من أمه تلك الشابة الثلاثينية التى لاتزال فى ربيع عمرها وإخوته الصبية الثلاث (أحمد سبع سنوات ورمضان خمس سنوات والصغيرعادل سنتان) .. هنا اكتشف "السيد" أن اسمه لم يعد مجرد اسم سماه به والده "الحاج حافظ" تيمنا بالسيد البدوي الذى كان عاشقا له بل أصبح قدرا، وعليه أن يتعايش معه منذ طفولته؛ محاصرا من قبل الدائنين الذين جاءوا يطرقون باب بيتهم قبل أن يمر ثلاث أيام على وفاة والده يطالبون بأموالهم التى كانوا قد اشتركوا بها مع الفقيد في التجارة .. فمن سيتابع التجارة الآن؟ ومن سيسد الدين؟ ومن سيفتح الباب لهم؟ .. وفى ذلك الممر الضيق الذى يربط بين

غرفة نومه وبين باب بيتهم تحول الصبى لرجل عندما خاطبته أمه لأول مرة بعد وفاة والده أمام الجميع"بالأستاذ السيد" فقد أدركت تلك السيدة الفلاحة البسيطة التى لم تكن تعرف القراءة ولا الكتابة، ولكنها كانت على قدر كبير من الفطنة والوعى بأن على الصغير أن يكبر حتى لا يستضعفهم الناس.

وقد يكون هذا كله هو سبب جفاف دموع عينيه اليوم، بالإضافة للألم الذى اعتصر قلبه، والدموع الغزيرة التى ذرفها على فراق رفقاء عمره. فبعد أن فارقه والده وهو صغير فارقته شريكة العمر ورفيقة الرحلة زوجته "فتحية" أو كما كان يدعوها هو دائما "الهانم" ثم لحق بهم أخوه الأوسط "الدكتور رمضان" .. لذلك وجدته منذ عامين بعد أن توفيت والدته "الحاجة بديعة" ولحق بها أخوه الصغير "الدكتور عادل" بأربعين يوماً فقط، وكان لم يتم الخامسة والخمسين من عمره بعد .. وكان "السيد" فى أمس الحاجة لأن يذرف عليهم الدموع، فبحث عنها فلم يجد لها أثرا .. فأعلن الدمع التمرد والعصيان فآثر أن يسرى بسائر جسده .. فسمعت الدمع فى صوته الباكى، ورأيت الدمع فى يديه المرتعشتين، وشعرت بالدمع فى قدميه اللتين لم تعودا تتحمل أن ترفعه ثانية، فأصبح يتكئ على عصا.

لمحات الطفولة:

يقول الخبراء إن الأطفال ابتداءً من سن السابعة يستطيعون تخزين الذكريات بالوقت والمكان على نحو متزايد، وتصنيفها ضمن هذا الإطار الزمنى قد يسهل استرجاعها.

إذن فماذا عن ذكريات ما قبل سن السابعة؟؟ لماذا أتذكر جيداً مواقف مع أبى منذ سن الثانية وكأنها حدثت معي أمس؟؟ ولماذا مع أبي فقط وليس مع أحد سواه؟ هل لأنها لم تكن مجرد مواقف بين أب وابنته بل كانت بالنسبة لي لمحات وردية ذات بريق .. لمحات عصف وهج بريقها بقلبي الصغير، فأضاءه لتنبعث ومضاتها

مسرعة لعقلي، ترتجيه أن يفسح لهذا النور الوردى مكان فيه فتتربع لمحات أبى على عرش ذاكرة عقلى الصغير وتمحو وراءها أية ذكرى باقية لشخص سواه!!!
وإليكم بعض من لمحاتي مع أبي:

اللمحة الأولى:

وقت النوم:

إن إدراك طفل الثانية والثالثة من العمر لمفهوم الوقت ليس له أى علاقة بعقارب الساعة أو بشروق الشمس من غروبها، فكل هذا لا يثير اهتمام إدراكه فى شيء.. فالوقت المثير فى يومه محدد لديه ببعض الأصوات، كصوت التلفاز مثلاً وقد استقر بقناة ما على برنامج الأطفال المفضل لديه، فنجد هذا الصغير المسكين يسرع متلهفا بحماس وهو يقفز ليجلس متسمراً أمامه حتى ينتهى .. أو كصوت إخوته وهم يتصارخون إيذاناً منهم بأن موعد اللعب قد حان، فنراه يجرى مندفعا نحوهم حتى يشاركهم اللعب .. أو كصوت أمه وهى ترفع صوتها فى كل أرجاء المنزل بأكثر جمل عالم الطفل تشويقاً وإثارة (قوموا إلبسوا عشان خارجين نتفسح).

أما أنا فلم أكن مثل سائر الأطفال، لم تكن تثيرنى هذه الاصوات ولا تحمسنى تلك العبارات، لأنه دائماً كان هناك هذا الصوت الذى يغنينى عن تلك المتع الأخرى .. كان هذا الصوت من أكثر وأعمق الاصوات دفئاً واحتواءً وإمتاعاً بالنسبة لي .. صوت ينقلنى بذبذباته المختلفة من واقع وجودى في الأرض لينطلق بى إلي عنان الفضاء الحالم، فيصنع لي بمفرداته نجوماً تتلألأ فى فضاء خيالى الذى شكله بعمق دفء صوته.

هذا الصوت هو صوت أبى حين يقول (أنا داخل أنام شوية) .. فى هذه اللحظة التى كانت تميز يومى كله، أجد دقات قلبى فيها تتسارع وتقفز بداخل صدري

الصغير تسحبنى بكل ما أوتيت من قوة كى أسابقه وأعانقه، ويصيح قلبى حان موعد النوم .. أخيراً حان موعد النوم .. ما أجمل أن يأتى موعد النوم .. نعم لقد كنت من أكثر الأطفال إن لم أكن الطفلة الوحيدة فى الكون التي تعشق موعد النوم .... ولكن ليس نومى أنا بل موعد نوم أبى .. فقد حان وقت القصة (الحكاية).

كنت أسابقه إلى سريره وأنتظره بعيني البارقتين من شدة اللهفة ويداي الحمراوان من كثرة التصفيق والتهليل، وقدماي القافزتان من فرط السعادة كقدم أرنب صغير.. فيأتينى أبى مبتسماً ضاحكاً، يجلس بجوارى، أنظر إلى شفتيه لتنطلق منها الثلاث كلمات السحرية التى كانت تقلب عالمى الصغير رأساً على عقب: "صل علي النبي" .. ثم يبدأ الحكاية.

لقد كان عالمى كله فى تلك الفترة يتمحور حول (البطة العبيطة – الشاطر حسن وست الحسن – علاء الدين والأميرة ياسمين) وغيرها من الحكايات التى كان يحكيها لى أبى كل يوم .

أكثر ما كان يشوقني فى الحكايات أنها لم تكن حبكتها أو المغزى منها أو أبطالها .. فقد كانت حكايات جميلة ومسلية شديدة البساطة واسعة الخيال .. ولكن ما أبهرنى فى الحكايات دائماً، وجعلنى شديدة الشوق والتلهف لسماعها كل ليلة، وليلة بعد ليلة بعد ليلة دون ملل كانت طريقة أبي وأسلوبه المثير في الحكي والسرد والوصف، وتقليده لأصوات الشخصيات المختلفة، وتقمصه لأدوارهم حتى أني أصبحت أعايش الحكايات، فمثلاً حكاية (البطة العبيطة) كنت أشعر وكأنى بطلة فيها، إذ أقف خلف شجرة على شاطئ البحيرة أنظر للبطة وأرى التمساح وهو يأتى من خلفها وهي لا تراه ويقترب منها أكثر وأكثر وأكثر ويفتح فمه ليلتهمها فأصرخ بصوت عال يملؤه الحماس لأردد مع أبى كلماته: "يا بطة يا عبيطة خذى بالك التمساح حيأكلك" !!!!!

الآن وبعد أن كبرت وأصبح عندى أولاد، وكنت أعتقد أن ما كان يفعله أبى هو

شئ عادى يفعله كل الآباء مع آبنائهم، اكتشفت أني أكاد أكون الأم الوحيدة عن باقى الأمهات من حولي التى تحاول أن تحافظ على عادة القراءة لأولادها حكاية ما قبل النوم .. وعندما سألتهن اكتشفت أنهن لم يعتدن على ذلك فى صغرهن، فلم يكن آباؤهن يحكون لهن الحكايات، وعليه فإن فاقد الشئ لا يعطيه .. فأندهش كثيراً وأتعجب ليس من أبائهن، ولكن من أبى أنا !! فكيف استطاع أن يصنع من حكاياته لى حكاية يتعجب منها الآخرون؟ وكيف استطاع أن يفعل لي هذا كل يوم دون أن يشعر يوماً بالكلل أو يشعرنى بأية علامة من علامات الملل، فالآن عندما أحاول أن أفعل مع أولادي كما كان يفعل معى أبي، أجدنى فى بعض الأيام منهكة، وأيام أخرى مشغولة، فأحاول فى تلك الأيام أن أسرع في الحكاية حتى أنتهي منها وأتفرغ لما أفعله، فأجدهم غير منسجمين !! نعم فكيف سينسجمون؟؟ وأنا لا أتقمص الشخصيات مثل أبى !! وكيف سينسجمون؟؟ وأنا لا أقلد الأصوات مثل أبى !! كيف يسعدون وأنا لا أدخلهم بستان الحكاية كما كان يدخلنى أبى بصوته ومحاكاته !! فأعاتب نفسي وأترك ما ورائي، لأستحضر إخلاص أبى فيأتينى لتتغلغل روحه بروحى، ويمتزج صوته بحبال صوتي، وترتسم عيناه على ملامح وجهي فتغيره .. لأغمض عيني وأجلس في حضرة أبى أتقمص ذاته الحكّاءة، وأترك شفاهى تطلق الثلاث كلمات السحرية، وأراهم وهم يقلبون عالم صغاري رأساً على عقب، كما كانوا يقلبون عالمي، فتشرق وجوههم الصغيرة بإبتسامتهم الوضاءة وأنا أقول: "صل على النبى."

لقد اعتاد أولادى أن أقرأ لهم الحكايات من كتاب مصور، فيربطون بين الصور والحكاية، وتبهرهم الألوان، والرسومات الكاركاتورية، لذا عندما أتى أبى يوماً لزيارتى في بيتي، وأحب أن يحكي لأحفاده حكاية كما كان يفعل معى، تعجب الأولاد كثيراً لأنهم لم يجدوا الجد يمسك كتاباً مثل أمهم بل كان يكتفى بأن يحكى لهم معتمداً على أدواته السحرية (صوته وأداؤه – تقمصه وحماسه) ..

فى بادئ الأمر لم يستوعبوا هذا وأخذوا يسألونه عن كتاب الحكايات؟؟ فأخبرهم بأن الكتاب موجود داخل عقولهم، ولكن صفحاته لا تزال بيضاء فارغة، وعلى كل واحد منهم أن يغلق عينيه لدقيقة، ويمسك بفرشاة ألوان خياله ليرسم بها ويخط أجمل الصور والأشكال، كما تراها عيناه في المعبد اللا محدود من خيالاته الواسعة، فيصنع حكايته الفريدة التى لم ولن يراها أحدا كما يراها هو بعينيه .. ثم نظرت إلى أبى فتذكرت لحظة الانبعاث تلك حين يخرج أبى من عباءته الجادة، ليلبس عباءة الحكّاء، ورأيته وهو يخطف بصوته أطفالى من أمام عيني ويغوص بهم فى أعماق سحر حكايتهن ليسمح لهم جميعاً ان يدخلوا بستان حكايته، وهم يصنعون بمشاركتهم له وإضافاتهم معه وحماسهم به أجمل وأروع الصور التى لا يستطيع ألف ألف كاتب ولا ألف ألف رسام مهما كانت درجة موهبتهم ان يصنعوها كما صنعتها عظمة الحكّاء المتفرد في عيني أبي.

اللمحة الثانية:

كيمياء روابطنا:

من الناحية العلمية يقولون: إن حاسة الشم تتميز عن غيرها من الحواس لموقعها المهم فى الدماغ، وقدرة الإنسان على تذكرها أكثر؛ إذ تتركز فى الذاكرة مدة أطول .. وبما أن الدراسات النفسية والتربوية شددت على أن عملية تكوين الشخصية تبدأ منذ الطفولة دعت هذه الدراسات الأهل إلى منح أولادهم الحب والحنان، ولذلك يتذكرون روائحهم، وهذا ما يزيد من متانة الروابط بينهم.

ويقولون أيضاً: (لكل عائلة رائحتها الخاصة التى تقرب الأفراد من بعضهم البعض).

ولكن هل كنا فى انتظار العلم كي يثبت لنا بأن رائحة آبائنا وأمهاتنا هي التي تشكل روابطنا معهم ! لأنني منذ طفولتى أنا وأخي محمد الذي يكبرني بأربعة

أعوام أدركنا هذا ببساطة الأطفال؛ حيث كنا دائمي الخلاف والشجار حول أي شيء، وكل شيء مثلنا مثل باقى الإخوة .. وكانت من أبرز وأغرب وأظرف صراعاتنا اليومية صراع على "وسادة" .. كانت وسادة صغيرة ولكن لم تكن مثل أية وسادة أخرى لأنها كانت تتمتع بإمتيازات كثيرة في بيتنا، فقد كانت وسادة ذات هيبة، فهي أولاً كانت محشوة بريش النعام، كما أنها كانت وسادة طبية مريحة برغم صغر حجمها تدخل على قلبك السعادة من فرط نعومة ملمسها ورقتها، كما كانت وسادة منظمة ذات أوقات محددة فلم نكن نجرؤ أن نقترب منها أو أن نلمسها في وقت انشغالها، بل كان علينا أن ننتظر حتى تتفرغ لنا، وتصبح أخيراً فى متناول واحد منا ليسرق عليها لحظات سريعة حالمة فى يومه، تنقله بمجرد أن يضع رأسه عليها إلى عوالم ديزني الساحرة والمدهشة فيسبح في أحلامه من عالم إلى آخر وسط أمواج البحر الساحرة التي تقذف به ليجد نفسه وسط الحدائق الخلابة والزهور، ومن حوله شخصيات ديزني المثيرة الرائعة .. لكن كل هذا التميز كان بفضل عامل خارجى واحد أُضفي على الوسادة فصنع منها كل هذا الإختلاف .. وهى تلك الرائحة الخلابة التى كنت أستشعر أنها عبارة عن مزيج فريد لأجمل وأروع أنواع الزهور، فلعلها كانت فى مخيلتى تشبه قطرات من زهور الفريزيا والغاردينيا وقليل من الفوانيا .. رائحة كانت تصنع من وسادة صغيرة وسادة فريدة فى كل شيء .. رائحة كانت تجعل منها وسادة لا تدّخر لكل من ينام عليها إلا أحلاماً سعيدة مبهجة .. رائحة ربطت بطيبها بين أفراد أسرتي وكانت دائماً تجمعنا حولها .. رائحة لازلت أبحث عنها وأتحسسها فى كل وسادة أضع رأسى عليها ولا أجدها إلا فى بيت أبي، لأنها بكل بساطة " رائحة أبى ".

من أغرب وأطرف عادات أبى التى كنت أقف مشدوهة أمامها هى أنه يخصص لقدميه عطراً يضعه كل يوم قبل مغادرة البيت. لكن لم يكن هذا فقط هو أغرب ما

يفعله، فمنذ إدراكى له فى مرحلة شبابه وحتى يومنا هذا وهو في السبعين من عمره وأنا أراقبه وهو يدلل نفسه، ويتعامل مع جسمه، كما تعامل الأم رضيعها .. فإذا دخلت غرفة نوم أبي تظن أنك فى غرفة طفل حديث الولادة لما تراه أمامك من بودرة الثلج، وزيت الجسم، ودواء الحساسية بالإضافة لكريم خال من أي مواد كيميائية وكلهم قد كتب عليهم " مخصصون للأطفال ".

الغريب أنى لم أتحدث أبداً مع أبي عن هذا الأمر، وقد يعود السبب إلى أننا اعتدنا رؤيته وهو يدلل الطفل الذى داخله، فمهما كبر أبي وأصبح من أبرز وألمع العقول الفكرية والأدبية فى الوطن العربى وأكثرهم تميزاً، إلا أنه لايزال يعيش بقلب وروح طفل صغير .. طفل صغير لايزال يرهب رؤية نقطة دم، فنقطة دم واحدة كفيلة بأن تسبب له حالة إغماء ..وطفل صغير يبكي بكاء مريرا عندما يتحدث عن أبيه وعن عبد الناصر وعن أمي (رحمة الله عليهم جميعاً) .. وطفل صغير يحب أن يغني بصوت عال في الشارع وفي البيت، وفى كل مكان، عندما يشعر بأنه فى حاجة للغناء دون الإهتمام بالناس أو بأقوالهم .. وطفل صغير يغضب ويثور إذا لم يجد فنجان قهوته قد وضع على مكتبه عند شروعه في الكتابة .. هكذا كان وسوف يظل طفلي الصغير "أبى".

لعل ذاك الطفل الصغير الذى داخله هو الذى كان سبباً في تعلقي الشديد بأبي؛ فعندما أكون معه لا أحتاج لا لأصدقاء، ولا لأقرباء، ولا لتلفاز، ولا لألعاب لأن صحبة أبي دائماً ما كانت تغنينى عن العالم بأسره، لذا فأنا دائماً وأبداً أحتاج فقط لأبى.

عندما نكون صغاراً فمن الطبيعى أن تغني لنا أمهاتنا أغاني هدهدة الأطفال التي اعتدنا جميعاً عليها مثل (ذهب الليل وطلع الفجر – وماما زمانها جاية) وغيرها من أغاني الزمن الجميل .. لكن فى بيتنا اعتدنا أنا وأخى أن أبي هو الذي يغنى وهو الذي يحكى لأن أمي كانت مختلفة عن باقى الأمهات؛ فهى لم تكن من

البشر، بل ملاك شديد الطيبة والحنو، قليلة الكلام، كثيرة الأفعال، عظيمة التفانى والإخلاص لكل من حولها، فأمي دائماً كانت هي جسد البيت وأبي روحه. وهل يكتمل الجسد دون الروح !! وهل للروح أن تسمو دون الجسد !!

وبرغم اختلاف أمي وأبي الشديد وتناقضهم الواضح إلا أن هذا التناقض بينهم صنع منهم كياناً واحداً فريداً مكتملاً بشكل مذهل من شدة توازنه، تشعر عندما تراهم بكم هائل من الحيرة والفضول، وتتساءل كيف أن هذين الشخصين متزوجان، فليس بينهما عامل واحد مشترك! وكيف يحدث بينهما هذا التوازن الغريب! فالزوج متحدث لبق وصاحب شخصية جذابة وقوية، ومثقف وفنان؛ صوته عال رنان، ويتحدث بكلتا يديه الاثنتين .. أما الزوجة فهي هادئة هدوء النسيم، شديدة الخجل والحياء، لا تضحك أبداً، وتكتفى بالابتسام، لا تتحدث كثيراً ولا تحب الإزدحام. ومن عجيب صنع أمي أن كثيراً من النساء الفضوليات اللواتي كن تعرفن أبى جيداً بحكم عملهن معه، كن تأتين لأمي عندما تقابلنها أول مرة لتسألنها كيف تكونين أنت زوجته!! فتجيبهن أمي بإبتسامتها الهادئة الواثقة دائماً وكأنها اعتادت على سماع هذا السؤال: لأنى أكثركن فهماً واحتواءً لهذا الإنسان.

أحب أبى دائماً الغناء لنا بطريقته الساخرة التى تبعث على الضحك والسعادة ..فلا يزال مطبوعاً في ذهني مشهد كان دائم التكرار فى طفولتنا أنا وأخى محمد، كلما أغمض عيني الآن آراه وكأنه مجسد أمامي بتفاصيله السعيدة، فهأنذا أرى أبى وهو يسمح لنا بأن نصعد فوق ظهره، وأمى تسير بجانبه خشية أن نقع، وتمسك فى يدها أكوابا من الحليب، وأبى يغنى لنا "يا أطفال ياحلويين اشربوا الحليب"ونحن نضحك ونشرب الحليب من يدها.

وهأنذا أغمض عينى ثانية، وأرى أبي وقد كبرت قليلاً، وأصبحت في المرحلة الإبتدائية وهو يغنى بصوت عال ساخر، ويسير فى كل أرجاء بيتنا مع عبدالحليم (أهواك وأتمنى لو أنساك) وأنا أجري خلفه وأقفز بسعادة غامرة، محاولة أن

أمسك بطرف ملابسه، وأحرك شفتي فى محاولة يائسة مني لحفظ كلمات الأغنية وهو يطقطق أصابع يديه ويتمايل فى حالة من البهجة والانتشاء، فيحملنى بين ذراعيه ويرقص بي، وهو يشعرني بأني أميرته الفاتنة، ليتدخل بخيالي الطفولي في هذه اللحظة الحالمة، وينقلني من واقع كوني طفلة صغيرة ترتدي ملابس النوم في بهو صالة بيتها وترقص مع أبيها لعالم ساحر آخر، أكون فيه سندريلا وهى ترتدى أفخر الثياب فى قصر كبير، وترقص وسط حفل رائع مع أميرها الساحر "رقصة السعادة الأبدية".

ثم أغمضها مرة أخرى لأراه الآن وقد أصبحت في المرحلة الثانوية، ونحن نركب السيارة، وقد ترك نوافذ السيارة مفتوحة، ونحن نستمع إلى فايزة أحمد (ليه يا قلبى ليه) وأبي يغني معها بصوت جهوري وأنا أغني معه وأمي تطلب منا أن نخفض صوتنا قليلاً وهي تقول: وطوا صوتكم شوية .. الناس بتبص علينا.

وكلما طلبت منا أمي أن نخفض صوتنان كلما زاد إرتفاع صوت أبي أكثر وأكثر وهو ينظر لها بملامحه الاستفزازية .. وأمي تدير وجهها بالاتجاه الآخر بإحراج وكأنها تريد أن تعلن للناس أنها ليست معنا، وكأنها ركبت سيارة خطأً .. وأنا وأخي تدمع أعيننا من شدة الضحك عليهما.

ثم أغمضت عيني من جديد ورأيت أبي، وقد أصبحت فى مرحلتي الجامعية وهو يفتح باب غرفتي صباحاً وأنا لازلت نائمة، ويغنى مع فيروز التى ينبعث صوتها من التلفاز (سألتك حبيبى لوين رايحين) وهو يرفع الغطاء من على وجهى فابتسم لأستيقظ على صوته وأجد شفتي تردد معه اللحن وقد سبقت عيني اللاتى لا تزال تقاوم نعاسها. وعندما أتغلب عليه وأفتح عينى أجد أبى وقد غادر غرفتى، وأمي تقف أمام النافذة تفتح الستارة، أنظر إليها فلا أعلم أهذا النور منبعث من الشمس أم من وجه أمي الملائكى، نور يسطع ليعلن عن بدء يوم سعيد بصوت أمي وهى تقول: يلا أصحى بقى صباح الخير، أبوك بدأ الوصلة من غيرك.

ثم عدت لغلق عيني، فوجدتني فى نفس الغرفة في بيت أبى وأنا أرتدى فستان زفافي وأتهيأ لليلة الزواج، ولكن هذه المرة غابت أمي عن المشهد، لم تكن أمي موجودة لتفتح الستار وتنير من جديد عالمي، خرجت أمي من الصورة، أراد ربي أن يستعيد ملاكه إلى منبته، إلى حيث ينتمي في جنة الخلد، نعم لقد أيقنت الآن أن أمي لم تكن بشراً مثلنا، كانت ملاكا مجسدا فى صورة بشرية أتت بعض الوقت لتضفى على عالم أبى بشكل خاص، وعالمنا بشكل عام، الأمان والدفء والراحة والحنان، ثم رحلت عنا ورحل معها نورها الذي كان يضيء حياتنا جميعاً كل يوم.

بينما أرى أبي وهو يسير نحوي فى هذا الممر الضيق آتياً من الصالة متجهاً لغرفتى، وعيناه تحتضن عيني وتدمعان وهو لا يزال كعادته يغنى بصوت عال يفيض حناناً مع الصوت الصاعد من المسجل مع سيد مكاوى (ماتسبنيش أنا وحدي) .. واحتضنني وبكينا.

كم دمعت أعيننا أنا وأبى ونحن نغني .. دمعت فى فرحنا وفى أحزاننا .. ودمعت فى ضحكاتنا وفى بكائنا .. ودمعت فى قربنا وفى إفتراقنا .. كم أنت قاسية أيتها الدموع !! لا تميزين، مزجت بين خيرك وشرك .. تركتنا أنا وأبى فى حيرة، حتى أننا لم نعد نميز عندما تنهمرين ألشيء جيد أنهمرت أم لسبب وجيه أم لغير ذلك !! ماعدنا نعلم في أي خانة للمشاعر تنتمين !!

وأخيراً فتحت عينى وذهبت أزور أبي فى بيته، لقد أشعلت الذكريات فى قلبى حنيناً، فوجدته وقد جثى على ركبتيه، ولكن هذه المرة ليس لي بل لأولادي الذين سمح لهم بأن يصعدوا فوق ظهره، وهو يغنى بصوته الذى أنهكه طوال ثلاثون عاماً؛ فالغناء لي أنا وأخي، وها هو اليوم يتحامل على صوته ويستحضره بجهوريته الساخرة المنهكة ليعيد أمامي شريط حياتى منذ البداية ويغنى لأولادي كما كان يغني لي (يا أطفال يا حلويين إشربوا الحليب) وأنا أسير بجانبه خشية

أن يقعوا وأمسك في يدي أكوابا من الحليب وهم يشربون ويضحكون على أنغام ذكريات كانت لي مع أبي.

اللمحة الثالثة:

وللإلهام طقوس:

مشهد (١) : نهار (داخلى)

المكان : بيت الكاتب السيد حافظ (غرفة المكتب)

- يتوسط الغرفة مكتب ضخم بكرسي جلدي كبير .. وعلى الأرض فرشت سجادة بنية جميلة ذات نقوشات ذهبية.

- على يمين المكتب توجد مكتبة هائلة تحتوى على عدد لا نهائى من الكتب المنوعة ما بين القديم والحديث والتاريخي والمعاصر من أعمال الكاتب نفسه وغيره من الكتاب الأخرين.

- على يسار المكتب توجد نافذة صغيرة تنفذ من خلالها أشعة الشمس الذهبية فتُضاء الغرفة بأسرها بنور ربّاني بديع، وتحت النافذة وضع جهاز تسجيل.

- فى الجهة المقابلة للمكتب، توجد كنبة عريضة، قد اختفت ملامحها، ولم نعد نميز لونها أهو بني أم أسود ذلك من كثرة ما وضع عليها من كتب ومراجع تاريخية للجبرتى، والمقريزي، وابن إياس، وكذلك مجموعة سليم حسن الكاملة وغيرها من المراجع والكتب التى يعتمد عليها الكاتب ليجمع مادة معلوماته التاريخية بمنتهى الدقة والأمانة المهنية.

- المكتب مغطى بأوراق مبعثرة في كل اتجاه وبشكل عشوائى وكلها بخط الكاتب السيد حافظ، ويوجد هاتف على يسار المكتب.

- عقارب الساعة الآن تشير إلى تمام التاسعة صباحاً، يدخل الكاتب وهو يرتدي المنامة وفوقها روب شتوي جميل، وشراب في قدميه للتدفئة .. يجلس على المكتب، يفتح الدرج الأول منه ويخرج صفحات بيضاء مسطرة وقلم حبر فاخر

وعلبة سيجار، يضعهم جميعاً أمامه على المكتب.

- يرن جرس الهاتف .. يرفع الكاتب السماعة.

الكاتب: صباح الخير يا دكتور عادل، صباح الجمال، آه يا حبيبى صحيت وصليت، وقعدت عشان أبدأ كتابة .. صبح لى على أمى وبوسلى إيديها، يسعد صباحك يا غالى .. مع السلامة.

- يضع سماعة الهاتف .. تدخل الزوجة وهي تحمل في يدها اليمنى فنجاناً من القهوة وفى يدها اليسرى عوداً من البخور .. تضع القهوة وعود البخور أمامه وهي مبتسمة.

الزوجة: أتفضل يا بابا القهوة.

الكاتب: تسلم إيديكى يا هانم.

الزوجة: برده مش عايزنى أروق لك المكتب دا شوية، أنا مش عارفة بتعرف إزاى الورق من بعضه!

الكاتب: لا شكراً .. وأرجوكى ما تخليش أم محمد اللى بتنضف تيجى جنب المكتب نهائى، أنا عايز كل حاجه تفضل زى ما هى، مافيش ورقة تتحرك من مكانها.

الزوجة: حاضر من عينيا.

- تخرج الزوجة من الغرفة .. يقف الكاتب يذهب بإتجاه جهاز التسجيل ويقوم بتشغيله، فتعزف ألحان الأخوان الرحبانى وتتصاعد أنغامها بحنو يملأ الغرفة إذاناً بحضور الصوت الملائكى لفيروز وهى تغنى (بكتب اسمك ياحبيبى)، وقد قام الكاتب بإشعال سيجاره ورشف رشفة من قهوته ومسك قلمه و يشرع فى الكتابة.

الكاتب: بسم الله الرحمن الرحيم.

مشهد (١) نهار (داخلى)

المكان : بيت الفلاح عبد المطيع

قطـــــــــــع

وهذا أيها السادة مشهد واحد من سلسلة مشاهد يومية كثيرة متكررة لطقوس أبي الملهمة في ساحة حرم إبداعاته .. قد يختلف المكان ما بين (غرفة مكتبه فى بيته بالقاهرة أو غرفة مكتبة فى بيته بالأسكندرية أو في كافيتريا فندق شهرزاد بالدقي أو حتى على مقهى بسيط على بحر شاطئ الأسكندرية)، وقد يختلف الزمان ما بين (الساعة التاسعة صباحاً أو حتى الرابعة فجراً)، ولكن ما لم ولن يختلف أبداً منذ عام ١٩٧٨ (عام زواجه) وحتى يومنا هذا هى طقوس أبى ((قهوة وبخور – سيجار وأوراق مبعثرة – قلم وصفحات بيضاء – أمي وصوت فيروز)) فعندما يتوافر لديه بضع من عناصر طقوسه في أي مكان وزمان يتفجر بركان إلهام أبي، فيخرج قلمه من جيبه ويسطر ما جال بخاطره مفرغاً إياه فوق أي شئ يجده أمامه حتى ولو كان على مجرد قائمة طعام.

لكم أشفقت على أبي خلال نشأتى، وأنا أراه كل يوم عندما يشرع فى كتابة عمل جديد يخصص له مقدارا من الجهد المضنى والشاق في رصده وتتبعه وتدقيقه للمعلومات بكل الكتب والمراجع ذات الصلة بموضوع كتابته، من حيث الفترة التاريخية وطبيعة الشخصيات والسرد المفصل للأحداث، كل هذا من أجل استخراج المعلومات التى يثق فى مصدرها ويتأكد من خلالها من مدى تحريه الدقة ليتناولها فى كتاباته بما لا يترك مجالا لأي شك على مصداقيتها.

لقد تناول أبى الكثير والكثير من الشخصيات التاريخية فى أعماله مناقشاً فيها أبرز الأحداث التاريخية فى عصورهم موضحاً طبائعهم وسماهم بالإيجاب والسلب معاً .. فعلى سبيل المثال لا الحصر:

– مسرحية الفلاح عبد المطيع الذى تناول فيها عصر قنسوة الغوري.

– مسرحية الحاكم بأمر الله (عاشق القاهرة) ومسرحية ملك الزبالة ومسرحية ليلة إختفاء الحاكم بأمر الله، وكلها تدور عن فترة حكم الحاكم بأمر الله بالإضافة إلى رواية ليالى دبى (بجزئيها) الذى تناول الحديث عنه فيها أيضاً.

- مسرحية حرب الملوخية التى تناول فيها المستنصر بالله.
- مسرحية العالية والأمير العاشق عن الآمر بأحكام الله.
- روايته حتى يطمئن قلبى تحدث عن صلاح الدين الأيوبى وبدر الدين الجمالى.

وغيرهم الكثير من مؤلفاته التى تتجاوز الآن المائة عمل أدبي منوع بين المسرحيات والمسلسلات الإذاعية والتليفزيونية والروايات.

وعبر متابعتى لأبى طوال هذه السنوات وهو يفتح ويغلق فى كتب الجبرتى وإبن إياس والمقريزى وغيرهم من المؤرخين آلاف بل ملايين المرات، ويتحدث بصوت عال ذهاباً وإياباً .. ليلاً ونهاراً وكأنه يخاطبهم، أكاد أجزم فى هذه اللحظات أنهم كانوا يتجلون له بأرواحهم ويجلسون معه فى غرفة مكتبه على هذه الكنبة التى لم يعد يجلس عليها أحد سوى كتبهم، فتحضر أرواحهم كلاً فيجلس منهم مكان كتابه .. وأبي يجلس أمامهم على مكتبه يناقشهم، ويحاورهم، وهم يستمعون إليه ويتشاركون معه طقوسه، فيشربون معه فنجاناً من القهوة ويتصاعد دخان سجائرهم فوق رؤوسهم وهم يتمازحون ويضحكون فى حالة شبه أسطورية أو ربما شبه حلم أو تكاد تكون شبه حقيقة.

أستطيع الآن وبعد ثلاثين عاماً من مرافقتى لأبى أن أقر بأنه شخص حيادي لا ينتمي لأي مذهب ديني بعينه، ولا لطائفة فكرية، ولا لحزب سياسى، ولا حتى يرى نفسه ينتمى لجنسية واحدة .. فالسيد حافظ الذى أعرفه هو رجل لا سني ولا شيعي ولا درزى فقط مسلم موحد بالله، متصالح مع نفسه لأقصى درجة، يقبل كل الآراء المذهبية التى تقنع عقله ويرفض التسليم الأعمى لبعض الأوامرالدينية التى يصفها بأنها أهواء دنيوية لرجال يزعمون أنهم يتحدثون باسم الإسلامي فبالنسبة له كل ما هو غريب على الاقتناع به لا يناسبه ولا يسلم به، فقد قرأ جميع كتب السنة والشيعة والدروز وغيرهم من المذاهب واخذ من كل مذهب ما يراه أنه أقرب للواقع والحقيقة وترك كل ما دون ذلك في نظره .. كما أني لم أره

يوماً يناصر مذهبا فكريا على آخر أو يدعى أن فلاناً أفضل من فلان أو أن الأسلوب هذا أحسن من ذاك، بل هو يؤمن بأن لكل طائفة فكرية أسلوبها السحرى الذي تمتاز به، كما لها حدودها وقواعدها التى لا تحيد عنها، وبالطبع فيها الجيد والسيئ، لذا كان دائم التمرد على كل ما هو مألوف ومعهود، على جميع الحدود والقوانين التى تحدد فكر الكاتب ومساحة إبداعاته، فعندما بدأ فى كتابته للمسرح كان من أوائل رواد المسرح التجريبى الذين تمردوا على فكرة المسرح التقليدى المعتاد ليخرج عن المألوف، ويهاجم سنوات وسنوات قبل أن يشيد به جميع النقاد ويعترفون بفضله على المسرح، وما أحرزه من تنوع بالغ فيه وتحديث. وأيضاً عندما بدأ كتابة الرواية قام بتغير شكل الرواية التقليدى الذي اعتدنا عليه، فعندما تقرأ رواياته لا تجد أنها تلك الرواية التى تتناول أشخاصا بعينهم تتناول كل احداثهم صعوداً وهبوطاً نجاحاً وفشلاً وتنتهى إما نهاية سعيدة أو تعيسة، ولا تجدها أيضاً سيرة ذاتية عنه يحكى فيها مشواره كاملاً منذ بدايته وحتى الآن، ولا تجدها مرجعا تاريخىا يرصد أهم المواقف والأحداث التاريخية منذ زمن الفراعنة وحتى عصرنا الحديث؛ فرواية أبي ما هي إلا كل هذا وذاك، ولكن فى رواية واحدة يتناقل بين طيات صفحاتها بين القصة الخيالية والسيرة الذاتية والسرد التاريخى .. لقد قلب شكل ومفهوم الرواية ووضعها فى إطار حديث مختلف لا يشبه ما قبله، ولعله الآن ترك الوسط الثقافى في حيرة ما بين مؤيد للتحديث ومعارض يخاف من مفارقة القالب النمطى لشكل الرواية، وسواء كنت مختلفا معه أو متفقا فهذا لا يمنع إعجابك بمدى عبقرية جرأته وتمرده على كل ما هو تقليدي شائع، كذلك إذا أردت ان تحدد انتماءه لحزب سياسى ستقع فريسة متاهة قناعاته المتعددة؛ فهو يميني النزعة بعباداته وصلواته وتقربه من الله وهو ناصري النزعة بحبه للفقراء وللتأميم ولفكرة المساواة كما أرادها جمال عبد الناصر، وهو شيوعي النزعة بإيمانه بمفهوم العدالة الإجتماعية وعدم تقبله

إنجاز طبقة على حساب طبقة أخرى، كما أنه مؤمن بالعروبة فهو قومي وعربى من الدرجة الأولى فهو يدعو دائماً للإنسانية المطلقة مثل طاغور وغيره من المفكرين العظماء. أما عن جنسيته فهو دائماً يقول أنه ينتمى لقلب الوطن العربى بأسره فهو مصري بجواز سفره، وخليجى بشغفه، وتونسى مغربى جزائري بروحه، وهكذا صنعت كينونية أبي المتمردة في كل أشكالها المختلفة.

لم يكن بيتنا يخلو أبداً من الزوار ليلاً أو نهاراً، كان بيت أبي دائماً مفتوحاً أمام تلاميذه ومساعديه وأصدقائه، وكان كل من يتردد عليه بشكل مستمر يعلم جيداً قوانين أبي ويعمل بها، فلقد كان من غير المسموح أبداً لأي شخص أن يرن جرس الباب .. على الجميع أن يطرق الباب بيده ذلك لأن من طقوس أبى الثابتة أخذ قيلولة وسط النهار، ولم يكن لها وقت محدد، فتارة يأخذ أبي قيلولته فى تمام الثانية ظهراً وتارة أخرى حوالي الرابعة عصراً، وأياما أخرى فى الثالثة والنصف، فلم يكن لقيلولته موعد ثابت. وعليه، كان يجب على كل من يأتي لبيتنا أن يطرق الباب بيده حتى لا يزعج صوت الجرس أبي ويوقظه من نومه، فموعد النوم دائماً شيء مقدس فى حياة أبى يجب على الجميع احترامه .. وبالتأكيد أول من كان يسري عليهم قوانين أبي هم أنا وأخي وأمي، لذا فقد ابتكر أخي طرقة باب ذات إيقاع معين، فكان عندما يطرق الباب، نتعرف عليه على الفور، وابتكرت بدوري طرقة ذات إيقاع آخر تميزت بها ليتعرف من بالبيت من خلالها أني أنا من أقف خارج الباب.

ولكن لم يكن أمر عدم رن جرس الباب يقتصر علي أنا وأخي وأمي وتلاميذ أبي وزواره، بل امتد الأمر لكل من كان يتردد على بيتنا بشكل دائم من صديقاتي وأصدقاء أخي وجارات أمي وبواب عمارتنا حتى إنه امتد ليشمل محصل النور وعامل النظافة وبائع اللبن، جميعهم لا يجرؤون على الاقتراب من جرس بيتنا.

ومن كثرة عدم استخدامنا لجرس الباب لم نعد نتذكر صوته أهو يحاكى صوت

طائر أم صوت دقات الساعة أم صوت الأمواج، لهذا عندما كان يرن جرس بيتنا فجأة كنا نقوم جميعاً منتفضين ينظر كلٌّ منا إلى الأخر فى دهشة، ونعجب وكأننا سمعنا صوت إنذار حريق أو صوت صاعقة من السماء، فصوت جرس الباب عندنا لم يكن له غير معنى واحد فقط " إنذار آت غريب لبيتنا ".

كبرت أنا وأخى وتزوجنا وأنجبنا، ولازالت عادتنا القديمة لهجر جرس الباب تصاحبنا، فحتى الآن عندما يأتى هو لزيارتى أو أذهب أنا لزيارته لا يرن أيٌّ منا جرس باب الأخر .. لعل الأمر يرجع لعدم رغبتنا فى التخلي عن أمر كنا نفعله مع أبى شوقاً وحنيناً لأيامنا معه .. أو ربما لعلها فقط حكم العادة !!

لم يكن على تلاميذ أبي ومساعديه أن يستأذنوا قبل قدومهم لبيتنا، فكثيراً ما كان يدق باب البيت ونفتح ونجد أحدهم أو أكثر أمامنا وهو يسأل: هو الريس موجود؟.

ولم يكن هذا الأمر يضايق أبى بل على العكس فأبي على قدر حبه وحرصه فى الحفاظ على خصوصيته فى بعض الأوقات، كوقت شروعه فى الكتابة أو كوقت راحته واسترخائه، إلا أنه كان على نفس القدر من حبه لتكريس الوقت لتلاميذه وسماعهم، والمناقشة معهم وتثقيفهم. وقد تقتصر هذه الأوقات فى الكثير من الأحيان بتقديم يد المساعدة لهم بشكل أو بآخر إثر تعرضهم لأزمات إنسانية ونفسية محبطة وأخرى مادية.

أما أمي فقد كان يزعجها الأمر، ذلك لأن من عادات بيتنا تقديم الطعام لكل من يأتيه، وبما أنهم كانوا يأتون على حين غفلة من أمي فقد تصادف فى بعض الأيام إعداد أمي لأصناف أكل بسيطة أو وجود بقايا طعام من يوم سابق أو حتى وجبة شهية، ولكن لم يعد يتبقى منها غير كمية قليلة، لذا عندما كان يطلب أبى من أمى تقديم الطعام للزائر فإن كان متوفرا لديها أعدت لهم وليمة فاخرة وقدمتها والابتسامة تملأ وجهها، والرضا يغمر قلبها، وإن كان لديها أكل بسيط، يتملكها

الحرج، فترغب فى تحضير أكل أخر من جديد، ولكن أبي كان دائماً يمنعها قائلاً: هاتيله يأكل من اللى أكلنا منه.
فيخرج ويخبر زائره عن إحراج أمي، فيأكل الزائر ويشكر أمي ويبتسم الجميع.
الريس موجود؟؟
هكذا كان تلاميذ أبي وزملاؤه يطلقون عليه دائماً هذا اللقب، من الطبيعى أن أجدهم يلقبونه بالأستاذ أو بالكاتب لكن لماذا الرئيس؟ .. وعندما سألت أبي عن هذا الأمر أخبرنى أنه لقب ارتبط به منذ الأزل. فعندما كان فى المرحلة الإعدادية والثانوية كان رئيس لجنة الخطابة والصحافة ورئيس فريق التمثيل أيضاً، وفى الجامعة كان رئيساً لاتحاد الطلبة على مستوى الجمهورية، وكان كل من حوله يلقبونه بالرئيس، ثم تلتها رئاسته لفريق تمثيل مسرح الجامعة، ثم تلتها بعد ذلك فترة كونه إدارياً من خلال عمله كمخرج ومؤلف للعديد من السنوات بقصور الثقافة، فأصبح لقب الرئيس يلازمه حتى الآن والجميع يدعونه به سواء من علم بسببه وعلته أم من لم يعلم.
ولكن من وجهة نظرى أن السبب الحقيقى وراء احتفاظ أبى طوال نصف قرن بهذا اللقب ليس فقط لأنهم كانوا يطلقونه عليه بحكم عمله الإدارى أو رئاسته لهذا أو ذاك، وإنما هو لقب يسري فى دمائه، يلتف حول شريانه، يطغى على شخصيته القيادية، يتفجر من أعماق ذاته، يسيطر على كل زمانه ومكانه وتفاصيل عقليته المتميزة، فكل العوامل والظروف والتجارب والصعاب ولحظات الصعود والهبوط التى مر بها أبي طوال سنوات حياته منذ الطفولة، وحتى الآن قد تكاتفت جميعها لتنحت له قالبا فريدا نقشت حروف لوحتها التعريفية بلقب "الرئيس".
ظروف موت والده المبكر والمفاجئ، وتحمله مسئولية أمه وأخواته الثلاث الأصغر منه، كل هذا جعل منه رئيسا فى بيته.

تصفيته لتجارة والده، وتعاملاته مع التجار، واحتكاكه اليومي بوجوه الشوارع المغبرة جعل منه رئيسا فى شارعه.
شخصيته القيادية ورئاسته لإتحاد الطلبة وفرق التمثيل جعل منه رئيسا فى عمله.
كتاباته وأعماله التى تخطت المائة عمل منوع بين المسرحي والتليفزيوني والإذاعي والروائي جعلت منه رئيساً فى إبداعاته.
حتى فى علاقاته الراقية مع النساء اللاتى صادفهن فى حياته من زوجاته وزميلاته وصديقاته و(أنا) جعلت منه رئيساً فى حبه.
فالرئيس هى كلمة تليق بأبي ويليق بها........

اللمحة الرابعة:

أب الكتابة وأنا:

فى عام ١٩٨٠ عندما ولد أخي بالكويت أراد أبى أن يسميه (محمد ثائر) ذلك لشدة إيمان أبى بمفهوم الثورة، وتمنى أن ينجب ولداً ثائر الكلمة، قوي البيان، جريء اللسان على كل ما هو خاطئ وفاسد ومنحرف فى مجتمعاتنا العربية، سواء كان فكرياً أم ثقافياً أم اجتماعياً أم حتى دينياً .. وكان عمي الدكتور "عادل" فى هذا الوقت فى زيارة لأبى بالكويت فحاول مراراً وتكراراً أن يجعل أبى يعدل عن هذا الاسم مقنعاً إياه بأن أخى سوف يكون موضع سخرية واستهزاء من زملائه فى المدرسة، وقد يسبب له هذا الاسم العديد من المواقف المحرجة، ويؤثر على نفسيته فى مرحلة الطفولة، ولكن للأسف كل محاولات عمي قد باءت بالفشل، إلا أن أبي قد ذهب في اليوم التالى لزيارة صديقه الدكتور حسين كامل قنصل السفارة المصرية بدولة الكويت، وأخبره أبى بالاسم الذى اختاره، فسأله صديقه سؤالا بسيطا جعل أبي يعدل على الفور عن الإسم ودون تردد ويكتفى بـــ "محمد" أسوة باسم رسولنا الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، وكان

السؤال المفاجئ الذى غير رأي أبي ومعه اسم أخى للأبد هو "وما الذى يؤكد لك أنه سيصبح شخصاً ثائراً، وليس مجرد إنسان مسالم بسيط؟ اترك ابنك يصنع ذاته فليس اسمه هو ما يصنعه".

ثم فى عام ١٩٨٣ تكرر نفس الصراع على الاسم عندما ولدت أنا .. ففى هذا العام كان يعرض بالكويت مسرحية "سندريلا" على مسرح كيفان؛ وهى من تأليف السيد حافظ "أبي" وبطولة النجمة هدى حسين وإخراج منصور المنصور، وقد حققت نجاحاً ساحقاً لا مثيل له في هذا الوقت، وظلت الجرائد والمجلات بدولة الكويت تكتب عنها بشكل يومى طوال العام، وأشاد النقاد جميعاً بها بشكل منقطع النظير، وتحسنت الحالة المادية لأبي فى هذا العام كثيراً واشترى سيارة زرقاء جديدة (تيوتا كورونا موديل ٨٣) بنفس عام إصدارها، وانتقل لسكن أكبر وأفضل، ونال العديد من جوائز التقدير والتكريم .. فلم يكن أحد في سعادة أبى فى ذلك الوقت، لذا عندما ولدت أنا بعدها بعدة أشهر أراد أبى بشدة أن يسمينى "سندريلا".

ولم يكن عمي "عادل" موجودا وقتها ليجادله، ولكن أمي هى التى تدخلت هذه المرة واستحلفته بالله ألا يسمينى "سندريلا" مخافةً على من الألسنة الساخرة، ولكن أبى غضب وترك لها أمر تسميتى، ولم يبد أيّ رغبة فى اسم آخر. فى ذلك الوقت كانت أمي تشاهد نشرة الأخبار على قناة البصرة في التلفاز، ورأت اسم المذيعة العراقية التى كانت تذيع النشرة مكتوب أسفل الشاشة، فنادت على أبي بلطف وهي تسأله: يعنى إيه اسم غيداء؟

ومن هنا جاء اسمي، فأنا مجرد اسم مكتوب أسفل شاشة تلفاز لمذيعة عراقية جميلة قد أعجبت أمي يوماً ما بها، وهى تشاهد نشرة الأخبار اسمها "غيداء".

كان أبى حريصاً كل الحرص على تعليمى أنا وأخى قواعد القراءة الصحيحة، فكيف نكون أبناء أديب، ونحن لا نتقن فن القراءة، لذا كان أبي كل يوم ونحن فى

مرحلة الإبتدائية والإعدادية ينادينى أنا وأخي ويجلسنا أمامه على طاولة السفرة لمدة ساعة ويعطى كل واحد منا كتاباً فى يده، ويطلب منا أن نقرأ منه صفحة تلو صفحة، وهو يستمع لنا ويشير لنا بأن نرفع أصواتنا فى القراءة ويصحح لنا الأخطاء النحوية، وكلما أجدنا القراءة، كافأنا بمبلغ مالي بسيط أو بتحقيق رغبة لنا تسعدنا كمشاهدة التلفاز أو استقبال الأصدقاء أو اللعب بلعبة أردناها.

منذ نعومة أظافرنا ونحن نجد أمي عاكفة على آلة الكتابة تكتب لأبى أعماله وتفرغها له، وعند ظهور جهاز الكومبيوتر كان أبى من أوائل الأشخاص الذين قاموا بشرائه رغم ارتفاع ثمنه، ذلك لحاجة أبى الملحة لطباعة أعماله بشكل أسرع وفعال.

وبالطبع كانت أمي هي من تنسخ كل أعمال أبى، لذا عندما كبرنا أنا وأخى أكثر وأصبحنا في المرحلة الثانوية وكثرت احتياجاتنا ومتطلباتنا لم يتردد أبى لحظة واحدة فى أن يستغل هذا الأمر لصالحه، وأصبح أمام كل مطلب لنا علينا كتابة خمس ورقات لأبى على جهاز الكومبيوتر. بالنسبة لي لم يكن يضايقني الأمر بالعكس، كنت أجد متعة كبيرة فى إنجاز الأمر، ذلك لأنى أحب الأدب وأهوى القراءة ويجذبني الشعر، لهذا كنت استمتع بكتابة أعمال أبي وأتناقش معه فيها، وكان يسمح لي أحياناً بأن أضيف كلمة تعجبنى أو جملة، فأبي كان دائماً يمنحني مساحة للإبداع حتى ولو كانت على قدر كلمة.

أما أخي بالنسبة لأخي، فقد كان الأمر مختلفاً تماماً، فكما نعلم ليس ابن الطبيب دائماً يكون طبيباً، ولا ابن المهندس ملزم أن يكون مهندساً، ولا ابن التاجر لزاماً أن يكون تاجراً، تختلف ميول الإنسان ورغباته من شخص لآخر، كما تختلف اهتماماته ومواهبه وقدراته لتميزه عن غيره.

ففي رحلة الفرد للبحث عن الذات يجد نفسه قد أخذ من أبيه جانباً أو أكثر، ومن أمه جانباً أو أكثر، ومن مجتمعه، ومن ثقافته، ومن قناعاته، ليتشكل فى نهاية

الأمر كياناً متفرداً مستقلاً بذاته لا يشبه أحد ولا يشبهه أحد .. هذه هي عبقرية النفس البشرية المختلة التكوين.

فبالنسبة لأخي فقد أخذ من أبى بعض جوانبه الإنسانية، ولم يأخذ منه أي جانب فكري وسوف أتطرق لهذا الأمر بالتفصيل فيما بعد .. فأخى لم يكن يميل للأدب ولا يحب القراءة لا بصوت عال ولا حتى بدون صوت، لم يكن يجيد كتابة مواضيع التعبير في المدرسة .. أخي هذا الشخص الواقعى حتى في خيالاته، عندما أراد أن يقرأ لم يجذبه سوى كتب الألغاز والجرائم والروايات البوليسية المثيرة، وبدأ اهتمامه يزيد بقراءة كتب علم النفس وهو فى المرحلة الجامعية لرغبته الشديدة في التعمق لفهم تناقضات النفس البشرية، فهو شديد التعلق بفكرة الخير والشر، القوة والضعف، الحب والكراهية، الصدق والكذب، ليس عنده تلك المنطقة الرمادية التى يدور في فلكها المتغيرات والتحولات، الأحلام والتخيلات، الأحصنة البيضاء والفراشات، فهو يستشعر كل ما هو ملموس ولا ينتمى لأي شيء ذي طابع حالم متغير.

أخى هو هذا الشخص الذى اكتسب الكثير من المكر والدهاء بفضل الروايات البوليسية وكتب الألغاز التى كان يقرأها، لهذا كان لديه قدرة رائعة بأن يختصر الخمس صفحات التى يجب عليه كتابتها لأبى لثلاث صفحات فقط دون أن تشعر وأنت تقرأها بأن هناك جزئية مفقودة، فقد كان يقوم بتنقيح واختصار الجمل بصورة مدهشة تبعث على الإعجاب بها من شدة دقتها ومهارتها. وعلى قدر ذهول أبى من أفعال أخي وغضبه منه أحياناً على قدر إعجابه الشديد بهذه الموهبة التى طالما تمنى منه أن ينميها ويستفيد منها .. ولكن ليس كل ما تمناه أبى أدركه.

فى نظر أبي أن قدرتى على الكتابة قد بدأت تظهر منذ كنت طفلة صغيرة لم تتجاوز الأربعة أعوام بعد .. في البداية حكاية.

حدث هذا فى يوم كان يحكي لي أبي حكاية ما قبل النوم وكعادته عندما انتهى من الحكاية ختمها بسؤال الحكايات الشهير "وتوته توته خلصت الحدوته حلوه ولا ملتوته؟" فطلبت منه أن يحكي لي حكاية أخرى، فأخبرني أنه لن يبدأ فى حكاية جديدة حتى أجيبه على سؤال الحكاية "حلوه ولا ملتوته؟"، وكنت أعلم جيداً كما علمني من قبل إننى إن أخبرته "حلوه" سيطلب منى "غنوه" أى "أغنية" وإن أجبته "ملتوته" سيطلب منى "حدوته" أى "حكاية"، فكنت فى كل مرة أستسلم ولا أعيد عليه طلب حكاية جديدة وأذهب للنوم فى حالة من الانهزام. أما فى هذه الليلة فكنت فى قمة إصرارى على سماع حكاية أخرى، لهذا أجبته بثقة البلهاء "ملتوته" فتفاجأ مبتسماً وطلب مني أن أحكى "حدوته" .. فأخذت أفكر وأفكر لثوان طويلة، وكنت في هذا الوقت أبلغ ثلاثة أعوام ونصف فقط عندما أخبرت أبى بأول حكاية لي من تأليفى وهي مكونه من خمس كلمات فقط، وبمكر الأطفال وحيلهم الساخرة الساذجة انطلقت حكايتى الأولى التى لايزال أبي حتى اليوم يضحك كثيراً كلما تذكرها واصفاً إياي بالماكرة الصغيرة التى احتالت عليه للحصول منه على حكاية جديدة، ذلك حين قلت له: صل على النبى ... كان فى مرة فيل ....فيل.

انتظرت كثيراً وأنا أفكر في شيء أو حيوان آخر، فلم أجد غير الفيل فعلى ما يبدو أني كنت أهوى الفيلة كثيراً فى هذا الوقت، كما أنني كنت فى شوق وعجلة لسماع حكاية أبي، فاكتفيت بهذه الجزئية المكررة، وختمت حكايتى وأسرعت أقول: توته توته خلصت الحدوته حلوه ولا ملتوته؟

نظر أبى إلي مذهولاً للحظة ثم فجأة أخذ يضحك ويضحك وهو يحتضنني وعيناه تدمعان من كثرة الضحك وأنا أضحك معه وأصرخ وقلبي يقفز فرحاً، لقد أسعدت أبي، أأنا سر سعادة أبي؟؟ !!

إذا في بداية حكايتي من خمس كلمات وأنا فى عمر الثالثة، ثم فى عمر الرابعة أغنية من تسع كلمات، تسع كلمات فقط لخصت ببراءة ونقاء روح الطفولة فيها

مشاعري كلها تجاه أبى، لخصت ألفاً وأربعمائة وستين يوماً من إنصهاري داخل صهريج أبي المسحور، واحتباسى بداخله مع تعرضي لارتفاع حاد في معدل درجات حرارة إبداعات خيالاته اللامتناهية حتى تبخرت تماماً، فبحثت عنّي، فوجدتنى قد تلاشيت للأبد فى عمق أسحار احتواءاته.

فهأنذا أغنى لأبى بما معناه "أني وأبي قد تركنا الناس جميعاً في غرفة وأغلقنا عليهم الباب بالمفتاح". ألم يكفينى أن أحجز الناس بمفردي بعيداً عن أبي ليبقى لي وحدي فقط!! بل قمت بإشراكه معي في جريمتي البلهاء، قد يكون هذا إثباتاً مني لذاتى أن محبتى فى قلبه قدر محبته في قلبي .. كما أنه لم يكفنى أيضاً بأن آخذ أبي وأذهب بعيداً عن الناس، بل أردت أن أتأكد أن أحداً لن يلحق بنا ويأخذه مني، فأغلقت عليهم بالمفتاح حرصا على الطمأنينة، حتى يخلو العالم من حوله وحولي ولا يبقى في الكون سوى أبي وأنا.

غيداء السيد حافظ

ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ وأهم أعماله فى المسرح والرواية

- من مواليد محافظة الإسكندرية جمهورية مصر العربية ١٩٤٨
- خريج جامعة الإسكندرية قسم فلسفة واجتماع عام ١٩٧٦/ كلية التربية .
- أخصائي مسرح بالثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من ١٩٧٤/١٩٧٦.
- حاصل على الجائزة الأولى في التأليف المسرحي بمصر عام ١٩٧٠.
- مدير تحرير مجلة (الشاشة) (دبي مؤسسة الصدي ٢٠٠٦– ٢٠٠٧).
- مدير تحرير مجلة (المغامر) (دبي مؤسسة الصدي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧).
- مستشار إعلامي دبي مؤسسة الصدى (٢٠٠٦ – ٢٠٠٧).
- مدير مكتب مجلة أفكار بالقاهرة (الكويت).
- مدير مركز الوطن العربي للنشر والإعلام (رؤيا) لمدة خمسة سنوات.

عرض له في مسرح الطفل

- مسرحية سندريلا (الكويت–سلطنة عمان–البحرين) ١٩٨٣ إخراج /منصور المنصور.
- مسرحية الشاطر حسن (الكويت–دبي–أبو ظبي) ١٩٨٣ إخراج /أحمد عبد الحليم .
- مسرحية سندس (الكويت–البحرين–قطر) ١٩٨٥ إخراج /محمود الألفي.
- مسرحية على بابا (الكويت – دبى) ١٩٨٥ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية أولاد جحا (الكويت – البحرين) ١٩٨٦ إخراج / محمود الألفي.
- مسرحية حذاء سندريلا(الكويت – بغداد) ١٩٨٧ إخراج /دخيل الدخيل.
- مسرحية بيبى والعجوز (الكويت – بغداد) ١٩٨٨ إخراج / حسين مسلم.
- مسرحية فرسان بنى هلال (الكويت) ١٩٨٩ إخراج / محمد سالم .
- عنتر بن شداد (الكويت) ١٩٨٩ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية أولاد جحا (مصر) ١٩٨٩ إخراج / المؤلف .

- مسرحية سندس ١٩٨٩ إخراج / خمسة مخرجين.
- مسرحية حكاية لولو وكوكو ١٩٩٠ إخراج / المؤلف .
- مسرحية قميص السعادة – القاهرة ١٩٩٣ إخراج / محمد عبد المعطى
فرقة تحت١٨/ القطاع الاستعراضي ١٩٩٦ إخراج / حسام عطا
بطولة:
وجدى العربي–عبد الرحمن أبو زهرة
عائشة الكيلانى–علاء عوض
- مسرحية حب الرومـــان وخيـــرزان (القاهرة)
- فرقة تحت ١٨ القطاع الاستعراضي ..
بطولة/ مي عبد النبي ــ لمياء الأمير
محمد عبد المعطي ــ أحمد الحجار.
- مسرحية (سفروتة في الغابة) ١٩٩٨ إخراج/د. محمد عبد المعطي
من إنتاج المؤلف .. وتم عرض المسرحية في (مهرجان قرطاج المسرحي بتونس) بطولة / وفاء الحكيم ــ محمد عبد المعطي
- حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية سندريلا عام١٩٨٠.
- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥
- كتب عنه أكثر من ٥٢ رسالة جامعية بين مشروع تخــرج أو ماجســتير أو دكتوراة
- كتب ٧ روايات :
١ – مسافرون بلا هوية
٢ – نسكافيه
٣ – قهوة سادة
٤ – كابتشينو
٥ – شاى أخضر – شاى بالياسمين
٦ – كل من عليها خان
٧ – حتى يطمئن قلبى

مشاريع السيد حافظ الفنية للمسرح

وهى حوالى ١١٠ مسرحية وهى كالتالى :
كتب للمسرح والتراث العربي مشروعاً يتضمن

المسرحيات التالية للكبار :

١) قراقوش والأراجوز
٢) ملك الزبالة
٣) ليلة سقوط صقلية
٤) ليلة اختفاء الحاكم بمر الله
٥) ليلة اختفاء فرعون موسى
٦) الآمر بأحكام الله
٧) الحاكم بأمر الله
٨) ليلة اختفاء اخناتون
٩) العالية والأمير العاشق
١٠) الظاهر بالله
١١) ظهور واختفاء أبي ذر الغفارى
١٢) حدث فى مدينة الزعفران
١٣) عبد الله النديم
١٤) أسد الفرات

كتب مشروعا للمسرح الكوميدي يحتوي:

١) الغجرية والسنكوح
٢) وسام من الرئيس
٣) رحلات ابن بسبوسة
٤) انا ما ليش حل
٥) عريس الغفلة
٦) حكاية الفلاح عبد المطيع
٧) حكاية مدينة الزعفران
٨) الحوش
٩) الراجل اللى لعبها صح
١٠) امسكوا سالم حشيشة
١١) ملك الزبالة
١٢) حرب الملوخية

كتب مشروعا مسرحياً للقضية الفلسطينية وحرب أكتوبر والاستنزاف تضمن:

١) رجال في معتقل
٢) يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف الحانة الشاحبة العين

٣) والله زمان يا مصر
٤) الأقصى فى القدس يحترق
٥) أحبك يا مصر

كتب لمسرح الطفل مشروعا به مسرحيات:

١) سندريلا
٢) الشاطر حسن
٣) أبو زيد الهلالى
٤) سندريلا والأمير
٥) سندس
٦) على بابا
٧) أولاد جحا
٨) بيبى والعجوز
٩) سندباد سواح فى البلاد
١٠) قطر الندى
١١) عنتر بن شداد
١٢) فستق وبندق
١٣) القطة يويو
١٤) أحلام بابا نويل
١٥) حمدان ومشمشة
١٦) سفروته فى الغابة
١٧) حب الرمان وخيزران
١٨) الوحش العجيب

قدمت مشروعا للمسرح التجريبي به:

١) كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى
٢) حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث
٣) هم كما هم ولكن ليسوا هم
٤) علمونا أن نموت وأن نحيا
٥) الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء

٦) حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان
٧) حبيبتى أميرة السينما
٨) إشاعة ومسرحيتان هما :
٩) أجازة بابا
١٠) الميراث
١١) سيمفونية المواقف ٥ مسرحيات تجريبية فصل واحد وهى :
١٢) إيقاع في رحم الكلمات العذرية
١٣) نغم فى الحلم الفوضوى
١٤) تقسيمات مختزنة للشمس
١٥) سقوط حضارة لوط
١٦) الخادمة والعجوز (٦ مسرحيات تجريبية)
١٧) المفتاح
١٨) الخلاص يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف
١٩) سيزيف القرن العشرين
٢٠) الأشجار تنحنى أحيانا (مسرحيات تجريبية) وهى :
٢١) رجل ونبى وخوذة
٢٢) امرأة وزير وقافلة
٢٣) طفل وقوقع وقزح
٢٤) لهو الأطفال فى الأشياء شيىء
٢٥) تكاثف الغثاثة على الخلق موتا
٢٦) خطوة الفرسان فى عصر اللاجدوى .. كلمة
٢٧) محبوبتى محبوبتى قمر الخصوبة فى شرنقة حبنا ميلادا
٢٨) تعثر الفارغات فى درب الحقيقة .. بحث
٢٩) ياله من عالم مظلم بارد متخبط
٣٠) بوابة الميناء
٣١) قدمت مشروعا للمسرح النسوى يحتوى على (٥) مسرحيات للنساء تحت عنوان اكسبريسو ومعها :
٣٢) امرأتان
٣٣) ليلة ليلاء
٣٤) ليلة الخميس
٣٥) ليلة اختفاء الحاكم بأمر الله

٣٦) ليلة اختفاء إخناتون
٣٧) ليلة اختفاء فرعون موسى
٣٨) مسرحية حدث كما حدث ولكن لم يحدث أى حدث
٣٩) المنشار
٤٠) إشاعة
٤١) التحقيق
٤٢) صراع الألوان مشروع مسرحيات قصيرة جدا يضم ٣١ مسرحية بين دقيقة ونصف دقيقة

أخراج للمسرح

- مسافر ليل (لصلاح عبد الصبور) عام ١٩٧٠ من بطولة ٢٥ طفل وطفلة (أصغرهم ٦ سنوات وأكبرهم ١٢ سنة) عرض غنائى موسيقى (ألحان حمدى رؤوف وكورال ٤٠ طفل وطفلة) المسافر ٦ شخصيات والراكب ٦ شخصيات عشرى الستره ١٠ شخصيات.
- (الحبل) يوجين أونيل ١٩٦٨ بطولة مهدى يوسف (المؤلف الشهير الحالى) – معهد إعداد الفنيين التجاريين.
- الزوبعة لمحمود دياب، كلية التربية عام ١٩٧٣.
- الخروج من ساحل المتوسط قصيدة محمود درويش عرض بطولة ١٢٠ ممثل وممثلة من الشباب.
- آه يا وطن ١٩٧٣ قصائد سيد حجاب ، مجدى نجيب ،عبد الرحمن الأبنودى – فؤاد حداد.
- حديقة الحيوان لإدوارد أولبى ترجمة على شلش بطولة "أحمد آدم" نجم الكوميديا حالياً ، صفاء غراب قصاص معروف حالياً.
- كوكو ولولو، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج خاص.
- أولاد جحا ، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج قصر ثقافة مصطفي كامل.
- نال جائزة أحسن مخرج في مراكز الشباب عام ١٩٧٠ عن مسرحية (جواز سفر) إعداد / عن أشعار محمود درويش وسميح القاسم.

أسس جماعات تجريبية للمسرح

- فرقة الصعاليك – فرقة ألف باء مسرح – جماعة الاجتياز – وكان ضمن هذه المجموعة الفنان/ فاروق حسنى وزير الثقافة السابق، ود/ مصطفي عبد المعطى وكيل وزارة الثقافة السابق. والفنان مسعد خميس وعلي الجندى ومحمد نوار وقد أخرج يوسف عبد الحميد مسرحية كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى بطولة مسعد خميس ونازك ناز ومسرحية سيزيف بطولة على الجندى ..ومسرحية إيقاع فى رحم الكلمات العذرية بطولة محمد أنور
- جماعة المسرح الطليعى التى قدمت مسرحية (آه يا وطن) لمدة ١١٠ يوم وكانت أول فرقة للهواة في تاريخ مصر تقدم عرضاً متواصلاً دون أجازة – عام ١٩٧٣.

أعماله في فرق الأقاليم والمحافظات

م	المكان	المسرحية	المخرج	سنة العرض
١	بيت ثقافة أبو تشت	رحلات ابن بسبوسة	فريد عبد الحميد	١٩٩٤
٢	بيت ثقافة السنبلاوين	رحلات ابن بسبوسة	رجائي فتحي	١٩٩٥
٣	قصر شبرا الخيمة	ملك الزبالين	محمد الخولي	١٩٩٦
٤	ميت غمر	ملك الزبالين	علي عزب	١٩٩٦
٥	العائم	ملك الزبالين	محمد الخولي	١٩٩٦
٦	القليوبية	ملك الزبالين	ماهر سليم	١٩٩٦
٧	أبو حمص	قراقوش والأراجوز	سيد هنداوي	١٩٩٧
٨	العريش	النديم	عبد الستار الخضري	١٩٩٧
٩	غزل المحلة	خطفوني ولاد الإيه	مجدي مجاهد	١٩٩٧
١٠	بلبيس	رحلات ابن بسبوسة	إبراهيم شكري	١٩٩٧
١١	المسرح العائم	قراقوش والأراجوز	محمد الخولي	١٩٩٧
١٢	بيت منشية ناصر	عاشق القاهرة	أحمد عبد الباقي	١٩٩٨
١٣	قصر	حكم قراقوش	أسامة شفيق	١٩٩٨
١٤	بيت النصر	ملك الزبالين	فوزي شنودة	١٩٩٩
١٥	أبو حمص	ملك الزبالين	عادل شاهين	٢٠٠١
١٦	الجيزة	حرب الملوخية	أشرف فاروق	٢٠٠٢
١٧	أبنوب	حرب الملوخية	عادل بركات	٢٠٠٢
١٨	الغنايم	وسام من الرئيس	محمد المصري	٢٠٠٤
١٩	زفتى	وسام من الرئيس	السيد الحسيني	٢٠٠٤

أشهر ما أخرج من مسرحيات للمسرح

١) بنطلون روميو تأليف ابو السعود الأبيارى
٢) الغربان – تأليفه
٣) مسافر بلا متاع لجان انوى ..
٤) الخواجة لامبو مات لعبد الرحمن الأبنودى
٥) شرق المتوسط لمحمود درويش
٦) الزوبعة لمحمود دياب
٧) الحبل لجان انوى
٨) حديقة الحيوان لادوارد اولبى بطولة أحمد آدم
٩) هم كما هم وليسوا هم الصعاليك تأليفه وبطولة مهدى يوسف المؤلف الشهير حاليا مؤلف يوميات ونيس
١٠) ليالى الحصاد لمحمود دياب
١١) أحبك يا مصر تأليفه
١٢) سندس تأليفه
١٣) الخطوبة لتشيكوف
١٤) المخبأ تأليفى
١٥) والله زمان يا مصر تأليفه
١٦) أحبك يا مصر تأليفه
١٧) مصطفى كامل تأليفه
١٨) عبد الله النديم تأليفه
١٩) مسافر ليل لصلاح عبد الصبور كاملة من بطولة ٣٠ طفلا ألحان حمدى رؤوف
٢٠) أولاد جحا تأليفه
٢١) ومن أشهر ممن ساعده في الإخراج لسنوات :
الأستاذ : عادل شاهين
الأستاذ : محمد غباشي النجم المعروف الآن
المخرج : ناجى أحمد ناجى

المخرج : سيد شعبان
المخرج : رمضان عبد الحفيظ

أخرج مسرحياتى المؤلفة للمسرح من مصر الأساتذة المخرجون

أحمد عبد الحليم أخرج ٤ مسرحيات
محمود الألفي مسرحيتان
مجدى عبيد مسرحيتان
فاروق زكى مسرحية
دكتور محمد عبد المعطى مسرحيتان
دكتور حسام عطا مسرحية
فاروق زكى مسرحية
سمير حسنى مسرحية
محمد متولى مسرحية
عبد الرحمن الشافعى مسرحية
أشرف فاروق مسرحية
أحمد إسماعيل مسرحية
سمير زاهر مسرحية
عادل شاهين مسرحية
أسامة شفيق مسرحيتان
مجدى مجاهد مسرحينان
محمد سالم مسرحية
علي سرحان مسرحية
عباس أحمد مسرحية
إميل شوقي مسرحية
بالإضافة لحوالي ٣٠ مخرجا من أشهر مخرجى المحافظات

أخرج مسرحياته من العراق الأساتذة

د وليم يلدا مسرحية الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء
دكتور سعدى يونس مسرحية حكاية الفلاح عبد المطيع
دكتور عباس التاجر العراق بابل مسرحية حكاية مدينة الزعفران
دكتور بشار عليوى مسرحية اختفاء أبي ذر الغفارى

من الكويت أخرج مسرحياتى

منصور المنصور (مسرحية سندريلا)
دخيل الدخيل (مسرحية سندريلا والأمير الجزء الثانى)
د حسين مسلم (مسرحية بيبى والعجوز)
عبد الله عبد الرسول (مسرحية مدينة الزعفران وحكاية الفلاح عبدالمطيع)

أشهر من أخرج له فى الإمارات

جاسم عبيد الساحر حمدان

كتب ودراسات مسرحية قدمت عن أعماله المسرحية

- كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب-المعهد العالى للفنون المسرحية ١٩٨٤- الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.
- كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهى - مكناس المغرب ١٩٨٦-الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.
- بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ- موسكو- تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.
- كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربي - صليحة حسنى- بحث- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧ .
- كتاب الفلاح في المسرح العربي - نموذجا حكاية الفلاح عبدالمطيع - للسيد حافظ - خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول -المغرب الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.
- كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبي ذرالغفارى-منصورية مباركى - وجدة - المغرب . الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٩.
- كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ -نموذجا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٩٠.
- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربي . السيد حافظ نموذجا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب- نموذجا- عائشة عابد - جامعة محمد الأول -١٩٩١.

- الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ – نموذجا على بابا– نزيهة بن طالب (الناشر – العربي للتوزيع).
- مسرح الطفل عن السيد حافظ – نموذجا " مسرحية الشاطر حسن " فاطمه حاجى – المغرب ١٩٩١.
- التجريب والعبث في المسرح العربي من خلال مسرحية سيزيف للسيد حافظ – حليمة حقوقى ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجا ١ " حبيبتي أنا مسافر و القطار أنت و الرحلة الإنسان " ١٩٩٢–١٩٩٣ بنيونس الهواري . (المغرب)
- المسرح السياسي عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول _ وجدة _ المغرب _ ١٩٩٦.
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦–١٩٩٧. (المغرب).
- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا بنيونس الهواري ١٩٩٩–٢٠٠٠ (المغرب).
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سندريلا والأمير ــ وقميص السعادة" : د. عبد العزيز خلوفة.
- جامعة محمد بن الله – فاس – المغرب ٢٠٠٢–٢٠٠٣ .
- المسرح التجريبي عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢–٢٠٠٣ (المغرب).
- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " للسيد حافظ – نموذجا – فاطمة زكاوي ٢٠٠٢–٢٠٠٣
- دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للسيد حافظ ــ سناء جلال أحمد علي – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي – جمهورية مصر العربية ٢٠٠٢– ٢٠٠٣ .

من أهم الكتب التى كتبت عن السيد حافظ

السيد حافظ والمسرح التجريبى د. ليلى بن عائشة – جزائرية
دكتور على عاشور الجعفر مسرح الطفل – كويتى
كتاب السيد حافظ ومسرح الطفل – كويتى
الفعل الدرامى فى مسرح السيد حافظ – دكتور مصطفى رمضانى (مغربى) و٦ باحثين معه.
التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ فى المسرواية) د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية

مشـــــــاركات

- شارك في مهرجان :
- قرطاج (تونس)
- بغداد (العراق)
- الأردن
- أبو ظبي
- القاهرة
- الإسكندرية
- مطروح.
- مهرجان بيجاية (الجزائر)
- مهرجان مدينة وجدة المسرحى (المغرب)
- مهرجان مسرح الطفل (الكويت)

العنوان : ١٢ شارع طارق يحيى عبد الغنى – التعاون – الهرم – الجيزة
موبايل : ٠٠٢٠١٢٨١١١١٨٧ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨ – ٠١٠٢٠٢٥٥٩٤٧

E-mail: Justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com

الفهرس

مدونة رقم ٦ .... ٣

إهـــــداء أول.. ٤

إهداء ثانى.. ٥

الفصل الأول عن الخطيئة والعشق ٦

سلمى ابنة نافع وصفية.. ٩

حكاية سيرين المصرية المسيحية ابنة عم حبيب ومارى ٢٠

سيرين ابنة عم حبيب وأمها مارى ٢٨

سارة ابنة العم أيتين مصرية يهودية... ٣٤

الفصل الثانى "هناك كتابة تشبه الكتابة ونساء تشبه النساء" ٦٩

الفصل الثالث "الحب قوة خفية للفرح والألم" ١١٠

الفصل الرابع "لا أتذكر أن الوطن أعطانى مرة وردة أو مظلة للمطر" ١٣٧

الفصل الخامس "ولى فى مصر نشيد نسى الناس حروفه" ١٦٥

نبذه عن المؤلف بشكل مختلف بقلم غيداء السيد حافظ ١٩٠

ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ وأهم أعماله فى المسرح والرواية...... ٢١٥

الفهرس ٢٢٧